

# معجم رمضان



## فؤاد مرسى



للإصدار الثانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

يشغل شهر رمضان مكانة شديدة الخصوصية في الوجدان  
الإنساني، تدفع باستمرار نحو سببٍ أغواره، وإدراك معانيه،  
واستكناه الطيوف والسحابات التي تزامن أجواءه.

لقد حظى هذا الشهر الكريم على مدار التاريخ باهتمام بالغ  
من الناس، فأعدوا وتجهزوا له، واستقبلوه بحفاوة وسرور،  
وأقاموا لياليه وأحيوها بإخلاص وفرح، وفاضت دموعهم  
وهم يودعونه ولسان حالهم يردد: «لأوحشنا الله منك يا رمضان»  
ويسعى هذا العمل إلى الإلمام بعناصر شهر رمضان  
وتفاصيله؛ بما يشكل قاعدة بيانات (معلومات) تكاد تكون شبه  
متكاملة عن هذا الشهر الكريم.

أمر آخر يقف وراء إنجاز هذا العمل، وهو تقلص واندثار  
العديد من المظاهر والممارسات الاحتفالية بهذا الشهر.  
من هنا جاءت فكرة هذا العمل "معجم رمضان" لتسلط الضوء  
على هذه القضايا.



الهيئة المصرية العامة للكتاب

ISBN# 9789774485565



6 221149 030053

# معجم رمضان

«الإصدار الثاني»

فؤاد مرسي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٢

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : معجم رمضان

الإصدار الثاني،

تأليف : فؤاد مرسى

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

الإخراج الفني : أميرة محسن

تصميم الغلاف : الحبيبة حسين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدي : ١١٧٩٤ رمسيس

[www.gebo.gov.eg](http://www.gebo.gov.eg)

[email:info@gebo.gov.eg](mailto:info@gebo.gov.eg)



مرسي، فؤاد.  
معجم رمضان/ فؤاد مرسي. - القاهرة : الهيئة  
المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.  
مج ٢: ٢٤ سم.  
٩٧٨ ٩٧٧ ٤٤٨ ٥٥٦ ٥ تدمك  
١ - شهر رمضان - معاجم.  
١ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٣ / ١٦٠٣٤

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 556 - 5

ديوي ٢٥٢.٢٠٣

## سيد الشهور وهذا المعجم

يشغل شهر رمضان مكانة شديدة الخصوصية في وجدان الإنسانى، تدفع باستمرار نحو سبر أغواره، وإدراك معانيه، واستكناه الطيوف والسحابات التي تزامن أجواءه. لقد حظي هذا الشهر الكريم على مدار التاريخ باهتمام بالغ من الناس، فأعدوا وتجهزوا له، واستقبلوه بحفاوة وسرور، وأقاموا لياليه وأحيوها بإخلاص وفرح، وفاضت دموعهم وهم يودعون له ولسان حالهم يردد: لا أوحشنا الله منك يا رمضان. وإلى جانب تجلي هذه المعاني في إتيان العبادات والفروض؛ فإنها أنتجت - كذلك - عددًا من الإبداعات الأدبية والممارسات المادية والمظاهر الاحتفالية، التي صارت رفيقة الروح في هذا الشهر وعلامته الدالة عليه، من تعليق للزينات والفوانيس في الشوارع، وتكثيف إضاءتها، والاحتفال برؤية الهلال، وترديد الأغاني، وإقامة الولائم وموائد الإفطار الجماعية، وإعداد الأطعمة المخصوصة بهذا الشهر، وإحياء سهراته بذكر الله ومدح نبيه المصطفى.

ويسعى هذا العمل إلى الإلمام بعناصر شهر رمضان وتفاصيله، بما يشكل قاعدة معلومات - أطمح إلى أن تكون شبه متكاملة عنه - تساعد على الإجابة عن الأسئلة المتعلقة به.. حفزني إلى هذا الأمر ما يعانیه الباحث في أمور هذا الشهر ومناحيه المختلفة من صعوبات، من أجل العثور على بغيته؛ إذ لا يوجد - حسب علمي حتى الآن - معجم كامل عن هذا الشهر، وإنما تتناثر مواد بين المراجع، حتى العنصر الواحد، يضطر الباحث في كثير من الأحوال إلى اللجوء إلى عشرات المراجع من أجل استجماع نثراته، أما الكتب التي اتخذت من شهر رمضان عنواناً رئيسياً لها، فقد وقفت على بعض الجوانب من دون الأخرى، وذلك حسب اهتمام كل كاتب، فوجوه شهر رمضان وأطيافه من التنوع لتستوعب عشرات المجهودات من دون تعارض.

حافز ثان يقف وراء هذا العمل؛ هو تقلص واندثار العديد من المظاهر والممارسات الاحتفالية بهذا الشهر، تلك الممارسات التي كانت تعمل على بث السرور في النفوس ودعم روح التعاون والألفة، خصوصًا الجانب الفلكلوري منها، الذي كاد أن يندثر تمامًا، بما يجعل تسجيلها واحدًا من أعمال الحفاظ على الذاكرة القومية وتثبيت بنيتها.. من هنا تنطلق فكرة هذا العمل الذي أطلقت عليه تواضعًا، «معجم رمضان».

ثمة إشكالية رئيسية تعترض مثل هذه الأعمال دائمة، وهى منهج ترتيب وتصنيف المواد، تنطرح هذه الإشكالية مع كل عمل معجمي، إذ إن القاعدة الشائعة هى ترتيب المواد أبجديًا، غير أن بعض المعاجم النوعية تلجأ إلى الترتيب الموضوعي وبعضها يلجأ إلى الترتيب التاريخي، وقد اهتمت إلى الجمع بين أكثر من طريقة في هذا العمل، حيث قمت أولاً بتصنيف الموضوعات الرئيسية المتعلقة بشهر رمضان، ثم إدراج الموضوعات الفرعية من تحتها، إما مرتبة أبجديًا، وإما حسب ترتيب حدوثها زمنيًا، أو حسب أولويتها الموضوعية، على نحو ما سيطالع القارئ الكريم.

ربما يرى القارئ الكريم أن بعض الموضوعات الفرعية من التداخل والاشتباك بحيث يمكن إدراجها في أكثر من موضوع رئيسي، غير أنى وطبقًا للقواعد المعمول بها في هذا الشأن أدرجتها تحت أكثر الموضوعات الرئيسية قربًا لها وارتباطًا بها، أو ربما يرى -القارئ- أنه كان بالإمكان عمل تصنيفات موضوعية أخرى، وله الحق، فمثل هذه الأعمال يمكن تصنيفها على أكثر من نحو، القصد من كل هذا هو تسهيل البحث والحصول على المعلومة بأقصر الطرق وأيسر المداخل.

ثمة ملاحظة تتعلق بالمراجع التي تم الاعتماد عليها بصورة أساسية في بعض مواد هذا المعجم، فقد كنت أمام سبيلين، الأول هو إثباتها مجمعة في نهاية الكتاب، والثاني هو إدراجها أولاً بأول في نهاية كل تصنيف، وهذا ما آثرته، نظرًا لتعدد وتشعب مواد المعجم، وتسهيل البحث لمن يريد الاستزادة في هذه المادة أو تلك، مع إيراد ثبت بالمصادر الأساسية في نهاية الكتاب.

ومنذ صدر الإصدار الأول من هذا المصنف وأنا في حالة انشغال دائم بأمره، فقد صدر الكتاب متضمنًا بعض الأخطاء الناتجة عن عمليات الصف والتضيد واختلاف برامج التجهيزات الإلكترونية من نظام لآخر مما أثر كثيرًا بالسلب في مواد الكتاب



وطريقة عرضها، لذلك كان لابد من إعادة مراجعتها وتنقيحها واستدراك ما سقط، وأثناء هذا تبجرت في إجراء العديد من التعديلات على المواد حذفًا وإضافةً وتحقيقًا، كما أضفت إليه موضوعات جديدة وتوسعت في أخرى، مما يجعل هذا الإصدار مختلفًا بصورة كلية عن الإصدار الأول.

وفي هذا الصدد تنطرح نقطة جوهرية تتعلق بمقابلة التواريخ الهجرية بالميلادية، إذ ربما يكتشف القارئ نسبة خطأ في التحويل، تقدر بيوم واحد فقط، نتيجة لاختلاف مطالع شهر رمضان من دولة إلى أخرى في بعض الأعوام، إضافة إلى تعدد الطرق الرياضية لتحويل التاريخ، مما قد ينتج عنه بعض الاختلاف في تقريب الأيام، وقد اعتمدنا في مقابلة التواريخ في هذه الطبعة على أحد البرامج الإلكترونية، الذي وجدنا بالتجربة أنه يتفق مع التجارب الرياضية التقليدية، وقمنا بمضاهاته على ما قام به - في هذا الصدد - د. محمد حلمي محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عند تحقيقه لكتاب «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريزى، طبعة هيئة قصور الثقافة، ١٩٩٩. وهو ما جعلنى أراجع التواريخ جميعها وأقابلها وفقًا لما اهتديت إليه من إجراءات. أجدنى في هذا مشفوعا بما قاله «عماد الدين الأصفهاني» منذ قرون عديدة: «إني رأيت أنه لا كتب أحد كتابًا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان حسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

ونهاية لابد من تأكيد على أن كل عمل معجمي يعتره النقصان، وليس هذا تبريرًا أو فرارًا من نقد، وإنما تأكيدًا على حقيقة أثبتتها التجارب السابقة؛ فإن كنت قد أصبت فما التوفيق إلا من عند الله، له الحمد عليه من قبل ومن بعد، وإن كنت قد أخطأت فألتمس من العلي القدير المغفرة ومن القارئ الكريم المذرة.

فؤاد مرسي



## أحداث وأزمة

- رمضان
- أجنة شهر رمضان
- أحداث ونوادر غريبة في شهر رمضان



## رمضان

الرمض: هو حر الحجارة من شدة حر الشمس.

قال ابن دريد في اشتقاق شهر رمضان منه، إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة أسموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته فسمي به، ثم كثر استعمالها في الأهلة وإن لم توافق ذلك الزمان.

ويقال: إن أول من سماها بهذه الأسماء «كلاب بن مرة» من قريش.

وقيل كذلك إن العرب كانوا يرمضون أسلحتهم في رمضان أي يدقونها، ويشحذونها بين الحجارة استعداداً للحرب في شوال قبل حلول الأشهر الحرم<sup>(١)</sup>.

ويقال: هذا شهر رمضان، وهذا رمضان، بلا ذكر شهر<sup>(٢)</sup>.

وهو شهر قديم الحزمة في الجاهلية وكان من عاداتهم أن يصوموا أياماً منه يبدءونها أحياناً من منتصف شعبان، تيمناً بالصيف وتقرباً إلى أربابهم أن يجعله موسماً من مواسم الخصب والرغد، وكانوا يسمونه قديماً بالناثق أو الناطل، من الناقة الناثق أي كثيرة الولادة، أو من الناطل وهو كيل السوائل. ولا تزال كلمة النطل تفيد معني قريباً من هذا المعني، سواء باللغة العربية الفصحى أو بالعامية التي تجري على السنة السوداء.

ومما زعمه بعضهم أنه اسم من أسماء الله، وعللوا بذلك أنه كلما ذكر قيل شهر رمضان، ولم يذكره فرداً بغير إضافة كما يقولون مثلاً «شعبان وصفر والمحرم» وسائر الشهور الأخرى. ويروي صاحب لسان العرب عن «مجاهد» أنه كان يكره أن يجمع رمضان؛ إذ يجمع على وزن جمع المؤنث السالم وعلى أوزان جموع التكسير، فيقال رمضانات ورمضانين وأرمضة وأرمضاء، إلى آخره.

ويجوز أن اسم «رمضان» مشتق من المرض وهو المطر يأتي قبل الخريف فيجد الأرض حارة محترقة. لكن الرأي الغالب أنه مشتق من الرمضاء وأنه كان يأتي مع الرمضاء في كل سنة، لأن عرب الجاهلية كانوا يحسبون تاريخهم بسنة قمرية شمسية، فيضيفون تسعة أشهر كل أربع وعشرين سنة، أو يضيفون سبعة أشهر كل تسع عشرة سنة، أو يضيفون شهراً كل ثلاث سنوات حسب مواقع الشهور، ويغلب أن يكون هذا الحساب متبعاً في مكة دون البادية ومن يسكنها من الأعراب الذين لا يحسبون الحساب، ولكنهم يتبعون فيه أهل مكة بجوار الكعبة؛ لأن شريعة الكعبة هي التي كانت تسن لهم تحريم القتال في شهور من السنة وإباحته في سائر الشهور.

وقد بحث العلامة محمود الفلكي - رحمه الله - هذه المسألة في رسالته التي سماها «نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام» فرجح أن أهل مكة كانوا «يستعملون التاريخ القمري في مدة الخمسين سنة التي قبل الهجرة».. وإنما كان أصحاب الحساب يتصرفون في التقديم والتأخير إن أرادوا الحرب في الأشهر الحرم أو أرادوا منعها في غير هذه الأشهر وفقاً لهوائهم ومنافعهم. ومن هنا كان تحريم الإسلام للنسيء؛ لأنهم يجلونه أو يجرمونه كما يشاءون، ولا يستقيم الأمر على هذا الحساب بعد فرض الصيام والحج في أيام معلومات<sup>(٣)</sup>.

نخلص من هذا إلى أن هناك ثلاثة احتمالات في معاني اسم رمضان واشتقاقاته، أولها: أن رمضان هو اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى. وثانيها: أنه اسم مشتق من المرضي بمعنى السحاب أو المطر في آخر الصيف وأول الخريف، وثالثها: إنه اسم مشتق من المرض وهو شدة الحر من وقع أشعة الشمس الحارة على الأرض<sup>(٤)</sup>.

وجدير بالذكر أن فرض صيام شهر رمضان لم يبدأ مع تكليف الرسول بالدعوة، بل كان عليه الصلاة والسلام يصوم في كل شهر ثلاثة أيام، ثم فرض صيام رمضان كله بعد الهجرة إلى المدينة سنة اثنتين هجرية، في شهر شعبان، وذلك قبل غزوة بدر.

عن معاذ بن جبل، قال: أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال، فذكر أحوال الصلاة. قال: وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ

من قَبْلِكُمْ ﴿ (البقرة، الآية: ١٨٣)، إلى قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ  
مَسْكِينٍ﴾ (البقرة، الآية: ١٨٤)، فكان من شاء صام ومن شاء أطمع مسكيناً فأجزأ  
ذلك عنه، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» إلى قوله  
«فمن شهد منكم الشهر فليصمه»، فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه  
للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حولان،  
قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا. قال: وكان  
عمر قد أصاب من النساء بعدما نام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له،  
فأنزل الله «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم»، إلى قوله «ثم أتموا  
الصيام إلى الليل»، ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه، وفي الصحيحين عن  
عائشة، أنها قالت: «كان عاشوراء يصام فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء  
أفطر»<sup>(٢)</sup>. (انظر: الصيام).





## أجندة شهر رمضان

في هذا الشهر المبارك ولدت العديد من الأحداث التاريخية الكبرى التي غيرت معالم الحياة، ونقلتها من طور إلى طور، وأسهمت في تشكيل خارطة الوجود البشري على الأرض.

يشير «ابن كثير» في كتابه «البداية والنهاية»، إلى أن التوراة أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام في شهر رمضان، وفيه أنزل الزبور على سيدنا داود عليه السلام، وذلك بعد التوراة بأربعمائة واثنين وثمانين سنة، كما أنزل فيه الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام بعد الزبور بألف وخمسين عامًا، كما يروي أن سيدنا عيسى عليه السلام رفع في رمضان<sup>(١)</sup>، وفيه بدأ نزول القرآن الكريم، آخر الرسالات السماوية التي أنزلت فيه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبشكل خاص شهدت نهارات شهر رمضان ولياليه العديد من الفتوحات الإسلامية الكبرى، التي مهدت لاستقرار الإسلام ونصرتة وإعلاء كلمته؛ ففيه جرت أحداث غزوة بدر الكبرى.. أول وأعظم انتصار للمسلمين على الكفار. وفيه قام الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح مكة، ودخلها منتصرًا بتأييد ربه، بعد أن خرج منها وقد ناله من كره أهلها ما لا يحتمله بشر. كما جرت فيه واحدة من أهم المعارك التي غيرت مجرى التاريخ العربي.. معركة عين جالوت، التي انتهت بانتصار المسلمين على المغول، بعد غزوهم لمدينة بغداد وتهديدهم لبقية بلدان العالم الإسلامي. وفيه تم فتح المسلمين للأندلس على يد القائد طارق بن زياد، ودامت دولتهم فيها ثمانية قرون.. وفيه انتشر الإسلام في اليمن في السنة العاشرة من الهجرة الشريفة.

هذا بالإضافة إلى العديد من المعارك الحربية الحديثة والأحداث الكبرى التي أعادت ترتيب أوضاع العالم جغرافيا واقتصاديا، إلى جانب شهوده ميلاد أو رحيل العديد من الفقهاء المهمين أو الزعماء الذين أسهموا في تحرير الإنسانية من ربة الاحتلال واستعباد البلاد والعباد.

إن هذه الأحداث وتلك، جميعا لها مكانتها البارزة في التاريخ البشري، مما يجعل المرء مجذوبا إلى سبر أغوارها واستكناه معانيها.

وفي هذا الجزء نعمل على تقديم بانوراما تاريخية لهذه الأحداث، وفقا لتسلسلها الزمني.

## ١ رمضان<sup>(٧)</sup>

- ٢هـ / ٢٦ فبراير ٦٢٤م: أول رمضان صامه المسلمون. قيل: إنَّ فرضَ صيام رمضان كان يوم الإثنين ١ شعبان ٢هـ.

٢٠هـ / ١٤ أغسطس ٦٤١م: دخول الفتح الإسلامي مصر، حدث في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد القائد عمرو بن العاص. وقيامه بحصار حصن بابلين، بعد أن اكتسح في طريقه جنودَ الروم.

٥٦٥هـ / ١٩ مايو ١١٧٠م: مولد الإمام «أبو الربيع» سليمان بن موسى بن سالم ابن حسان الكلاعي الحميري، محدث الأندلس وبلغها، صاحب كتاب «الاكتفاء في مغازي المصطفى صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء».

- ٥٩٧هـ / ٥ يونيو ١٢٠١م: وفاة الأديب والمؤرخ الفارسي أبي عبد الله محمد ابن محمد بن حامد صفى الدين الملقب بعماد الدين الكاتب الأصفهاني، والمعروف بالعماد الكاتب، صاحب كتاب «خريدة القصر وجريدة أهل العصر»، وقد ذكر العماد فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (٥٧٢هـ)، وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب.. ولد بأصفهان وتوفي بدمشق، وعاصر الدولتين النورية والأيوبية. أرخ لصلاح الدين الأيوبي وفتح بيت المقدس في كتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي» وهو تاريخ سبع سنين من حياة السلطان صلاح الدين ووصف لمعركة حطين وطرده الصليبيين من بيت المقدس. وكتب عن تاريخ السلاجقة في كتابه «نصرة الفترة وعصرة القُطرة في أخبار الدولة السلجوقية».

- ٦٥٤هـ / ٢٢ سبتمبر ١٢٥٦م: تعرض المسجد النبوي لحريق عقب صلاة التراويح. حدث ذلك بسبب سقوط فتيل قنديل مشتعل من يد الفراش أبي بكر المراغي

- أحد خدمة المسجد - مما أدى إلى نشوب حريق كبير في المسجد المعظم، فأنت النار على جميع سقوفه، ووقعت بعض السواري وذاب الرصاص، وذلك قبل أن ينام الناس. ولم يستطع الناس فعل شيء أمام ألسنة اللهب الحارقة حتى احتراق سقف الحجرة النبوية الشريفة، التي فيها قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ووقع بعضه في الحجرة. (انظر: ابن العماد.. شذرات الذهب). ولم يسلم من تلك النار إلا قبة بناها الناصر لدين الله سنة ست وسبعين وخمسمائة ٥٧٦هـ وسط المسجد الشريف لحفظ ذخائر الحرم، مثل: المصحف العثماني وبعض المقتنيات، ضمن صناديق كبار صنعت بعد الثلاثمائة.

وإزاء ما حدث كتب أمير المدينة إلى الخليفة المستعصم يخبره الخبر، ويطلب منه المساعدة لإعادة بناء المسجد، وعلى الفور أرسل الخليفة مع الراكب العراقي الذاهب إلى الحج فريقاً من الصناع ومعهم الآلات اللازمة، وابتدئ بإعادة العمارة إليه أول سنة خمس وخمسين وستمائة. (انظر: د. محمد السيد الوكيل.. المسجد النبوي عبر التاريخ، ط ١، جدة، سنة ١٩٨٨م).

- ٧٣٢هـ / ٢٧ مايو ١٣٣٢م: مولد العلامة الموسوعي ورائد علم الاجتماع «عبد الرحمن بن خلدون»، بمدينة تونس.. توفي في ٢٥ رمضان ٨٠٨هـ الموافق ١٦ من مارس ١٤٠٦م، بمدينة القاهرة.

- ٨٦٩هـ / ٢٧ أبريل ١٤٦٥م: انطلاق أول مدفع يضرب في رمضان بمدينة القاهرة.

- ١٣١٩هـ / ١٢ ديسمبر ١٩٠١م: نجاح عالم الفيزياء الإيطالي «جوجليلمو ماركوني» في إطلاق أول بث إذاعي عبر المحيط الأطلنطي. من إنجازات «ماركوني» المهمة قيامه بإدخال عدة تحسينات على الإرسال التلغرافي اللاسلكي، وكانت سبباً في حصوله على جائزة نوبل بالاشتراك مع العالم البريطاني «فردينان براون»، عام ١٩٠٩.

- ١٣٦٩هـ / ١٧ يونيو ١٩٥٠م: توقيع «معاهدة الدفاع المشترك» بين الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية. احتوت المعاهدة على عدة بنود تتعلق بفض المنازعات

بين الدول الأعضاء بالطرق السلمية، وبنود أخرى تتعلق بمواجهة أي عدوان مسلح ضد الدول الأعضاء.

- ١٣٩٣ هـ / ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ م: الرئيس «السادات» يلقي خطابًا بمناسبة ذكرى وفاة الرئيس السابق «جمال عبد الناصر»، ويعلن قراره بسحب كل القضايا المتصلة بالشباب أمام المحاكم، وقرارًا ثانيًا بعودة جميع الصحفيين الموقوفين عن العمل إلى صحفهم.

- ١٤٢٥ هـ / ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤ م: استشهاد ١١٠ فلسطينيين بينهم ٣٠ طفلًا وإصابة ما يزيد على ٤٠٠ فلسطيني نصفهم من الأطفال خلال عملية اجتياح واسعة لشمال قطاع غزة استمرت ١٧ يومًا، وأطلقت عليها إسرائيل اسم «أيام الندم».

## ٢ رمضان

- ١١٤ هـ / ٢٦ أكتوبر ٧٣٢م: احتدام معركة «بلاط الشهداء» في سهول فرنسا، على ضفاف نهر اللوار، في المنطقة الواقعة بين مدينتي «تور» و«بواتيه»، وكانت بين المسلمين، بقيادة «عبد الرحمن الغافقي» والفرنجة بقيادة «شارل مارتل»، ولم تنته المعركة بانتصار أحد الفريقين، فقد انسحب المسلمون ليلاً تاركين ساحة القتال. وسميت ببلاط الشهداء لكثرة قتلى المسلمين فيها. وقد حدثت في عهد الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك.

- ١٣٢ هـ / ١٤ إبريل ٧٥٠م: استيلاء أبي العباس عبد الله، الشهير بأبي العباس السفاح، على دمشق، وبذلك سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية.

- ٢٥٥ هـ / ١٤ أغسطس ٨٦٩: مقتل الخليفة العباسي المعتز بالله، وكان المعتز بالله قد أجبر سلفه الملقب بالمستعين بالله على خلع نفسه من الخلافة والتنجي عن السلطة، قبل ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وكان الموالي قد ثاروا عليه وخلعوه بحضرة القضاة والفقهاء بعد أن قرعوه ووبخوه وتلاه في الخلافة محمد بن الواثق أبو عبد الله المسمى بالمهتدي، فتبع أموال المعتز، وأخذ له مالاً وجوهرات وطيباً ومتاعاً كثيراً. وأخذ من مال أخته ثلاثمائة ألف دينار ونادى المهتدي: من دل على مالٍ من ما لهم فله نصف العشر. فدل الناس على أموال كثيرة وعُذّب المعتز بألوان العذاب فلم يكن عنده مال (أي لم يقر على شيء) فأدخل حماماً ومنعوه الماء، حتى اشتد في الحمام عطشه وقارب التلف، ثم أخرج فأعطى ماء فيه ثلج كثير، فحين جرع منه جرعات مات. (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب).

- ٧٠٢ هـ / ٢٠ إبريل ١٣٠٣م: نشوب معركة «مرج الصفر» بالقرب من دمشق بين المماليك بقيادة الناصر «محمد قلاوون» والمغول بقيادة «قتلغ شاه»، وقد انتهت المعركة بنصر المماليك الذين أبلوا بلاء حسناً، ولما بلغت أبناء هذه الهزيمة سلطان المغول «محمود غازان» اغتم واشتد حزنه، حتى مات كمدًا.

- ١٣٠٥ هـ / ١٣ مايو ١٨٨٨م: دولة البرازيل تقرر إلغاء العمل بنظام الرق.

- ١٣٧٣هـ / ٥ مايو ١٩٥٤م: إغلاق جريدة «المصري» لصاحبها أحمد أبو الفتح.
- ١٣٩٣هـ / ٢٩ سبتمبر ١٩٧٣: صدور قرار من حكومة النمسا يقضي بإغلاق مركز تجميع اليهود المهاجرين إلى إسرائيل.

### ٣ رمضان

- ٣هـ / ١٧ فبراير ٦٢٥: الخروج لغزوة بدر الكبرى، وقيل إن الخروج لبدر كان في الثامن من رمضان.

- ١١هـ / ٢٢ نوفمبر ٦٣٢ م: وفاة السيدة «فاطمة» بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. رحلت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، وكانت أصغر بناته على المشهور، وليس له نسل إلا من جهتها. فقد تزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الهجرة، وذلك بعد بدر بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد ذلك بسبعة أشهر ونصف فأصدقها درعه الحطمية وقيمتها أربعمائة درهم. وكان عمرها إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر فولدت له حسناً وحسيناً ومُحَسَّناً وأم كلثوم التي تزوج بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك. وقيل: إنها لم تضحك في مدة بقائها بعد رحيل عليه السلام، وأنها كانت تذوب من حزنها عليه وشوقها إليه. وهى التي قالت لأنس قولتها الشهيرة: «يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراث على رسول الله صلى الله عليه وسلم». ويقال إنها أول من ستر سريرها عند حمل جنازتها.

- ٦٥هـ / ١٣ إبريل ٦٨٥ م: وفاة الخليفة الرابع من خلفاء بني أمية «مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية»، وهو أبو عبد الملك بن مروان. كان يلقب (بالمؤمن بالله). مات متأثراً بالطاعون وعمره ثلاث وستون سنة، ودفن بقبة دمشق، وكانت مدة خلافته سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، ويقال إن زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية خنقته، ثم صاحت وقالت: مات فجأة.

- ١٨١هـ / ٢٩ أكتوبر ٧٩٧ م: عزل عبيد الله بن المهدي بن أبي جعفر المنصور عن ولاية مصر. عزله هارون الرشيد وكان أخاه لأبيه.

- ٣٥٠هـ / ١٦ أكتوبر ٩٦١ م: وفاة «عبد الرحمن الداخل»، الملقب بالناصر لدين الله، ثامن الأمراء الأمويين في الأندلس.

- ١٣٠٥هـ / ١٤ من مايو ١٨٨٨ م: مولد الصحفية «ماري عبده»، إحدى رائدات الصحافة النسائية السورية، وصاحبة مجلة «العروس».. أول مجلة نسائية سورية، توفيت في ديسمبر ١٩٦٥ م.



- ١٣٠٧هـ / ٢٣ إبريل ١٨٩٠ م: استشهاد القائد المسلم الأمير «رابح بن الزبير» الذي أقام مملكة إسلامية في منطقة «تشاد»، وذلك بعد غزو الفرنسيين لمملكته واحتلال عاصمتها «ديكوا».

- ١٣٢٩هـ / ٢٨ أغسطس ١٩١١ م: مولد الكاتب والمؤرخ المصري «حسين مؤنس»، بمدينة السويس، صاحب «أطلس تاريخ الإسلام»، و«موسوعة تاريخ الأندلس».

- ١٣٤١هـ / ١٩ إبريل ١٩٢٣ م: صدور دستور ١٩٢٣ في مصر.

- ١٣٦٢هـ / ٣ سبتمبر ١٩٤٣ م: استسلام إيطاليا للحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

## ٤ رمضان

- ٩٢٧ هـ / ٨ من يوليو ١٥٢١ م: نجاح السلطان العثماني «القانوني» في فتح مدينة بلجراد، التي كانت تعد مفتاح أوروبا الوسطي، وصاحبة أقوى قلعة على الحدود المجرية العثمانية، وقد حاصر العثمانيون هذه المدينة ثلاث مرات: سنة ١٤٤١ م و١٤٥٦ م و١٤٩٢ م لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها إلا في عهد «القانوني».

- ١٣٦٣ هـ / ٢٣ أغسطس ١٩٤٤ م: وفاة الخليفة العثماني «عبد الحميد الثاني» آخر خلفاء الدولة العثمانية، في منفاه بباريس، عن عمر يناهز ٧٦ عامًا، بعد أن قضى عشرين عامًا في المنفى، إثر إلغاء الخلافة العثمانية، وطرده من تركيا في مارس ١٩٢٣ م، ودفن في المدينة المنورة.

- ١٣٦٧ هـ / ١١ يوليو ١٩٤٨ م: قيام وحدة كو ماندوز صهيونية بقيادة «موشيه ديان» بارتكاب مجزرة في مدينة «اللد» بفلسطين، حيث قامت باقتحام المدينة في المساء، وأمطرتها بوابل من القذائف المدفعية. وقد لجأ المواطنون إلى مسجد «دهمش» بالمدينة للاحتباء من الهجوم، الذي أسفر عن مقتل ٤٢٦ فلسطينيًا، ولم يكتف العدو بذلك، بل قاموا بعد توقف عمليات القتل باقتياد المدنيين إلى ملعب المدينة؛ حيث تم اعتقال الشباب، وأعطى الأهالي مهلة نصف ساعة فقط لمغادرة المدينة سيرًا على الأقدام دون ماء أو طعام؛ مما تسبب في وفاة الكثير من النساء والأطفال والشيوخ.

- ١٣٧٥ هـ / ١٥ أبريل ١٩٥٦ م: تشكيل أول وزارة تونسية بعد استقلال تونس عن فرنسا، برئاسة «الحبيب بورقيبة».

- ١٣٩٣ هـ / ١ أكتوبر ١٩٧٣: انعقاد أول اجتماع لمجلس التخطيط الأعلى بين مصر وليبيا.

## ٥ رمضان

- ١١٣ هـ / ١٠ نوفمبر ٧٣١ م: مولد القائد «عبد الرحمن الداخل» الملقب بـ «صقر قريش» ولد في دمشق، وقام بتأسيس الدولة الأموية في الأندلس.

- ٦٠٨ هـ / ١٠ فبراير ١٢١٢ م: وفاة الأديب والشاعر «ابن سناء الملك»، صاحب كتاب «دار الطراز في عمل الموشحات»، وهو أول كتاب يتصدى لمقومات فن الموشحات في تاريخ الأدب العربي، حيث قام ابن سناء بوضع أصول وقواعد نظم الموشح كما فعل الخليل بن أحمد الفراهيدي مع قواعد الشعر.

- ٦٦٦ هـ / ١٩ مايو ١٢٦٨ م: نجاح المسلمين بقيادة «بيبرس» في استرداد مدينة أنطاكية من يد الصليبيين بعد أن ظلت أسيرة في أيديهم لمدة ١٧٠ عامًا، وكان لوقوعها صدى كبير، فقد كانت ثاني إمارة - بعد الرها - يؤسسها الصليبيون في الشرق. وكانت مدينة أنطاكية من مدن الشام التي شملها الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، فتحت عقب معركة اليرموك بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح - رضي الله عنه -، وظلت بأيدي المسلمين إلى أن بدأت الحملات الصليبية على بلاد الإسلام سنة ٤٩١ هـ ١٠٩٧ م. فكانت من أوائل المدن التي سقطت في قبضة الصليبيين؛ وذلك لأهميتها البالغة عندهم بحكم موقعها المتحكم في الطرق الواقعة في المناطق الشمالية للشام؛ ولأنها مقر مملكة هرقل أيام الفتح الإسلامي للشام. وفي بعض المراجع ورد أنها فتحت يوم ١٤ رمضان من العام ذاته.

- ١٣١٠ هـ / ٢٣ مارس ١٨٩٣ م: مولد الشاعر الشعبي المصري الكبير «محمود بيرم التونسي». رائد فن الزجل في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين. توفي في ٥ يناير ١٩٦١.

- ١٣٢٢ هـ / ١٣ نوفمبر ١٩٠٤ م: مولد الدكتور «حلمي بهجت بدوي»، أحد أعلام القانون في مصر. ولد بمدينة الإسكندرية، وتوفي سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م. واختير رئيساً لجمعية القانون الدولي. وقد كرمته الدولة بإطلاق اسمه على أحد شوارع حي الإبراهيمية بمدينة الإسكندرية.

- ١٣٣٦ هـ / ١٤ يونيو ١٩١٨ م: الجيش العثماني يحتل مدينة «تبريز» الإيرانية أثناء الحرب العالمية الأولى.

## ٦ رمضان

- ٦٣هـ / ٩ مايو ٦٨٣ م: فتح بلاد السند على يد القائد الأموي «محمد بن القاسم» وكان ذلك في آخر عهد الوليد بن عبد الملك.

- ٢٢٣هـ / ١ أغسطس ٨٣٨ م: بدء حصار مدينة «عمورية» على يد الخليفة «المعتصم بالله»، ثامن الخلفاء العباسيين.. فتحها يوم ١٧ رمضان ٢٢٣هـ الموافق ١٢ أغسطس ٨٣٨ م. وكانت عمورية من أقوى الحصون الحربية الرومية.

- ٦ رمضان ٦٣هـ / ١٤ مايو ٦٨٢ م انتصار محمد بن القاسم على جيوش الهند عند نهر السند وبذلك تم فتح بلاد السند، وكان ذلك في آخر عهد الوليد بن عبد الملك.

- ٥٣٢هـ / ١٨ مايو ١١٣٨ م: تحقيق أول انتصار للمسلمين على الصليبيين بقيادة «عماد الدين زنكي» شمال الشام بحلب.

## ٧ رمضان

- ٣٦١هـ / ٢٢ يونيو ٩٧٢م: اكتمال بناء الجامع الأزهر وافتتاحه للصلاة. أنشأه القائد الفاطمي «جوهـر الصقلي» في القاهرة، العاصمة الجديدة للدولة الفاطمية، وظل منذ ذلك الوقت حتى الآن واحداً من أهم مراكز الإشعاع الحضاري في العالم الإسلامي. ويقال إن قاضي القضاة «أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني» هو أول من جلس بالجامع الأزهر في جمع حافل من العلماء والكبراء يقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت، فكانت هذه أول حلقة للدرس بالأزهر، وذلك في صفر من سنة ٣٦٥هـ / أكتوبر ٩٧٥م في أواخر عهد الخليفة «المعز لدين الله» الفاطمي أول خلفاء الدولة الفاطمية بمصر.

ثم توالى حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك، وكانوا من أكابر علماء المغرب الذين اصطفتهم الدولة الفاطمية وخصتهم بعنايتها، ومن ثم لحقوا بها في مصر، وشغلوا مناصب القضاء قرابة نصف قرن.

- ٣٦٢هـ / ١١ يونيو ٩٧٣م: مجيء الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله»، إلى القاهرة لأول مرة، قادمًا من المغرب. وبذلك أصبحت (القاهرة)، حاضرة الدولة الفاطمية حيث أعلن الخليفة المعز (القاهرة) عاصمة لدولته بعد أن كانت مدينة (المهدية) هي حاضرة الدولة الفاطمية.

ولد المعز في سنة ٣١٩هـ، وتسلم الحكم سنة ٣٤١هـ، وقضى ٢٤ عامًا في الحكم، وتوفي سنة ٣٦٥هـ وهو رابع الخلفاء الفاطميين.

- ٩٨٢هـ / ٢١ ديسمبر ١٥٧٤م: وفاة السلطان العثماني سليم خان. اشتهر بالكرم والرأفة بالرعية والعفو عن الجرائم كما كان حليماً محباً للعلماء والصلحاء. من أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس وفتح تونس وحلق الواد وفتح ممالك اليمن واسترجاعها. ويقال إنه أول من حُطب له بالحرمين من آل عثمان. دفن بقرب آيا صوفيا باستانبول.

١٤٠٩هـ / ١٣ إبريل ١٩٨٩م: الجيش الإسرائيلي يعتدي على قرية نحالين الفلسطينية، حيث اقتحمت قوة من حرس الحدود والجيش الإسرائيلي القرية وداهمت سكانها أثناء تأديتهم لصلاة الفجر، وأطلقت عليهم النار، مما أدى إلى استشهاد أربعة وجرح أكثر من اثنين وخمسين بينهم نساء وأطفال وشيوخ بعضهم بجروح خطيرة.

## ٨ رمضان

٩ هـ / الموافق ١٩ ديسمبر ٦٣٠ م: الخروج لغزوة تبوك، وقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم منها مؤيداً بالنصر في السادس والعشرين من الشهر نفسه، الموافق ٦ من يناير ٦٣١ م. وهي آخر غزوات النبي التي توطدت بها أركان الأمة الإسلامية. وتسمى هذه الغزوة أيضاً بـ«غزوة العسرة» لما اجتمع فيها من صعاب أمام جيش المسلمين وهو في طريقه إلى تبوك لملاقاة جيش الروم، تمثلت في ندرة المؤن وارتفاع حرارة الجو، وقلة الماء، وبعد المكان. ولم يجر فيها قتال أو مواجهة؛ إذ تشتت الجيش الروماني وتفككت أوصاله من الرهبة لملاقاة المسلمين.

٢٧٣ هـ / ٦ فبراير ٨٨٧ م: وفاة الإمام الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي القزويني، الشهير بابن ماجه، صاحب السنن والتفاسير أحد الصحاح الستة. ولد بقزوين سنة ٢٠٩ هـ.

٥٧٨ هـ / ٥ يناير ١١٨٣ م: وفاة المحدث والمؤرخ الأندلسي خلف بن عبد الملك الأندلسي، المعروف بـ«ابن بشكوال». صاحب كتاب الصلة الذي جمع فيه تراجم أعيان الأندلس مرتباً أسماؤهم ترتيباً أبجدياً، كما ألف العديد من الكتب، منها: الحكايات المستغربة، وغوامض الأسماء المبهمة، ومعرفة العلماء الأفاضل، وكتاب المستعنين عند المهات والحاجات وما يسر الله لهم من الإجابات. ولي قضاء بعض جهات أشبيلية، ثم ترك القضاء وتفرغ للعلم، عاش في قرطبة وتوفي فيها.

١٣١٥ هـ / ٣١ يناير ١٨٩٨ م: صدور مجلة «أنيس الجليس» النسائية في مدينة الإسكندرية، لصاحبها «ألكسندرا ميلتادي». حققت المجلة انتشاراً واسعاً، واستمرت تصدر لمدة عشر سنوات، حيث توقفت نهائياً عام ١٩٠٨ م.

١٣٩٣ هـ / ٤ أكتوبر ١٩٧٣: سريان حالة من التوتر في الجبهة السورية مع إسرائيل، ووصولها إلى درجة تهدد بالانفجار على طول خطوط المواجهة.

زائير تعلن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وأنها لن تعيد تلك العلاقات إلا بعد جلاء إسرائيل عن الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧.

- ٢١٢هـ / الموافق ١ ديسمبر ٨٢٧م: فتح صقلية على يد زياد بن الأغلبي.

- ٢٩٢هـ / تحرك الخليفة العباسي المكتفي بالله للقضاء على الحركة الباطنية المعروفة بالقرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط، وكانت فتنتهم قد استشرت في بادية الشام. خرج المكتفي بالله متوجهاً نحوهم من عاصمته في العراق في قواده ومواليه وغلمايه وجيوشه، وأخذ على طريق الموصل إلى الرقة وأقام بها، وأصاب عنه في قيادة الجيوش هذه القاسم بن عبيد الله، ثم وجه أحد قواده وهو محمد بن سليمان في جيش ضخم وآلة جميلة وسلاح شالك نحو القرمطي، فلم يزل يعمل التدبير ويذكي العيون ويتعرف الطرقات حتى التقى محمد بن سليمان مع القرامطة على اثني عشر ميلاً من حماه، وثبت المسلمون حتى منحهم الله أكتاف القرامطة فهزم موهم شر هزيمة، وهرب القرمطي الملقب بصاحب الخال، لكنه ألقى القبض عليه أخيراً ووجيء به إلى المكتفي بالله في مدينة السلام فتقله. (بغية الطلب في تاريخ حلب).

- ٢٩٧هـ / ٢٢ مايو ٩١٠م: وفاة الفقيه والعلامة «محمد بن داود بن علي الظاهري»، أحد أئمة الفقه في القرن الثالث الهجري، صاحب كتب: «الزهرة في الأداب» الذي جمع فيه نوادر وأشعاراً. إضافة إلى العديد من المؤلفات الأخرى مثل: «التقصي في الفقه» و«الوصول إلى معرفة الأصول»، و«اختلاف مسائل الصحابة»، وكتاب «المناسك»، وكتاب الفرائض.

- ١٣٢٦هـ / ٥ أكتوبر ١٩٠٨م: القيصر النمساوي «فرانتس جوزيف الأول» (١٨٣٠-١٩١٦م) يعلن ضم بلاد البوسنة والهرسك ذات الأغلبية المسلمة إلى بلاده، بعد ثلاثين عاماً من احتلال الدولة العثمانية لها، وذلك في إطار خطة تقسيم أملاك الدولة العثمانية.

١٣٢٦ هـ / ٥ أكتوبر ١٩٠٨ م: بلغاريا تعلن انفصالها عن الدولة العثمانية وقيام نظام الحكم الملكي فيها، وقد وافقت الدولة العثمانية على هذا الاستقلال في إبريل ١٩٠٩ مقابل حصولها على ٥ ملايين ليرة ذهبية.

- ١٣٩٣ هـ - ٥ أكتوبر ١٩٧٣ م: دول الخليج تبلغ شركات البترول العربية أنها بصدد زيادة أسعارها بنسبة الثلثين.



٨- هـ / ١ يناير ٦٣٠ م: قيام الرسول ﷺ وأصحابه بالتحرك لفتح مكة.. تم فتحها في ٢١ رمضان ٨ هـ الموافق ١١ يناير ٦٣٠ م، وقد سُمي ذلك العام بعام الفتح.

١٣٢- هـ / ٢١ إبريل ٧٥٠ م: مقتل الخليفة الأموي الوليد بن معاوية.

٤٨٥- هـ / ١٤ أكتوبر ١٠٩٢ م: اغتيال الوزير «أبي على الحسن على بن إسحاق»، المعروف بنظام الملك، أحد مشاهير وزراء الدولة السلجوقية في التاريخ الإسلامي، وصاحب فكرة المدارس الفقهية المعروفة بالمدارس النظامية في بغداد، التي تخرج فيها خيرة العلماء والفقهاء. وهي تعتبر أول نوع من المدارس التعليمية النظامية ظهر في تاريخ الإسلام، وقد توفر لطلابها أسباب العيش والتعليم، وكان الطلاب يتناولون فيها الطعام، وتجري على كثير منهم رواتب شهرية.

٦٤٨- هـ / ٦ ديسمبر ١٢٥٠ م: انتصار شجرة الدر (زوجة الملك الصالح) في معركة المنصورة على لويس التاسع؛ حيث أسر هو وقتل عدد كبير من جنوده.

٩٦١- هـ / ٩ أغسطس ١٥٥٤ م: نشوب حرب بحرية طاحنة في مضيق «هرمز» بالخليج العربي بين الأسطولين العثماني والبرتغالي، استمرت ١٨ ساعة بدون توقف.

١٣٨٠- هـ / ٢٦ فبراير ١٩٦١ م: وفاة الملك المغربي «محمد الخامس» إثر عملية جراحية. وتولية ابنه الملك «الحسن الثاني» حكم المغرب في ١٦ رمضان ١٣٨٠ هـ الموافق ٣ مارس ١٩٦١ م.

١٣٩٣- هـ / ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م: بدء معركة أكتوبر المجيدة وارتفاع أول علم مصري على أرض سيناء.

٩٥ هـ الموافق ٣٠ مايو ٧١٤ م: استشهاد سعيد بن جبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي.

كان سعيد بن جبير من كبار التابعين، الذين اقتفوا أثر المصطفى، وقد وثقه أهل العلم كافة، حتى قالوا في وصفه: ثقة إمام حجة على المسلمين. لازم سعيد بن جبير عبد الله بن عباس، فأخذ عنه القرآن وتفسيره، وتلقى عنه القراءات القرآنية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ بها، وتفقه على يديه في الدين، وتعلم منه علم التأويل، حتى أصبح من المكانة ما جعل بعض معاصريه يقول فيه: مات سعيد بن جبير، وما على ظهر الأرض أحد من أهل زمانه إلا وهو محتاج إلى علمه.

٣١٩ هـ / ٢٧ سبتمبر ٩٣١ م: مولد الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله». ولد المعز لدين الله بالمهدية من أفريقية، وعاش خمساً وأربعين سنة ونصف السنة. كما يقول ابن الأثير. وهو الذي أرسل قائده جوهر الصقلي لفتح مصر.

٦٢٤ هـ / ٢٥ أغسطس ١٢٢٧ م: وفاة الغازي «تيموجين بن يسوكاي بهادرالغازي»، المعروف بجنكيز خان، مؤسس إمبراطورية المغول. ولد جنكيز خان عام ٥٤٩ هـ في منغوليا لأب كان رئيساً لقبيلة مغولية. وسمى ولده الذي ولد يوم انتصاره على إحدى القبائل التي كان يتنازع معها باسم رئيسها المهزوم (تيموجين).

٧٦٤ هـ / ٢٤ يونيو ١٣٦٣ م: وفاة المؤرخ الكبير «محمد بن شاكر بن أحمد»، المعروف بابن شاكر الكتبي، أحد أعلام المؤرخين في القرن الثامن الهجري، وصاحب كتاب «عيون التواريخ»، و«فوات الوفيات».

٩٨٦ هـ / ١١ نوفمبر ١٥٧٨ م: انتصار العثمانيين على الصفويين في معركة «شاهي» في القفقاس، ضمن سلسلة من الحروب نشبت بين الجانبين من أجل السيطرة على زعامة العالم الإسلامي. وقد خسر الصفويون في تلك المعركة ١٥ ألف قتيل.

- ١٣٩٣ هـ / ٧ أكتوبر ١٩٧٣ م: وزير الخارجية المصري يصرح باستعداد مصر لقبول وقف إطلاق النار إذا وافقت إسرائيل على الانسحاب من الأراضي المحتلة.  
: الرئيس القذافي يعلن أن ليبيا ستمول المعركة التي تخوضها مصر وسورية بالمال والبتروول.

: وزارة الخارجية الإسبانية تعلن أن إسبانيا لن تسمح لأمريكا باستخدام قواعدها في حالة تدخل أمريكا في القتال في الشرق الأوسط.

## ١٢ رمضان

- ٣٢ هـ / ١٦ إبريل ٦٥٣ م: وفاة «العباس بن عبد المطلب»، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- ٢٦٥ هـ / ٨ مايو ٨٧٩ م، بناء جامع ابن طولون في القاهرة. وهو ثاني أقدم جامع في مصر بعد جامع عمرو، وأقدم جامع باق على حالته الأصلية. وبنى على نمط جامع سامراء ببغداد.

- ٥٩٧ هـ / ١٦ يونيو ١٢٠١ م: وفاة الإمام «الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي»، المعروف بابن الجوزي، شيخ العراق، وإمام الحديث والفقهاء واللغة والتفسير. له مؤلفات كثيرة بلغت نحو ثلاثمائة مصنف، من أبرزها: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، و«صفو الصفوة» و«أخبار الأذكىاء».

- ٧٤٨ هـ / ٢٢ ديسمبر ١٣٤٧ م: خلع المظفر «حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون» وفي بعض المراجع خلع يوم ١٨ رمضان من العام ذاته. بدأ عصره بخفض الأسعار أول ما ولى، ولكنه لم يلبث أن انغمس في الشهوات والملذات، وأقبل على اللهو والشغف بالنساء وصار - كما يقول ابن حجر في الدرر الكامنة - يحضر الأوباش بين يديه يلعبون بالصراع وغيره.

وفي النجوم الزاهرة كان يقف مع مطيري الحمام ويراهن على الطير الفلاني والطيبة الفلانية. وكان يتباهى بما لا يليق به أن يفعله. واستعدى كبار القواد عليه، فأخذوا في التدبير ضده.

وخلفه أخوه الناصر حسن الذي أنشأ مسجد ومدرسة السلطان حسن، ويمثل ذرى نضوج العمارة المملوكية. نصب السلطان حسن يوم ١٤ رمضان من العام ذاته. وصف ابن تغري في (النجوم الزاهرة) السلطان حسن بقوله: كان سلطاناً شجاعاً مقداماً كريماً حازماً مدبراً ذا شجاعة وصرامة وهيبة ووقار عالي الهمة كثير الصدقات والبر. ومما يدل على علو همته مدرسته التي أنشأها بالرميلة تجاه قلعة الجبل، وهي المدرسة التي لم يُبَيَّن

في الإسلام نظيرها، ولا حكاها معمار في حسن عملها، وهي في الجملة أحسن ما بني في الدنيا شرقاً وغرباً في معناها بلا مدافعة.

- ١٣٣٢ هـ / ٤ أغسطس ١٩١٤ م: نشوب الحرب العالمية الأولى.

- ١٣٩٣ هـ / ٨ أكتوبر ١٩٧٣ م: سيطرة القوات المصرية تماماً على خط بارليف بطول القناة وتحرير مدينة القنطرة شرق.

- الحكومة العراقية تضع جميع القوات المسلحة العراقية تحت تصرف القيادة المصرية السورية.

- الفدائيون الفلسطينيون يستولون على مستعمرة «أبوروس» الإسرائيلية الواقعة على خط إطلاق النار بين سورية وإسرائيل.

## ١٣ رمضان

- ١٥هـ / ١٩ أكتوبر ٦٣٦م: وصول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى فلسطين بعد معارك ضارية لفتح بلاد الشام، وتسلمه مفاتيح مدينة القدس وكتابه لأهلها يؤمن أرواحهم وأموالهم.

- ٢٠٢هـ / ٢٥ مارس ٨١٨م: ثورة أهالي الأندلس في قرطبة ضد الأمير «الحكم ابن هشام» المعروفة بثورة «أهل الربض». (انظر: أحداث ونوادير غربية في رمضان).

- ٤١٤هـ / ٢٩ نوفمبر ١٠٢٣م: مبايعة عبد الرحمن بن هشام بالخلافة في قرطبة. تلقب بالمستظهر بالله، ولم تدم خلافته سوى شهر واحد وسبعة عشر يومًا.

- ٨٨٦هـ / ٥ نوفمبر ١٤٨١م: سقوط صاعقة على المسجد النبوي الشريف، نتج عنها احتراق سقوف المسجد والمنبر والأبواب، وسلمت القبة والقبر.

- ١٢٦٥هـ / ٢ أغسطس ١٨٤٩: وفاة محمد علي باشا، مؤسس مصر الحديثة.

- ١٣٨١هـ / ١٨ فبراير ١٩٦٢م: وفاة الضابط «صلاح سالم» أحد أعضاء حركة الضباط الأحرار التي قامت بثورة ٢٣ يوليو بمصر.

- ١٣٩٣هـ / ٩ أكتوبر ١٩٧٣م: صدور أمر عسكري مصري باعتبار الأسلحة والذخيرة التي يملكها المواطنون بغير ترخيص، مرخصًا بحملها ابتداء من اليوم حتى يمكن استخدامها في الدفاع عن الوطن.

- توقف النشاط تمامًا في بورصة تأجير ناقلات البترول في لندن.

## ١٤ رمضان

٣٥٩هـ / ٢١ يوليو ٩٧٠م: وضع حجر الأساس والبدء في بناء الجامع الأزهر بالقاهرة، وتم بناؤه في قرابة ستين تقريباً.

- ٥٧٠هـ / ٨ إبريل ١١٧٥ م: استيلاء صلاح الدين على قلعتي حمص وبعليك. لما استقر ملك صلاح الدين لدمشق سار إلى مدينة حمص وفي قلعتها وال يحفظها. فلما نزل صلاح الدين على حمص راسل من فيها بالتسليم فامتنعوا، فقائلهم من الغد فملك البلد وأمن أهله، وامتنعت عليه القلعة. واقتضى الحال أن يترك حمص ويجعل فيها من يحفظها، ويمنع من بالقلعة من التصرف أو أن تصعد إليهم ميرة (مؤن) ثم سار إلى حماه فحلب، ثم عاد أدراجه إلى حمص ثانية سريعاً لملاقاة ملك الفرنجة «ريموند» الذي أراد استغلال غياب صلاح الدين لاحتلال حمص. فلما وصل صلاح الدين إلى الرستن وسمع الفرنجة بقدومه رحلوا عن حمص، ووصل إليها صلاح الدين فأعاد حصار القلعة ثانية إلى أن ملكها ثم سار منها إلى بعليك وبها وال اسمه يمن، فحاصرها وتسلم القلعة. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ. حوادث سنة ٥٧٠هـ).

- ٦٣٠هـ / ٢٤ يونيو ١٢٣٣ م: وفاة «مظفر الدين كوكبوري»، أمير إربل، أحد كبار القادة الذين شاركوا صلاح الدين الأيوبي في جهاده ضد الصليبيين.

- ٦٧٠هـ: ١٤ أبريل ١٢٧٢ م: الانتهاء من وضع كتاب رياض الصالحين للإمام النووي الدمشقي. قال عن كتابه: رأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة ومحصلاً لأدابه الباطنة.

- ٩٢٢هـ / ١١ أكتوبر ١٥١٦ م: ولاية السلطان «طومان باي» الحكم في مصر بعد مقتل آخر سلاطين الدولة المملوكية، السلطان «قائصوه الغوري» في معركة مرج دابق، والذي بمقتله سقطت الدولة المملوكية في قبضة العثمانيين، وأصبحت مصر ولاية عثمانية.

- ١٣٢٤هـ / ١ من نوفمبر ١٩٠٦ م: صدور أول صحيفة هزلية في تونس باسم «ترويح النفوس» أصدرها الصحفي التونسي السيد «عزوز الخياري» اتخذ لها شعاراً: سلوى للمحزونين، ظاهرها الهزل الراقق وباطنها الجد الشائق.

- ١٣٩٣ هـ / ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ م: العدو الإسرائيلي يحاول الإغارة على بعض المواقع الجوية المصرية بمحافظة الشرقية ويلقي عبوات ناسفة على هيئة ساعات وعلب مأكولات وأقلام، نتج عنها إصابة العديد من المدنيين.  
: جمهورية فولتا العليا تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: الحكومة البريطانية تقرر إجراء حظر على تصدير الأسلحة إلى أي من الجانبين المتحاربين في الشرق الأوسط.

: شركة الخطوط الجوية المغربية تلغي رحلاتها لكي توفر الطائرات التي تستخدم في نقل قوات مغربية إلى جبهة القتال.

: نقابة المعلمين المصرية تقرر تحويل مدرسة في كل محافظة إلى مستشفى طوارئ بعد تجهيزها بالمعدات اللازمة ووضعها تحت تصرف اللجنة العليا للمعركة.

- ١٤١٤ هـ / ٢٥ فبراير ١٩٩٤: مذبححة الحرم الإبراهيمي، قام بها متطرف إسرائيلي يدعى باروخ جولدشتاين، وراح ضحيتها ٢٩ مصليًا و ١٥٠ جريحًا.



## ١٥ رمضان

- ٣هـ / ١ مارس ٦٢٥ م: مولد الإمام «الحسن بن علي بن أبي طالب». حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم من السيدة فاطمة الزهراء.

٣٧هـ / ٢٤ فبراير ٦٥٨ م: ولاية محمد بن أبي بكر الصديق على مصر.

٣٧هـ / ٢٤ فبراير ٦٥٨ م: وفاة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما.

- ٣٥٨هـ / ٢ أغسطس ٩٦٩ م: دخول القائد الفاطمي «جوهر الصقلي» مصر وبداية العهد الفاطمي بها.

- ١٣٠٦هـ / ١٥ مايو ١٨٨٩ م: مولد الشاعر اللبناني الكبير «إيليا أبو ماضي»، أحد شعراء المهجر المعروفين، الذي هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستقر هناك. من دواوينه: «تذكار الماضي، والجداول، والخمائل».

- ١٣٢٥هـ / ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ م: الإعلان عن تأسيس الحزب الوطني المصري بزعامة «مصطفى كامل».

- ١٣٥٩هـ / ١٧ أكتوبر ١٩٤٠ م: وفاة المؤرخ المصري الكبير «أحمد شفيق».. ولد بالقاهرة، وتلقى تعليمه بها واستكماله في فرنسا، وبعد عودته عمل لدى الخديو عباس حلمي، ثم اعتزل العمل السياسي واشتغل بالتأليف والبحث، ومن أشهر أعماله: «حوليات مصر السياسية»، و«مذكراتي في نصف قرن».

- ١٣٩٣هـ / ١١ أكتوبر ١٩٧٣ م: ميادين القتال مع العدو الإسرائيلي تشهد أعنف المعارك البرية والجوية منذ بدء العمليات.

: ٣٧ عضواً من أعضاء مجلس الأمة الكويتي «من إجمالي ٥٠ عضواً» يوقعون بياناً يحثون فيه الحكومة الكويتية على سحب مدخراتها من الولايات المتحدة وإعادة النظر في صادرات البترول إليها.

- ٧٠٩ هـ / ١٧ فبراير ١٣١٠ م: نهاية حكم الملك «المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير» وتولي الملك «الناصر محمد بن قلاوون» ولاية مصر للمرة الثالثة.

- ٨٤٥ هـ / ٢٨ يناير ١٤٤٢ م: وفاة المؤرخ «تقي الدين أحمد بن علي المقرئ» صاحب الخطط المقرئية. (انظر أعلام المعجم).

- ١٣٠٧ هـ / ٦ مايو ١٨٩٠ م: مولد العالم الكبير الشيخ «حسنين محمود حسنين مخلوف» مفتي الديار المصرية وأحد أعلام الفقه في العالم الإسلامي في القرن العشرين. توفي في ١٩ رمضان ١٤١٠ هـ / ١٥ إبريل ١٩٩٠ م.

- ١٣٦٠ هـ / ٧ أكتوبر ١٩٤١ م: وفاة الفيلسوف الفرنسي «هنري برجسون». ولد سنة ١٨٥٩ م، وعمل أستاذًا في الكوليج دي فرانس، ونال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٢٧ م، ومن مؤلفاته: «الزمن والإدارة الحرة»، «الذاكرة»، و«التطور الخلاق»، وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربية.

- ١٣٩٣ هـ / ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ م: السلطات المصرية تصدر القوانين الخاصة بضريبة الجهاد الجديدة المخصصة لمساهمة الشعب بجميع فئاته في تكاليف المعركة.

: الصين الشعبية تقدم لمصر مبلغ ١٠ ملايين دولار و ١٠٠ ألف طن من القمح مساهمة منها في أعباء المعركة.

## ١٧ رمضان

- ٢هـ / ١٣ مارس ٦٢٤ م: غزوة بدر الكبرى».. أول وأعظم انتصار للمسلمين على قريش» ويطلق عليها (غزوة الفرقان).

- ٤٠هـ / ٢٤ يناير ٦٦١ م: استشهاد الإمام «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه، على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

- ٥٨هـ / ١٣ يوليو ٦٧٨ م: وفاة «السيدة عائشة» رضي الله عنها، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ودفنت بالبقيع.

- ٥٦٠هـ / ٢٨ يوليو ١١٦٥ م: مولد الشيخ «أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائفي»، المعروف بمحمي الدين بن العربي، الملقب بالشيخ الكبير، صاحب «الفتوحات المكية».

- ١٢١٢هـ / ٥ مارس ١٧٩٨ م: صدور قرار من الحكومة الفرنسية بالموافقة على قيام حملة عسكرية بقيادة نابليون بونابرت لغزو مصر، وهي الحملة المعروفة باسم الحملة الفرنسية على مصر.

- ١٢٥٦هـ / ١٢ نوفمبر ١٨٤٠ م: استعادة سيطرة الجيش العثماني على مدينة حلب السورية بعد خروج الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا من بلاد الشام، وفقاً لمعاهدة لندن في يوليو ١٨٤٠ م التي نصت على رحيل جيوش والي مصر محمد علي باشا من بلاد الشام وعودة سيطرة الدولة العثمانية عليها.

- ١٣٩٣هـ / ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ م: جمهورية الكاميرون تقطع علاقاتها مع إسرائيل. : أجهزة الرادار المصرية تكتشف اختراق طائرتي استطلاع أمريكيتين للمجال الجوي المصري على بعد ٢٥ كم.

: حكومة نيجيريا تبرع بمبلغ ٦٠٠,٠٠٠ جنيه لضحايا الحرب في مصر.

## ١٨ رمضان

- ٢١هـ / ٢٠ أغسطس ٦٤٢ م: وفاة القائد الإسلامي «خالد بن الوليد» الشهير بسيف الله المسلول. صاحب العديد من الفتوحات والانتصارات على أعتى إمبراطوريتين هما «الفرس» و«الروم»، وقد قضى حياته كلها بين كُرٍّ وقرٍّ وجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق ونصرة الدين.

- ٤٠هـ الموافق ٢٤ يناير ٦٦١ م: مبايعة الحسن بن علي رضي الله عنهما بالخلافة بعد مقتل أبيه.

- ٣٩٨هـ / ٢٧ مايو ١٠٠٨ م: وفاة العالم الفلكي المصري الشهير على بن يونس. من أهم مجهوداته العلمية رصدته لكسوف الشمس لعامي ٣٦٨هـ / ٩٧٧ م و٣٦٩هـ / ٩٧٨ م. خلف ابن يونس عددًا من المؤلفات معظمها في الفلك والرياضيات من أهمها: كتاب الزيج الحاكمي، وكتاب الظل، وهو عبارة عن جداول للظل وظل التمام، وكتاب غاية الانتفاع ويحتوي على جداول عن السمات الشمسية، وقياس زمن ارتفاع الشمس من وقت الشروق وجداول أوقات الصلاة، وكتاب الميل، وهو عبارة عن جداول أوضح فيها انحراف الشمس، وكتاب التعديل المحكم وهو مغادلات عن ظاهرة الكسوف والخسوف، إضافة إلى كتابين آخرين أحدهما في التاريخ، بعنوان تاريخ أعيان مصر، والآخر في الموسيقى، بعنوان العقود والسعود في أوصاف العود.

- ٤٠٥هـ / ١٢ مارس ١٠١٥ م: وفاة الإمام الفارسي «ابن الليث الكشي»، من كبار أئمة بلاد فارس.

- ٨٣٤هـ / ٣٠ مايو ١٤٣١ م: تنفيذ حكم الإعدام حرقًا في المناضلة الفرنسية «جان دارك» وهي في التاسعة عشرة من عمرها، ولدت عام ١٤١٢ م، وقاومت الاحتلال البريطاني لبلادها وهي في الثالثة عشرة، وعرفت بـ«عذراء أوليانز» نسبة إلى مدينتها التي احتلها الإنجليز.

- ١٣٣٠هـ / ٣١ أغسطس ١٩١٢ م: توقف جريدة «اللواء»، التي كان يصدرها «الحزب الوطني» بزعامة «مصطفى كامل» عن الصدور أثر سلسلة من المقالات هاجمت الحكومة والاحتلال الإنجليزي.. صدر العدد الأول من الجريدة في ٢ يناير ١٩٠٠ م.

- ١٣٣٣هـ / ٣٠ يوليو ١٩١٥ م: توقف صحيفة «الجريدة» عن الصدور.. رأس

تحريرها «أحمد لطفي السيد»، وصدر العدد الأول منها في ٩ مارس ١٩٠٧، وحملت لواء الدعوة إلى «المصرية» ومعارضة الاتجاه إلى تركيا دولة الخلافة وقتذاك.

- ١٣٣٨ هـ / ٥ يونيو ١٩٢٠ م: سفر الزعيم المصري «سعد زغلول» إلى لندن لمواصلة المفاوضات مع وزير المستعمرات البريطاني اللورد «ملنر»، بشأن المسألة المصرية، ولتحديد طبيعة العلاقة بين مصر وبريطانيا.

- ١٣٥١ هـ / ١٥ يناير ١٩٣٣ م: صدور العدد الأول من مجلة «الرسالة» الأدبية في القاهرة، أشهر المجلات الثقافية والأدبية والعربية، التي ظهرت في تاريخ الأدب العربي الحديث، وقد رأس تحريرها الأديب الكبير «أحمد حسن الزيات»، وكانت تصدر في البداية أسبوعيًا، ثم تحولت إلى نصف شهرية، واستمرت في الصدور حتى توقفت في ٢٣ فبراير ١٩٥٣ م، بعد أن بلغ عدد أعدادها ١٠٢٥ عددًا.

- ١٣٩٣ هـ / ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ م: الأجواء المصرية تشهد معركة جوية في شمال الدلتا خسر فيها العدو الإسرائيلي ١٥ طائرة مقابل ٣ طائرات للجيش المصري.

: العدو الإسرائيلي يحاول الإغارة على مطار دمشق الدولي.

- ٦٦٥ هـ / ١٣ يونيو ١٢٦٧ م: وفاة العلامة النحوي الإمام «أبو شامة». هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد المقدسي الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي الأصولي المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة، أصله من القدس، صاحب: شرح الشاطبية، وزهر الروضتين. والمرشد الوجيز. ولُقِّبَ أبا شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر.

- ٧٨٤ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٣٨٢ م: تولى السلطان «الظاهر برقوق الأول» «برقوق بن أنص» الحكم في مصر بعد فترة قلاقل واضطرابات، والسلطان برقوق هو مؤسس دولة المماليك الثانية المعروفة بدولة المماليك البرجية الجراكسة.

- ١٠٩٤ هـ / ١١ سبتمبر ١٦٨٣ م: الجيش العثماني يتعرض لهزيمة قاسية في معركة «ألان داغي» أثناء حصاره لفينا للمرة الثانية، استشهد خلالها ١٠ آلاف عثماني، وتعد هذه المعركة واحدة من أهم المعارك التي أسهمت في تغيير مجري التاريخ العالمي.

- ١٣٧٥ هـ / ٣٠ إبريل ١٩٥٦ م: صدور قرار من الحكومة التونسية ينص على أن يكون جامع الزيتونة جامعة مختصة بالعلم، يطلق عليها «الجامعة الزيتونية».

- ١٣٩٣ هـ / ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ م: القوات المصرية تعزز قبضتها على المواقع التي استعادتها في عمق سيناء.

:الاتحاد السوفيتي يعلن إصراره على مساعدة العرب بكل الوسائل لتحرير أراضيهم المحتلة، بما في ذلك تزويدهم بالسلاح.

:الخارجية الأمريكية تعلن عن إمدادها لإسرائيل بالعتاد العسكري الثقيل خلال اليومين الماضيين.

:الإذاعة المصرية تذيع برنامجاً لتدريس المناهج المقررة على تلاميذ المرحلتين الابتدائية والإعدادية بعد إغلاق المدارس بسبب الحرب.

## ٢٠ رمضان

- ٥١ هـ / ٣٠ سبتمبر ٦٧١ م: بناء مسجد القيروان على يد «عقبة بن نافع».
- ٢٠٢ هـ / ١ إبريل ٨١٨ م: رحيل آلاف الأندلسيين من قرطبة بعد فشل ثورتهم ضد حكم الأمير «الحكم بن هشام» الذي بطش بالثوار بطشاً شديداً، وهدم منازلهم وشردهم في الأندلس، فرحلت جماعة منهم تبلغ نحو ١٥ ألف إلى مصر، ثم ما لبثوا أن غادروها إلى جزيرة «أفريطش» بكريت سنة ٢١٢ هـ، حيث أسسوا بها دولة صغيرة استمرت قرابة قرن وثلث.
- ٦٧٢ هـ / ٣٠ مارس ١٢٧٤ م: وفاة العلامة الزاهد «أبو عبد الله محمد بن سليمان ابن عبد الملك بن علي المعافري»، المعروف بالإمام الشاطبي. نزيل الإسكندرية، قرأ بالسبع في الأندلس وبرع في القراءات والتفسير وله تفسير صغير.
- ١٣٩٣ هـ / ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ م: الرئيس السادات يلقي خطاباً في مجلس الشعب يعلن فيه موقف مصر وأهدافها للسلام.
- : مصر تستقبل طائرة خاصة مقدمة من الكويت تحمل ٣٠ طناً من الأدوية والمعدات الطبية للمجهود الحربي.
- ١٤٣٠ هـ / ١٠ سبتمبر ٢٠٠٩: وفاة المؤرخ المصري الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.

## ٢١ رمضان

- ٩٥هـ / ٩ يونيو ٧١٤م: وفاة «الحجاج بن يوسف الثقفي»، أحد أشهر رجال الدولة الأموية، وواحد من مشاهير التاريخ الإسلامي، اشتهر بالقوة والعنف في معاملة خصومه وأعداء الدولة، وفي الوقت نفسه أسدى للدولة خدمات جليلة، يأتي في مقدمتها: استقرار الأمن، واستئناف الفتوحات الإسلامية، وإنشاء مدينة واسط، وتنقيط المصحف الشريف. (وقيل إنه توفي في الثالث والعشرين من رمضان من العام ذاته وقال ابن كثير توفي في السابع والعشرين منه).

- ٧٢٦هـ / ٢١ أغسطس ١٣٢٦م: وفاة السلطان العثماني عثمان الأول، مؤسس الدولة العثمانية، خلفه في الحكم على عرش السلطنة العثمانية ابنه أورخان، وهو ثاني سلاطينها، عمل على تدعيم أركان الدولة، وتوسيع رقعتها، وأنشأ الفرقة المعروفة بالانكشارية.

- ٧٣٣هـ / ٥ يونيو ١٣٣٣م: وفاة الإمام الفقيه والمؤرخ «شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب»، المعروف بالنويري.

- ١٢٧٥هـ / ٢٤ إبريل ١٨٥٩م: بدء أعمال الحفر في قناة السويس.. استمر الحفر ١٠ سنوات ونصف، وشارك فيه قرابة ٦٠ ألف فلاح مصري، وبلغ طولها آنذاك ١٦٢,٥ كم، وافتتحت للملاحة في ١٩ نوفمبر ١٨٦٩م.

- ١٢٨٦هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨٦٩م: مولد الأديب «شكيب أرسلان» أمير البيان العربي، أول من دعا إلى إنشاء جامعة عربية، وأحد أبرز رواد الإصلاح وزعماء التحرر الوطني ضد الاستعمار، وصاحب كتابي «الحلل السندسية» و«تاريخ غزوات العرب». توفي في ٩ ديسمبر ١٩٤٦.

- ١٣٧٥هـ / ٢ مايو ١٩٥٦م: المملكة الليبية تطبق قانون مقاطعة إسرائيل بعد ضغوط شعبية كبيرة، وتنشئ مكتباً للمقاطعة في طرابلس.



-١٣٩٣ هـ / ١٧ من أكتوبر ١٩٧٣ م: بداية أضخم معارك الدبابات في العصر الحديث بين مصر وإسرائيل في القطاع الأوسط من صحراء سيناء.

: الدول العربية المنتجة للبتروال تقرر خفض إنتاجها من البتروال بحد أدنى ٥٪ وتزداد بنسبة ٥٪ أخرى كل شهر حتى يتم جلاء إسرائيل عن الأراضي المحتلة.

: الحكومة الجزائرية توقف تنفيذ خطة التنمية لتوجيه كل إمكاناتها المادية للاشتراك في المعركة.

## ٢٢ رمضان

٢ هـ / ١٨ مارس ٦٢٤ م: غزو الرسول صلى الله عليه وسلم لبني سليم ومكوثه فيها ثلاث ليال دون مقاومة.

٨ هـ / ١٣ يناير ٦٣٠ م: موقعة الطائف.

٢٧٣ هـ / ٢٠ فبراير ٨٨٧ م: وفاة الإمام الحافظ «أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني»، الشهير بابن ماجة، صاحب السنن، أحد كتب الصحاح الستة.

٢٧٧ هـ / ٧ يناير ٨٩١ م: مولد «عبد الرحمن الناصر» ثامن أمراء الأندلس من بني أمية، وأول من تسمي بها بأمير المؤمنين، وتلقب بألقاب الخلافة، استمر عصره نحو نصف قرن، ويعتبر من أزهى عصور الأندلس.

٣٥٤ هـ / ٢١ سبتمبر ٩٦٥ م: مقتل الشاعر المعروف أبي الطيب المتنبي.

١٢٩٨ هـ / ١٨ أغسطس ١٨٨١ م: قبائل الغرب والجنوب الغربي التونسي تعلن الجهاد ضد الفرنسيين المحتلين.

١٣٧١ هـ / ١٥ يونيو ١٩٥٢ م: صدور العدد الأول من جريدة «الأخبار» المصرية التي أسسها الأخوان «علي ومصطفى أمين».

١٣٧٤ هـ / ١٤ مايو ١٩٥٥ م: توقيع معاهدة إنشاء «حلف وارسو» الذي ضم الكتلة الشرقية تحت قيادة الاتحاد السوفيتي، عقب إنشاء الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون حلف شمال الأطلسي وضمهم ألمانيا الغربية إليه عام ١٩٥٥ م، وهو ما اعتبره السوفييت تهديداً مباشراً لهم. واستمر حلف وارسو حتى تم إلغاؤه في معاهدة براغ في يوليو ١٩٩١ م.

١٣٩٣ هـ / ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ م: المملكة العربية السعودية تعلن تخفيض بترولها بنسبة ١٠٪ وليس ٥٪ حتى نهاية شهر نوفمبر ١٩٧٣.

- ٣١ هـ / ٨ مايو ٦٥٢ م: انتصار المسلمين على الساسانيين وانتهاء دولة الفرس. حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

- ٢٢٠ هـ / ٢٠ سبتمبر ٨٣٥ م: مولد «أحمد بن طولون» مؤسس الدولة الطولونية. ولد ببغداد، وتلقى تعليمه العسكري والديني بها، وبعدها سبب لفت الأنظار إليه بعلمه وشجاعته، ثم ولى مصر سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م، ونجح في أن يقيم دولة قوية شملت مصر والشام والحجاز، وبني مسجده الشهير في القاهرة، الذي يعد واحدًا من أشهر العمارات الإسلامية نظرًا لتفرد أسلوب بنائه.

- ٤٤٩ هـ / ٢٣ من نوفمبر ١٠٥٧ م: وفاة الشاعر المشهور أبي العلاء المعري.

- ٥٨٤ هـ / ١٥ من نوفمبر ١١٨٨ م: وفاة الشاعر واللغوي والأمير الفارس «أسامة ابن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ»، المعروف بأسامة بن منقذ، أحد أبطال المسلمين في الحروب الصليبية، له ديوان شعر مطبوع، ومذكرات بعنوان «الاعتبار» وكتب عديدة في الأدب.

- ١٣٧٩ هـ / ٢١ مارس ١٩٦٠ م: قوات الشرطة في جنوب إفريقيا ترتكب مذبحه ضد المتظاهرين في مدينة «شاربفيل»، سقط خلالها ٦٩ قتيلًا خلال بضع دقائق.

- ١٣٩٣ هـ / ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ م: تنزانيا تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: ليبيا توقف تصدير بترولها تمامًا إلى الولايات المتحدة.

: اتحاد النقابات العمالية في ألمانيا الديمقراطية يتبرع بمبلغ ١٠ ملايين مارك للمجهود

الحربي.

- ١٤١٨ هـ / ٢٢ يناير ١٩٩٨ م: وفاة فضيلة الشيخ إسماعيل صادق العدوى

شيخ الجامع الأزهر.

- ١٤٢٢ هـ / ٩ ديسمبر ٢٠٠١ م: وفاة صائد الدبابات الشهير في حرب أكتوبر ١٩٧٣

«محمد عبد العاطي».. سجل اسمه في الموسوعات الحربية كأشهر صائد دبابات في العالم.

- ٢٠هـ / ٦ سبتمبر ٦٤١ م: تمام بناء مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه  
بالفسطاط.

- ٤١٠هـ / ٢٣ يناير ١٠٢٠ م: وفاة العلامة الحافظ الكبير «ابن مردويه»، صاحب  
التفسير والتاريخ والمستخرج على البخاري.

- ٥٥٧هـ / ٦ سبتمبر ١١٦٢ م: وفاة الأديب واللغوي «أبو سعيد الألويسي».

- ٦٨٤هـ / ٢٣ نوفمبر ١٢٨٥ م: وفاة العلامة اللغوي والشاعر والناقد أبي الحسن  
حازم بن محمد بن حسن، المعروف بحازم القرطاجني، صاحب الكتاب الشهير «منهاج  
البلغاء وسراج الأديباء»، وله قصيدة طويلة عُرفت بالمقصورة تقع في أكثر من ألف بيت.

- ٧١٦هـ / ١٠ ديسمبر ١٣١٦ م: وفاة العلامة الفارسي «قطب الدين الشيرازي»،  
صاحب «درة التاج على لسان الفرس، ونهاية الإدراك».

- ١٢٥١هـ / ١٣ يناير ١٨٣٦ م: تمكن الفرنسيون من دخول مدينة «تلمسان»  
الجزائرية بعد أن اضطر الأمير المجاهد «عبد القادر الجزائري» إلى الانسحاب إلى مدينة  
«وجدة» على الحدود مع المغرب.

- ١٣٠٤هـ / ١٦ يونيو ١٨٨٧ م: توصل المخترع الأمريكي «توماس أديسون»  
إلى اختراع أول جهاز لتسجيل الصوت «الجرامفون»، وقد سجل أديسون في حياته  
قرابة ألف اختراع، من أشهرها المصباح الكهربائي.. ولد عام ١٨٤٧ م وتوفي في أكتوبر  
١٩٣١ م.

- ١٣٦٤هـ / ٢ سبتمبر ١٩٤٥ م: تقديم وزير خارجية اليابان وثيقة استسلام بلاده  
في الحرب العالمية الثانية، وكانت اليابان قد اضطرت للاستسلام إثر ضرب هيروشيما  
وناجازاكي بقنبلتين ذريتين أحدثتا دمارًا هائلًا وشاملاً.

- ١٣٩٣هـ / ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ م: قيام كل من الكويت وقطر والبحرين ودبي  
بوقف تصدير بترولهم نهائيًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا، وذلك تضامناً مع

مصر وسوريا في معركتها المظفرة ضد إسرائيل، واللتان حققتا فيها النصر لأول مرة في حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر.

١٣٩٣ هـ / ٢٠ من أكتوبر ١٩٧٣ م: دولة مالاياش «مدغشقر حاليًا» تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: السعودية توقف تصدير بترولها تمامًا إلى الولايات المتحدة ردا على زيادة الدعم العسكري الأمريكي لإسرائيل.

## ٢٥ رمضان

هـ / ٣ يناير ١٠٨٧ م: نشوب معركة الزلاقة، دارت بين جيش المرابطين المسلمين في الأندلس، بقيادة يوسف بن تاشفين، وجيش الصليبيين بقيادة ألفونسو، وانتصر فيها المسلمون. ويقال إنها وقعت يوم ٩ رمضان من العام ذاته. وهى إحدى النقاط الفاصلة في حياة دولة الإسلام في الأندلس.

- ٥٤٤هـ / ٢٦ يناير ١١٥٠ م: مولد الفقيه والأصولي الكبير «محمد بن عمر بن الحسين بن علي»، المعروف بـ «فخر الدين الرازي»، صاحب تفسير القرآن الكريم المعروف بـ «مفاتيح الغيب»، وقد بلغت مؤلفات الرازي أكثر من مائة كتاب.

- ٦٥٨هـ / ٣ سبتمبر ١٢٦٠ م: نشوب معركة «عين جالوت» بين المسلمين بقيادة المظفر «سيف الدين قطز» والمغول بقيادة «كيتوبوقا»، وذلك في المنطقة التي تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين، وقد انتهت المعركة بنصر عظيم للمسلمين أنقذ الحضارة الإسلامية من الدمار، وتم على إثر هذا الانتصار توحيد مصر وبلاد الشام.

- ١٢٨٤هـ / ٢٠ يناير ١٨٦٨ م: مولد الزعيم المصري محمد فريد، أحد أهم زعماء الحركة الوطنية في مصر، تسلم قيادتها بعد وفاة الزعيم مصطفى كامل، أنفق كل ماله وجهده في الدفاع عن حق مصر في الاستقلال والتنديد بالاحتلال. توفي غربياً عن وطنه في ألمانيا، وله مؤلفات تاريخية، من أشهرها «تاريخ الدولة العليا العثمانية».

- ١٣٦٤هـ / ٣ سبتمبر ١٩٤٥ م: انتهاء سلسلة الحروب الصينية - اليابانية، بعد استسلام اليابان في الحرب العالمية الثانية بيومين، وانسحاب القوات اليابانية من الصين، بعد فترة من الحرب استمرت من ١٩٣٧ حتى ١٩٤٥ م.

- ١٣٩٣هـ / ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ م: الحكومة العراقية تصدر قراراً بتأميم حصة هولندا في شركة نفط البصرة، نظراً لموقف هولندا المؤيد لإسرائيل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ م.

- ١٣٩٣هـ / ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ م: جمهورية إفريقيا الوسطى تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: دول الكويت وقطر والبحرين ودبي يوقفون تصدير البترول نهائياً إلى الولايات المتحدة.

## ٢٦ رمضان

- ١٩٣ هـ / ١٨ يوليو ٨٠٩ م: وصول السيدة نفيسة بنت الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين إلى القاهرة.

- ٥٨٤ هـ / ١٨ نوفمبر ١١٨٨ م: موقعة حطين الشهيرة بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، التي أنهت الوجود الصليبي في المشرق. (هناك أقوال أخرى في تاريخها).

- ٧٦٢ هـ / ٣٠ من يوليو ١٣٦١ م: مولد الإمام «أبي الشفاء محمود بن أحمد بن موسى»، المعروف ببدر الدين العيني، أحد أئمة الفقه والحديث والتاريخ في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، صاحب كتابي: «عقد الجمان»، و«عمدة القاري في شرح صحيح البخاري».

- ١٣٩٣ هـ / ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣: مجلس الأمن يصدر قراره رقم ٣٣٨ بوقف إطلاق النار بين العرب وإسرائيل والبدء في التنفيذ الفوري لقرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧.

: القائد العام يصدر أمرًا للقوات المسلحة بوقف إطلاق النار تنفيذًا لقرار مجلس الأمن.

: السودان تقرر تزويد مصر بثلاثين طنًا من اللحوم يوميًا مساهمة في المجهود الحربي.

- ١٣٢٩ هـ / ٢١ سبتمبر ١٩١١ م: وفاة الزعيم «أحمد عرابي» قائد الثورة العربية. ولد بمحافظة الشرقية والتحق بالجيش المصري، وترقي في مناصبه، قاد ثورة احتجاج على تحيز الجيش للضباط الشركسة، وطالب بالتغيير الوزاري وتشكيل حكومة وطنية وزيادة عدد الجيش، وقد تجمعت عدة أسباب أدت إلى فشل هذه الثورة، مما ترتب عليها نفي زعمائها إلى جزيرة سرنديب، وكان من بينهم «عراي».

- ١٣٧٣ هـ / ٣٠ مايو ١٩٥٤ م: وفاة الكاتب الكبير «أحمد أمين»، صاحب كتاب «فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام». بدأ حياته أزهريًا ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي، وعُين مدرسًا بها، ثم أصبح قاضيًا شرعيًا، والتحق بالجامعة أستاذًا فعميدًا، صاحب فكرة إنشاء الجامعة الشعبية التي شهدت تطورات عديدة، أسفرت عن تأسيس قطاع الثقافة الجماهيرية «الهيئة العامة لقصور الثقافة حاليًا».

- ١٣٩٣ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ م: إثيوبيا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل نتيجة لرفض الأخيرة الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.  
: تفجر القتال بعد ساعات من إعلان وقف إطلاق النار.

: الكويت يوقف تصدير البترول نهائيًا إلى هولندا، ردًا على مسانبتها للعدو الإسرائيلي وموقفها العدائي من القضية العربية.

: قوات المقاومة الشعبية والجيش الشعبي تقرر بتوجيه من الرئيس السادات الاشتراك في القتال الدائر في منطقة غرب القناة باعتبار أنها معركة كل الشعب.



## ٢٨ رمضان

- ٤هـ / ٣ مارس ٦٢٦ م: زواج الرسول ﷺ بالسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث، الملقبة (أم المساكين). (قيل في ٢٨ رمضان وقيل في ٥ رمضان).

- ٩هـ / ٨ يناير ٦٣١ م: قدوم وفد ثقيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلان دخولهم في الإسلام.

- ٩٢هـ / ١٩ يوليو ٧١١ م: نشوب معركة «شدونة» أو «وادي لكة» بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، انتهت بانتصار المسلمين، مما هياً لدخول الإسلام إلى إسبانيا، واستقراره بها لمدة ثمانية قرون.

- ١٣٦٠هـ / ١٩ أكتوبر ١٩٤١ م: وفاة الأديبة اللبنانية الشهيرة «مي زيادة»، بعد أن قضت معظم أيامها الأخيرة في مستشفى الأمراض العقلية ببلبنان، وبعد خروجها من المستشفى استقرت بالقاهرة حتى وفاتها.

- ١٣٩٣هـ / ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ م: العدو الإسرائيلي حاول باستماتة اقتحام ميناء الأديبة جنوباً ومدينة السويس لكن القوات المسلحة والقوات الشعبية ردتا ببسالة نادرة ودافعتا عن المدينة بكل الوسائل حتى انسحبت قوات العدو.

: دولتا قطر و«أبو ظبي» توقفان تصدير بترولهما نهائياً إلى هولندا ردّاً على مساندتها للعدو الإسرائيلي وموقفها العدائي من القضية العربية.

- ١٤٠٥هـ / ١٧ يونيو ١٩٨٥ م: قيام الأمير السعودي «سلطان بن سلمان» برحلة إلى القضاء على متن المكوك الأمريكي «ديسكفري»، واستمرت الرحلة لمدة أسبوع.

- ٢هـ / ٢٥ مارس ٦٢٤م: فرض زكاة الفطر.

- ١٣هـ - انتصار المسلمين على الفرس في معركة البويب: جرت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين جيوش المسلمين بقيادة المُثنى بن حارثة {رضي الله عنه} وقوات الفرس في أرض العراق، وانتهت بنصر المسلمين، مما ساعد على تمكين المسلمين من بلاد فارس. (ذكرت بعض المراجع أنها وقعت في ١٢ رمضان).

- ٣٨٦هـ / ١٥ إبريل ٩٩٦م: بداية ولاية الخليفة الفاطمي «الحاكم بأمر الله».. تولى مصر وعمره ١١ عامًا.

- ١٢٨٧هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨٧٠م: مولد القاضي المصري الكبير «عبد العزيز فهمي» أحد زعماء حزب الأحرار الدستوريين بمصر، وأحد قادة ثورة ١٩١٩م.

- ١٤٢٥هـ / ١٢ نوفمبر ٢٠٠٤م: تشييع جنازة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في القاهرة، نقل جثمانه بعدها إلى مدينة رام الله بفلسطين، حيث دفن في باحة مقر المقاطعة التي كان يعيش بها في أواخر أيامه.

## ٣٠ رمضان

٤٣هـ / ٥ يناير ٦٦٤ م: وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه عن عمر ١٠٠ عام.

٩٣هـ / ١٠ يوليو ٧١٢ م: الفتح الإسلامي للأندلس.

١١٢هـ / ١٦ ديسمبر ٧٣٠ م: وفاة الجراح «الحكمي»، أحد قواد المسلمين العظام وفتحهم في العصر الأموي، لقب ببطل الإسلام، وفارس أهل الشام، والأمير الفاتح.

٢٥٦هـ / ٣١ أغسطس ٨٧٠ م: وفاة الإمام «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن

المغيرة»، المعروف بالإمام البخاري، صاحب «صحيح البخاري».

٣٨٤هـ / ٧ نوفمبر ٩٩٤ م: مولد الإمام الفقيه «محمد بن علي بن أحمد بن سعيد»،

المعروف بابن حزم، أحد أعلام المسلمين في القرن الخامس الهجري، له مؤلفات كثيرة في الفقه والتاريخ، من أشهرها: «طوق الحمامة» و«المحلي»، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل».



## أحداث ونوادير غربية في شهر رمضان

على مدار التاريخ شهد شهر رمضان بعض الحوادث والنوادير الغربية التي قطعت عاداته وتقاليده المرعية؛ وألفت انتباه الناس، وصارت محور اهتمامهم ومناطق أحداثهم، وربط البعض بينها وبين الشهر الكريم؛ فذهبوا إلى أنها علامة على فساد الأحوال وخلل الطباع، بما دفعهم على تأكيد العزم بإخلاص العمل لله وإصلاح ما بداخلهم كي يرفع الله عنهم ما حاق بهم من نوائب ومصائب وما ابتلى به البعض من تكالب على الدنيا وتصارع للفوز بمغانمها الرخيصة.

ومن هذه الحوادث ما تعلق بأخطاء في الحسابات الفلكية أو الشهادة زورًا برؤية الهلال ترتب عليها أحيانًا إعلان بدء الصيام أو إنهائه بما أوقع الصائمين في ربكة، لم تخل من فكاهاة في العديد من الأحوال.

### زلازل شديدة تضرب بلاد الشام

من حوادث اليوم الرابع والعشرين سنة ١٥٢ هـ ما أورده «أبو شامة» في كتابه (عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) من أحداث زلزلة كبيرة ضربت بلاد الشام وأحدثت خراباً واسعاً. وكانت تلك الزلازل قد بدأت تضرب بلاد الشام ابتداء من شهر صفر، وعادت في جمادى الأولى، ثم في جمادى الآخرة، ثم في رجب، ثم في رمضان. واستمرت بعده حتى شهر ذى القعدة.

قال: وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة روعت الناس وأزعجتهم لما وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها. ووافت الأخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة، فقلقت من دورها وجدرانها العدد

الكثير، وأنها كانت بحماة أعظم مما كانت في غيرها، وأنها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت يلتجأ إليها، وأنها دامت أياماً كثيرة في كل يوم عدة وافرة من الرجفات الهائلة، يتبعها صيحات مختلفة توفى على أصوات الرعود القاصفة المزعجة.

### ثورة أهل الربض في قرطبة:

ومن حوادث اليوم الثالث عشر من شهر رمضان الفتنة التي وقعت في قرطبة بالأندلس سنة ٢٠٢ هـ إبان خلافة الحكم بن هشام الأموي، المعروفة بحادثة «الربض»<sup>(٨)</sup>. قال ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»: «كَانَ سَبَبُهَا أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ هِشَامِ الْأُمَوِيِّ، صَاحِبَهَا، كَانَ كَثِيرَ التَّشَاغُلِ بِاللَّهْوِ وَالصَّيْدِ وَالشُّرْبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُجَانِسُهُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ قُرْطُبَةَ، فَكَرِهَهُ أَهْلُهَا، وَصَارُوا يَتَعَرَّضُونَ لِجُنْدِهِ بِالْأَدَى وَالسَّبِّ، إِلَى أَنْ بَلَغَ الْأَمْرُ بِالْغَوْغَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْأَذَانِ: «الصَّلَاةُ يَا مَحْمُورُ الصَّلَاةُ»، وَشَافَهُهُ بَعْضُهُمْ بِالْقَوْلِ، وَصَفَّقُوا عَلَيْهِ بِالْأَكْفِ، فَتَسَرَّعَ فِي تَحْصِينِ قُرْطُبَةَ وَعِمَارَةِ أَسْوَارِهَا، وَحَفَرِ خَنَادِقِهَا، وَازْتَبَطَ الْخَيْلَ عَلَى بَابِهِ، وَاسْتَكْتَرَ الْمَالِيكَ، وَرَتَّبَ جَمْعًا لَا يُفَارِقُونَ بَابَ قَضْرِهِ بِالسَّلَاحِ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي حِفْدِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِلانْتِقَامِ مِنْهُمْ.

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ ضَرِيبةَ عَشْرِ الْأَطْعِمَةِ كُلِّ سَنَةٍ، مِنْ غَيْرِ حِرْصٍ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى عَشْرَةِ مِنْ رُؤَسَاءِ سُفَهَايِهِمْ، فَقَتَلَهُمْ وَصَلَبَهُمْ، فَهَاجَ لِذَلِكَ أَهْلُ الرَّبْضِ، وَانْصَافَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ تَمْلُوكًا لَهُ سَلَمٌ سَيْفًا إِلَى أَحَدِ صِنَاعِ السُّيُوفِ لِيَضْفُقَهُ، فَمَطَّلَهُ، فَأَخَذَ الْمَمْلُوكُ السَّيْفَ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ الصَّانِعَ بِهِ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَهَرَ السَّلَاحَ أَهْلُ الرَّبْضِ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْأَرْبَاضِ جَمِيعُهُمْ بِالسَّلَاحِ، وَاجْتَمَعَ الْجُنْدُ وَالْأُمُوِيُونَ وَالْعَبِيدُ بِالْقَضْرِ، وَفَرَّقَ الْحَكَمُ الْخَيْلَ وَالْأَسْلِحَةَ، وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ كِتَابًا، وَوَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ فَغَلَبَهُمْ أَهْلُ الرَّبْضِ، وَأَخَاطُوا بِقَضْرِهِ، فَتَزَلَّ الْحَكَمُ مِنْ أَعْلَى الْقَضْرِ، وَكَلَسَ سِلَاحَهُ، وَرَكِبَ وَحَرَّضَ النَّاسَ، فَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا.

ثُمَّ أَمَرَ ابْنَ عَمِّهِ عُبَيْدَ اللَّهِ، فَتَلَّمَ فِي السُّورِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَخَرَجَ مِنْهَا وَمَعَهُ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ، وَأَتَى أَهْلَ الرَّبِضِ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا بِهِمْ، فَأَصْرَمُوا النَّارَ فِي الرَّبِضِ، وَانْتَهَرَمَ أَهْلُهُ، وَقَتَلُوا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَأَخْرَجُوا مَنْ وَجَدُوا فِي الْمَنَازِلِ وَالدُّورِ، فَأَسْرَوْهُمْ، فَانْتَقَى مِنَ الْأَسْرَى ثَلَاثِينَ مِنْ وُجُوهِهِمْ، فَقَتَلَهُمْ، وَصَلَبَهُمْ مُنْكَسِرِينَ، وَأَقَامَ النَّهْبَ وَالْقَتْلَ وَالْحَرْبَ وَالْحَرَابَ فِي أَرْبَاعِ قَرْطَبَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

ثُمَّ اسْتَشَارَ الْحُكْمَ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ الْمُغِيثِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُوَارِيهِ فِي قُرْبِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ وَالْعَفْوِ، وَأَشَارَ غَيْرُهُ بِالْقَتْلِ، فَقَبِلَ قَوْلَهُ، وَأَمَرَ فَسُودِيَ بِالْأَمَانِ عَلَى أَنَّهُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ الرَّبِضِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ قَتَلْنَاهُ وَصَلَبْنَاهُ، فَخَرَجَ مَنْ بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مُسْتَخْفِيًا، وَتَحَمَّلُوا عَلَى الصَّغْبِ وَالذَّلُولِ خَارِجِينَ مِنْ حَضْرَةِ قَرْطَبَةَ بَيْنَسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَمَا خَفَّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَقَعَدَ لَهُمُ الْجُنْدُ وَالْفَسَقَةُ بِالْمُرَاصِدِ يَنْهَبُونَ، وَمَنْ امْتَنَعَ عَلَيْهِمْ قَتَلُوهُ.

فَلَمَّا انقَضَتِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ أَمَرَ الْحُكْمُ بِكَفِّ الْأَيْدِي عَنِ حُرْمِ النَّاسِ، وَجَمَعَهُنَّ إِلَى مَكَانٍ، وَأَمَرَ بِهَذَا الرَّبِضِ الْقَيْلِيَّ.

وَكَانَ «بَزْبِيعٌ» مَوْلَى أُمِّةِ ابْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ مَحْبُوسًا فِي حَسَنِ الدَّمِّ بِقَرْطَبَةَ، فِي رِجْلَيْهِ قَيْدٌ ثَقِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ قَرْطَبَةَ قَدْ غَلَبُوا الْجُنْدَ، سَأَلَ الْحُرَّسَ أَنْ يُفْرِجُوا لَهُ، فَأَخَذُوا عَلَيْهِ الْعُهُودَ أَنْ يَسْلِمَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ، وَأَطْلَقُوهُ، فَخَرَجَ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يَكُنْ فِي الْجَيْشِ مِثْلُهُ، فَلَمَّا انْتَهَرَمَ أَهْلُ الرَّبِضِ عَادَ إِلَى السُّجْنِ، فَانْتَهَى خَبْرُهُ إِلَى الْحُكْمِ، فَأَطْلَقَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

### المأمون يستحدث بدعة التكبير بعد الصلوات الخمس

ومما ذكر من حوادث اليوم الرابع عشر لشهر رمضان ما جاء في أحداث سنة ٢١٥ هـ أيام الخليفة المأمون العباسي، وأورده ابن كثير في (البداية والنهاية)؛ حيث كتَبَ المأمونُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ نَائِبِ بَغْدَادَ بِأَمْرِهِ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالتَّكْبِيرِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِذَلِكَ فِي جَامِعِ بَغْدَادَ وَالرِّصَافَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ

ليلة خلت من رمضان، وذلك أنهم كانوا إذا قَضَوْا الصَّلَاةَ قَامَ النَّاسُ قِيَامًا فَكَبَّرُوا  
ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الصَّلَوَاتِ. يقول «ابن كثير» معقبًا على  
ذلك: وهذه بدعة أحدثها المأمون بلا مُسْتَنَدٍ وَلَا دَلِيلٍ وَلَا مُعْتَمِدٍ، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ قَبْلَهُ  
أَحَدٌ.

### طائر يناشد الناس تقوى الله

ومن الغرائب التي وقعت في اليوم السابع من شهر رمضان في سنة اثنتين ومائتين  
وأربعين، ما أورده «أبو الفلاح بن العباد الحنبلي» في كتابه (شذرات الذهب في أخبار  
من ذهب)، إذ وقع في ذلك اليوم طائر أبيض دون الرخمة<sup>(١٠)</sup> على دابة بحلب فصاح:  
يا معشر الناس، اتقوا الله.. الله.. الله، حتى صاح أربعين صوتاً، ثم طار وجاء من الغد  
فصاح أربعين صوتاً. وكتب صاحب البريد بذلك، وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه.

### العاشق يتحول إلى شبح في دار الخليفة المعتضد

ومن غرائب أفعال المحبين ما اخترعه البعض من حيل للوصول إلى محبوبته. ففي  
عهد الخليفة العباسي المعتضد (٢٤٢-٢٨٩ هـ) حدثت قصة استغرقت تفاصيلها  
الوقت من شهر شعبان حتى رمضان سنة ٢٨٤ هـ، أوردها ابن الجوزي في كتابه  
«المنتظم في تاريخ الأمم والملوك»، حيث كان قد ظهر شخص إنسان في يده سيف في  
دار المعتضد بالثريا. فمضى إليه بعض الخدم لينظر من هو، فضربه الشخص بالسيف  
ضربة قطع بها منطقتة ووصل السيف إلى بدن الخادم، وهرب الخادم ودخل الشخص  
في زرع في البستان فتوارى فيه، فطلب لم يوقف له على أثر! فاستوحش المعتضد من  
ذلك ورجم الناس الظنون حتى قالوا: إنه من الجن!، ثم عاد الشخص للظهور مراراً  
كثيرة، حتى وكل المعتضد بسور داره، وأحكم عمارة السور. وجيء في يوم السبت لسبع  
خلون من رمضان بالمعزمين بسبب ذلك الشخص وجيء معهم بالمجانين، وكانوا قد  
قالوا: نحن نعزم على بعض المجانين فإذا سقط سأل الجنني عن خبر ذلكم الشخص،  
فصرعت امرأة فتشاءم المعتضد، وأمر بصرفهم.



وظلت هذه الحادثة غامضة لم يقف أحد على حقيقتها حتى حلت أيام الخليفة «المقتدر»؛ فيذكر أبو يوسف القزويني أن ذلك الشخص كان خادماً أبيض يميل إلى بعض الجوارى اللواتي في دواخل دور الخدم، وكان قد أخذ لحيً على ألوان مختلفة، وكان إذا لبس بعض اللحي لا يشك من رآه أنها لحية. فكان يلبس في الوقت الذي يريده لحية منها ويظهر في ذلك الموضع وفي يده سيف أو غيره من السلاح، فإذا طلب دخل بين الشجر وفي بعض الممرات والعطفات، ونزع اللحية وجعلها في كفه، وبقي معه السلاح كأنه بعض الخدم الطالبين للشخص، فلا يرتاب به أحد، ويبادر هو فيسأل: هل رأيتم أحداً. وكان إذا وقع مثل هذا خرج الجوارى من تلك الدور فيرى هو تلك الجارية، ويخاطبها بما يريد، وإنما كان غرضه مخاطبة الجارية ومشاهدتها وكلامها. وهذه المعلومات أفضت بها الجارية بعد موت ذلك الشخص.

### انهيار جسر على نهر دجلة ببغداد

وفي أحداث اليوم التاسع من رمضان سنة ٣٠٣ هـ يذكر ابن الجوزي في (المنتظم) وقوع كارثة مفاجئة في مدينة الخلافة العباسية ببغداد، وهي انهيار أحد الجسور المقامة فوق نهر دجلة. إذ انقطع كرسي الجسر، أي تهاوت قاعدته، والناس عليه فغرق خلق كثير.

### تمرد في جيش الماليك ومطالبة بزيادة الرواتب

من حوادث الرابع عشر من رمضان سنة ٨٣٢ هـ ما ذكره ابن تغري في (النجوم الزاهرة) من تمرد عسكري قام به الماليك مطالبين بزيادة رواتبهم. قال: حُملت جامكية<sup>(١)</sup> الماليك السلطانية إلى القلعة لتنفق فيهم على العادة، فامتنعوا من قبضها، وطلبوا زيادة لكل واحد ستمائة درهم، وصمموا على ذلك، وترددت الرسل بينهم وبين السلطان الملك الأشرف إلى أن زيد في جوامك عدة منهم وسكن شرهم، وأخذوا الجامكية في يوم الإثنين ثامن عشره.

## فيضان دجلة المدمر

وفي غرة رمضان سنة ٥٦٩هـ، حدث فيضان عظيم في نهر دجلة تسبب في مخاطر شاملة لبغداد، ثم تفاقم الأمر في سابع رمضان وجاء مطر كثير في ليلة الجمعة ثامن رمضان، ووقع في قرى كثيرة وتساقط من السماء برد (قطع من الثلج) ما رأوا مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وجملة من المواشي. وقال بعض الثقات إنهم وزنوا بردة فبلغ وزنها سبعة أرتال، وساخت الدور ثم زاد الماء في يوم الأحد عاشر رمضان فزاد على كل زيادة تقدمت، وخرج الناس وضرىوا الخيم على تلال الصحراء ونقلوا رحالهم إلى دار الخليفة ومنهم من عبر وتقدم بالعوام يخرجون بالوعاظ إلى القورج ليعملوا فيه فخرجوا وقد انفتح موضع فوق القورج بقرية يقال لها الزور تقية وجاء الماء من قبله فتداركه الناس فسدوه ويات عليهم الجند وتولى العمل الأمير قياز بنفسه وحده، ثم انفتح يومئذ بعد العصر فتحة من جانب دار السلطان وساح الماء ويات الناس على اليأس يضحجون بالبكاء والدعاء، ثم نقص الماء نحو ذراعين فسكن الناس، وغلا السعر في تلك الأيام فبيع الشوك كل باقة بحبة والخبز الخشكار كل خمسة أرتال بغيراط، ودخل نزيز الماء من الحيطان فملا المدرسة النظامية والتشبية ومدرسة أبي النجيب وقيصر وجميع الشاطئات، ثم وصل النزيز إلى رباط أبي سعد الصوفي فهدمت فيه مواضع وإلى درب السلسلة، ومن هذه المواضع ما وقع جميعه ومنه ما تضعضع وكثر نزيز الماء في دار الخلافة وامتلات السرايب؛ ونبع الماء من البدرية فهلكت كلها وغلقت أبوابها ونبع في دار البساسيري ودرب الشعير من البلايع، وانهدمت دور كثيرة حتى أنه نفذ إلى المواضع البعيدة فوقعت آدر في المأمونية، وصعد الماء إلى الحریم الطاهري بالجانب الغربي فوقعت دوره، ودخل الماء إلى المارستان وعلا فيه ورمى عدة شبايك من شبايكه الحديد فكانت السفن تدخل من الشباييك إلى أرض المارستان، ولم يبق فيه من يقوم بمصلحته إلا المشرف على الحوائج، فحكى أنه جمع أقطاعاً من السياج فشدّها كالطوق وترك عليها ما يحتاج من الطعام والشراب حتى الزيت والمقدحة، ونقل المرضى إلى السطح وبعث بالمرورين إلى سقاية الراضي بجامع المنصور، وامتلات المقابر كلها ولم يسلم منها إلا موضع قبر بشر الحافي؛ لأنه على نشز (مرتفع)، وكان من يرى المقابر بعد أيام يدهش كأن القبور قد قلبت وجمع الماء كالتل العظيم من العظام وكالتل من

ألواح القبور، وامتلاً الماء من دجلة إلى سور دار القز، وكان الناس ينزلون في السفن من شارع دار الدقيق ومن الحربية ومن درب الشعير، وامتلات مقبرة باب الشام ووقع المشهد الذي على باب النصرية ووصل الماء من الصراة إلى باب الكرخ، وكان الناس قد وطئوا التلال العالية وهلكت قرى كثيرة ومزارع لا تحصى.

ولما كان يوم الجمعة خامس عشرين رمضان؛ فإذا قد نصب الخطيب جامع السلطان منبر في سوق الدواب يصلى بالناس هناك لامتلاء جامع السلطان بالماء، وجاء يوم الخميس حادي عشرين رمضان بعد الظهر برد كبار ودام زماناً كسر أشياء كثيرة وتوالت الأمطار في رمضان والبروق.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين رمضان جعل مسجد التوثة جامعاً وأذن في صلاة الجمعة فيه فأقيمت فيه يومئذ ثم عاد الماء في يوم السبت ثالث عشرين رمضان إلى الزيادة الأولى على غفلة، ثم زاد عليها وجاء يومئذ مطر عظيم وغلب الماء فامتلات الصحراء وضرب الناس الخيم على التلال العالية كتل الزبانية وتل الجعفرية، وقعد الناس ينتظرون دخول الماء إلى البلد وعم الماء السبتي والخيزرانية واسكر أهل أبي حنيفة فجاءهم الماء من خلف المحلة فنجوا بأطفالهم، وعم المحلة وجامع المهدي ف وقعت فيه أذرع، ونبع الماء من دار الخليفة من مواضع وهدم فيها دور كثيرة وملا السرايب. وانتقل جماعة من الخدم إلى دور في الحرير وامتلات الصحاري وعبر خلق كثير إلى الكرخ وتقطر السور وانفتحت فيه فتحات، وكان الناس يعالجون الفتحة فإذا سدوها انفتحت أخرى، وكثر الضجيج والدعاء والابتهاال إلى الله سبحانه وغلا الخبز، وأخذ أصحاب السلطان يقوون القورج ويمتهدون في سده وأقاموا القنا وفي أسافله الحديد في الماء ونقلوا حطباً زائداً عن الحد والماء يغلبهم إلى أن سده سكار حاذق في سابع شوال واسكر جانب السور لثلا يتمقطر<sup>(١٢)</sup> (أى لا يتصدع)، وأقام الماء خلف السور نحواً من شهر ونصب على الخندق الذي خلف السور جسر يعبر الناس عليه من القرى إلى بغداد، وجاءت في هذه الأيام سفن من الموصل فتاهت في الماء حتى بيع ما عليها بثمن طفيف، وأخبر أهلها بما تهدم من المنازل بالأمطار في الموصل وقالوا اتصلت عندنا الأمطار أربعة أشهر فهدمت نحو ألفي دار، وكانوا يهدمون الدار إذا خيف وقوعها فهدموا أكثر مما هدم المطر، وكانت الدار تقع على ساكنيها فيهلك الكل، ثم زادت الفرات زيادة كثيرة وفاضت على سكر

عندها يقال له «سكر قنين» وجاء الماء فأهلك من القرى والمزارع الكثير، وبات الناس مدة على التلال يحفظون المحال وقد انبسط الماء فراسخ، ومر خلف المحال ووقع الموتان في الغنم وكان ما يؤتى به سليماً يكون مطعوناً حتى يبع الحمل بقيراط، ومرض الناس من أكلها، ثم غلت الفواكه، وغلا الطين الذي يؤخذ من المقالع وبلغ الأجر<sup>(١٢)</sup> كل ألف بثلاثة دنانير ونصف<sup>(١٣)</sup>.

### كسوف شديد للشمس

ويورد ابن الأثير في الكامل أنه في رمضان عام ٥٧١ هـ انكسفت الشمس جميعها، وأظلمت الأرض حتى بقي الوقت كأنه ليل مظلم، وظهرت الكواكب، وكان ذلك ضحوه النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه، يقول «ابن الأثير»: «وكننت حيتيد صيباً بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء أقرأ عليه الحساب، فلما رأيت ذلك خفت خوفاً شديداً، وتمسكت به، فقوى قلبي، وكان عالماً بالنجوم أيضاً، وقال لي: الآن ترى هذا جميعه، فأنصرف سريعا».

### القحط يفترس الحياة في مصر

ويذكر الرحالة «عبد اللطيف البغدادي» في مشاهداته أثناء زيارته لمصر التي وافقت سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)، أن هذه السنة دخلت مفترسة أسباب الحياة وقد يش الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد.

في تلك السنة شهد البغدادي شهر الصيام فيما ليس له عهد به طول إقامته السابقة في مصر. يقول: ووجد في رمضان وبمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم فأكل وبقي قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم<sup>(١٤)</sup>.

ويتحدث البغدادي عن تعلق الفقراء في رمضان بأكل بني آدم حتى أن الناس كانوا يتناقلون أخبارهم، ويفيضون في ذلك استفظاعاً لأمره وتعجباً من ندره وقوعه، ثم

اشتد قرمهم<sup>(١٥)</sup> إليه وضراوتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخراً وتفتنوا فيه وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسباع له.

وفي ذلك كله لاحظ «عبد اللطيف البغدادي» أن أكثر المتهمين بأكل لحوم الأطفال الصغار كن من النساء، وأرجح ذلك لأنهن أقل حيلة من الرجال وأضعف عن التباعد والاستتار، ولقد أحرق بمصر خاصة في أيام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن تقرأ أنها أكلت جماعة.

وقد رأى البغدادي فيما رأى امرأة مشحجة الرأس يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفر معها بصغير مشوي تأكل منه، وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شئونهم، ولم ير البغدادي فيهم من يعجب لذلك أو ينكره فعاد تعجبه منهم أشد وما ذاك إلا لكثرة تكرره على إحساسهم حتى صار في حكم المألوف الذي لا يستحق أن يتعجب منه، وكان قد رأى قبل ذلك بيومين صبياً نحو الرهاق مشوياً وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشبهه وأكل بعضه<sup>(١٦)</sup>.

### انقلاب القاضي ابن جملة على من سعى له في توليه القضاء:

ومن حوادث اليوم السابع والعشرين من رمضان سنة ٧٣٤هـ قضية القاضي ابن جملة.

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): لَمَّا كَانَ فِي الْعِشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ وَقَعَ بَيْنَ الْقَاضِيِ ابْنِ جُمَّلَةَ وَبَيْنَ الظَّهْرِ شَيْخِ مَالِكِ الْأَمْرَاءِ - وَكَانَ هُوَ السَّفِيرُ فِي تَوَلِيَةِ ابْنِ جُمَّلَةَ الْقَضَاءِ - فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا مُنَافَسَةٌ وَمُحَاقَقَةٌ فِي أُمُورٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّوَادَارِ<sup>(١٧)</sup> نَاصِرِ الدِّينِ، فَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى خِلَافِ مَا حَلَفَ بِهِ الْآخَرُ عَلَيْهِ، وَتَفَاضَلَا مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا رَجَعَ الْقَاضِي إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْعَادِلِيَةِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الشَّيْخَ الظَّهْرِيَّ لِيَحْكُمَ فِيهِ بِمَا فِيهِ الْمُصْلَحَةُ، وَذَلِكَ عَنْ مَرْسُومِ النَّائِبِ، وَكَأَنَّهُ خَدِيعَةٌ فِي الْبَاطِنِ وَإِظْهَارًا لِلنُّصْرَةِ الْقَاضِي عَلَيْهِ فِي الظَّاهِرِ، فَبَدَرَ بِهِ الْقَاضِي بِأَدْيِ الرَّأْيِ فَعَزَّزَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَتَسَلَّمَهُ

أَعْرَانُ ابْنِ جُمَلَةَ فَطَافُوا بِهِ الْبَلَدَ عَلَى حِمَارٍ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعَ عَشْرِينَ رَمَضَانَ، وَصَرَبُوهُ  
صَرْبًا عَنِيفًا، وَنَادَوْا عَلَيْهِ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَكْذِبُ وَيَفْتَاتُ عَلَى الشَّرْعِ، فَتَأَلَّمَ النَّاسُ لَهُ  
لِكَوْنِهِ فِي الصِّيَامِ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ صَائِمٌ، فَيَقَالُ: إِنَّهُ  
ضُرِبَ يَوْمَئِذٍ أَلْفَيْنِ وَمِائَةً وَإِخْدَى وَسَبْعِينَ دِرَّةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ، قَبَا أَمْسَى حَتَّى اسْتَفْتَيْتَنِي عَلَى  
الْقَاضِي الْمَذْكُورِ وَدَارُوا عَلَى الْمَشَايخِ بِسَبَبِ ذَلِكَ عَنْ مَرْسُومِ النَّائِبِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ تَاسِعِ  
عَشْرِينَ رَمَضَانَ عَقَدَ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ بَدَارَ السَّعَادَةِ مَجْلِسًا حَافِلًا بِالْقَضَاءِ وَأَعْيَانِ  
الْمَفْتِينَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، وَأَحْضَرَ ابْنَ جُمَلَةَ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَجْلِسُ قَدِ اخْتَلَفَ بِأَهْلِيهِ،  
وَلَمْ يَأْذَنُوا لَابْنِ جُمَلَةَ فِي الْجُلُوسِ، بَلْ قَامَ قَائِمًا ثُمَّ أَجْلَسَ بَعْدَ سَاعَةٍ فِي طَرَفِ الْحَلْقَةِ، إِلَى  
جَانِبِ الْمُحَفَّةِ الَّتِي فِيهَا الشَّيْخُ الظَّهِيرِيُّ، وَادَّعَى عَلَيْهِ عِنْدَ بَقِيَّةِ الْقَضَاءِ أَنَّهُ حَكَمَ فِيهِ لِنَفْسِهِ،  
وَاعْتَدَى عَلَيْهِ فِي الْعُقُوبَةِ، وَأَقَاصُ الْحَاضِرُونَ فِي ذَلِكَ، وَانْتَشَرَ الْكَلَامُ وَفَهَمُوا مِنْ نَفْسِ  
النَّائِبِ الْحُطَّ عَلَى ابْنِ جُمَلَةَ، وَالْمِيلَ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ إِلَيْهِ، قَبَا انْفَصَلَ الْمَجْلِسُ حَتَّى حَكَمَ  
الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ الْمَالِكِيُّ بِنَفْسِهِ وَعَزَلَهُ وَسَجَنَهُ، فَانْقَضَ الْمَجْلِسُ عَلَى ذَلِكَ، وَرُئِيسَ  
عَلَى ابْنِ جُمَلَةَ بِالْعَدْرَاوِيَّةِ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْقَلْعَةِ جَزَاءً وَقَاقًا، وَكَانَ لَهُ فِي الْقَضَاءِ سَنَةٌ وَنِصْفٌ  
إِلَّا أَيَّامًا، وَكَانَ يُبَاشِرُ الْأَحْكَامَ جَيِّدًا.

### القبض على رجل غريب التصرف

وفي القاهرة في سنة ٧٤٢ هـ جرت حادثة غريبة ذكرت في كتاب (النجوم الزاهرة)  
لابن تغري بردى؛ مفادها أن رجلا بوارديا يقال له محمد بن خلف بخط السيوفيين من  
القاهرة قبض عليه في يوم السبت سادس عشر رمضان، وأحضر إلى محتسب<sup>(١٨)</sup> القاهرة  
فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرزير المملوحة عدّة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة  
وتسعين، من ذلك أفراخ حمام بلغ ألف ومائة وستة وتسعين فرخا. وزرزير بلغت عدّة  
ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، وجميعها قد نشتت وتغيرت أحوالها، فأدب وشهر.

وقد انتهى إيراد الواقعة دون أن يوضح لنا ابن تغري بردى السر وراء تخزين هذه  
الكميات الكبيرة من اللحوم الفاسدة. وهل كان هذا التاجر يعدها للبيع أم أنه كان  
واحداً من المخبولين.

## تمرد في غرناطة ضد السلطان ابن الأحمر

ومن حوادث اليوم الثامن والعشرين من رمضان سنة ٧٥٥هـ حدوث تمرد على السلطان ابن الأحمر صاحب غرناطة. قال المقرئ التلمساني في (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب): نقلا عن تاريخ ابن خلدون: لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للأمر واستبد عليه رضوان مولى أبيه، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته، فلما عدلوا بالأمر عنه حجبه ببعض قصورهم، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد، فكان يدعو سرأ إلى القيام بأمره، حتى أمكته فرصة في الدولة بخروج السلطان إلى بعض منتزهاته في رياضة، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في أو شب<sup>(١٩)</sup> جمعهم من الطعام<sup>(٢٠)</sup> لثورته، وعمد إلى دار الحاجب رضوان، فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا إلى إسماعيل فرسه وركب، فأدخلوه القصر وأعلنوا بيعته، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء، وفر السلطان من مكانه بمنتزهه، فلحق بوادي آش، وغدا الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه، واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه فخلعه لأشهر من بيعته، واستقل بسلطان الأندلس. ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش بعد مقتل حاجبه رضوان، واتصل الخبر بالمولى السلطان أبي سالم، امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيأ لما سلف له في جوارهم، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه، فوصل إلى الأندلس، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب، وكانوا اعتقالوه لأول أمرهم لما كان رديفاً للحاجب رضوان وركناً لدولة المخلوع، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه، فأطلقوه، ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب، وأجاز لذي القعدة من سنته، وقدم على السلطان بفاس، وأجل قدومه، وركب للقائه، ودخل به إلى مجلس ملكه، وقد احتفل ترتيبه، وغص بالمشيخة والعلية، ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه، ويستحثه لمظاهرة على أمره، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة، ثم انفض المجلس وانصرف ابن الأحمر إلى نزله، وقد فرشت له القصور، وقربت الجياد بالمرائب الذهبية،

وبعث إليه بالكسا الفاخرة، ورتبت الجرايات له ولمواليه، وحفظ عليه رسم سلطانه في  
الراكب والراجل، واستقر في جلته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس، وارتجاع ملكه سنة  
ثلاث وستين.

### إنهاء تمرد عسكري سوري ضد السلطان ابن قلاوون في مصر

من الحوادث التي استغرقت وقتاً بدأ منذ شهر شعبان سنة ٧٦٢ واستمرت طيلة  
شهر رمضان من العام ذاته أحداث التمرد العسكري الواسع، الذي قاده نائب السلطان  
ابن قلاوون في دمشق «سيف الدين بيدمر»، بسبب تسلط الوزير يلبغا الناصري.  
الحادثة بالتفصيل أوردها ابن كثير في البداية والنهاية، ومنها نتعرف كثيراً على  
الآليات التي كان يستخدمها المماليك في صراعاتهم.

يقول ابن كثير: كان نَائِبُ السَّلْطَنَةِ فِي دِمَشْقِ الْأَمِيرُ «سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرٌ» يَضْمُرُ فِي  
نَفْسِهِ عَتَبَ عَلَيَّ أَتَابِكِ<sup>(٢١)</sup> الدِّيَارِ الْمُضَرِّيَّةِ الْأَمِيرِ «سَيْفِ الدِّينِ يَلْبَغَا الْخَاصِكِي» مُدَبِّرِ  
الدَّوْلَةِ بِهَا، وَقَدْ تَوَسَّسَ وَتَوَهَّمَ مِنْهُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي صَرْفِهِ عَنِ الشَّامِ، وَفِي نَفْسِ النَّائِبِ  
قُوَّةٌ وَصَرَامَةٌ شَدِيدَةٌ، فَتَسَنَّسَ مِنْهُ بِيَغْضِ الْإِبَاءِ عَنِ طَاعَةِ يَلْبَغَا، مَعَ اسْتِمْرَارِهِ عَلَى طَاعَةِ  
السُّلْطَانِ، وَأَنَّهُ إِنْ اتَّفَقَ عَزَلَ مِنْ قِبَلِ يَلْبَغَا، فَعَمِلَ أَعْمَالًا وَأَتَّفَقَ فِي عُضُوفِ هَذَا الْحَالِ  
مَوْتُ نَائِبِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِدِمَشْقَ وَهُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَرْنَاقُ النَّاصِرِيِّ فَأَرْسَلَ  
نَائِبُ السَّلْطَنَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَخَاشِيَتِهِ مَنْ يَتَسَلَّمُ الْقَلْعَةَ بِرُمَّتِهَا، وَدَخَلَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهَا،  
وَطَلَّبَ الْأَمِيرَ زَيْنَ الدِّينِ زُبَاةَ الَّذِي كَانَ فَقِيهًا ثُمَّ نَائِبَهَا وَهُوَ مِنْ أَخْبَرِ النَّاسِ بِهَا  
وَبِحِطَّاتِهَا وَحَوَاصِلِهَا<sup>(٢٢)</sup>، فَدَارَ مَعَهُ فِيهَا وَأَرَاهُ حُصُونَهَا وَبُرُوجَهَا وَمَفَاتِحَهَا وَأَغْلَاقَهَا  
وَدُورَهَا وَقُصُورَهَا وَعُدَدَهَا وَبِرَكَّتِهَا، وَمَا هُوَ مُعَدٌّ فِيهَا وَهَذَا، وَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ هَذَا  
الِاتِّفَاقِ فِي هَذَا الْحَالِ، حَيْثُ لَمْ يَتَّفَقْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ قَبْلَهُ قَطُّ، وَفُتِحَ الْبَابُ الَّذِي  
هُوَ مُجَاهَ دَارِ السَّعَادَةِ وَجَعَلَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى الْقَلْعَةِ وَيَخْرُجُ بِخَدَمِهِ وَحَشَمِهِ  
وَأَهْبَتِهِ يَكْشِفُ أَمْرَهَا وَيَنْظُرُ فِي مَصَالِحِهَا.



وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ خَامِسَ عَشَرَ شَعْبَانَ رَكِبَ فِي الْمُرُكِبِ عَلَى الْعَادَةِ وَاسْتَدْعَى  
الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ اسْتَدْمَرَ الَّذِي كَانَ نَائِبًا عَلَى الشَّامِ، وَهُوَ فِي مَنَزِلِهِ كَالْمُعْتَقَلِ فِيهِ، لَا  
يُرَكَّبُ وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ، فَأَحْضَرَهُ إِلَيْهِ وَرَكِبَ مَعَهُ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرَاءُ الَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الدِّيَارِ  
الْمِصْرِيَّةِ: وَنَزَلَ بِهِمْ كُلُّهُمْ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونُوا  
كُلُّهُمْ كَيْفًا وَاحِدًا، وَعُضْبَةً وَاحِدَةً عَلَى مُخَالَفَةِ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ وَأَتَمَّهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ  
مَنْ أَرَادَ عَزْلَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْ قَتْلَهُ، وَأَنْ مَنْ قَاتَلَهُمْ قَاتَلُوهُ، وَأَنْ السُّلْطَانَ هُوَ ابْنُ أَسَازِهِمْ  
الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ بْنُ حَاجِي بْنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، فَطَاوَعُوا كُلُّهُمْ لِنَائِبِ السُّلْطَانَةِ  
عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَلَفُوا لَهُ وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى هَذَا الْحَلْفِ، وَقَامَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ  
عَلَى عَادَتِهِ فِي عَظْمَةِ هَائِلَةٍ، وَأَهْمِيَّةٍ كَثِيرَةٍ.

وَفِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ شَعْبَانَ شَرَعَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ سَيْفُ الدِّينِ بِيَدْمُرٍ فِي نَصْبِ  
مُجَانِيقَ عَلَى أَعْلَى بُرُوجِ الْقَلْعَةِ، فَصَبَّتْ أَرْبَعَةُ مُجَانِيقٍ مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ، ثُمَّ نَصَبَ آخَرَ  
وَأَخْرَجَ حَتَّى شَاهَدَ النَّاسُ سِتَّةَ مُجَانِيقٍ عَلَى ظُهُورِ الْأَبْرَجَةِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْقَلْعِيَّةَ وَأَسْكَنَهَا  
خَلْقًا مِنَ الْأَنْكِرَادِ وَالثَّرَكْمَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ الْأَنْجَادِ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْغَلَاتِ  
وَالْأَطِيعَةِ وَالْأَمِيعَةِ وَالْآلِ الْحَرْبِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاسْتَعَدَّ لِلْحِصَارِ إِنْ حُوصِرَ فِيهَا بِمَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُرْصَدُ مِنَ الْقِلَاعِ، بِمَا يَفُوقُ الْحَضَرَ. وَلَمَّا شَاهَدَ أَهْلُ الْبَسَاتِينِ  
الْمُجَانِيقَ <sup>(١٣)</sup> قَدْ نَصَبَتْ فِي الْقَلْعَةِ انْتَزَعُوا وَأَنْتَقَلَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْبَسَاتِينِ إِلَى الْبَلَدِ، وَمِنْهُمْ  
مَنْ أَوْدَعَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَدِ نَفَائِسَ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْتَعَتِهِمْ.

هَذَا وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَى الْأَمِيرِ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ جَمِيعُ أَمْرَاءِ الشَّامِ، ثُمَّ أَحْضَرَ نَائِبُ  
السُّلْطَانَةِ الْقُضَاةَ الْأَرْبَعَةَ وَالْأَمْرَاءَ كُلُّهُمْ وَكَتَبُوا مَكْتُوبًا سَطَرَهُ بَيْنَهُمْ كَاتِبُ السَّرِّ، فَحَوَاهُ  
أَتَمُّهُمْ رَاضُونَ بِالسُّلْطَانِ كَارِهِونَ لِيَلْبَعًا، وَأَتَمُّهُمْ لَا يُرِيدُونَهُ وَلَا يُوَافِقُونَ عَلَى تَصَرُّفِهِ فِي  
الْمَمْلَكَةِ، وَشَهِدَ عَلَيْهِمُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ، وَأَرْسَلُوا الْمَكْتُوبَ مَعَ مَمْلُوكٍ لِلْأَمِيرِ طَبِيعًا الطَّوِيلِ،  
نَظِيرَ يَلْبَعًا بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَرْسَلَ مِنْجَكَ إِلَى نَائِبِ السُّلْطَانَةِ يَسْتَحِجُّهُ فِي الْحَضُورِ إِلَيْهِ  
فِي الْجَيْشِ لِيُنَاجِرُوا الْمِصْرِيِّينَ، فَعَيَّنَ نَائِبُ الشَّامِ مِنَ الْجَيْشِ طَائِفَةً يَبْرُزُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ،  
وَخَرَجَتْ التَّجْرِيدَةُ لَيْلَةَ السَّبْتِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ صَحْبَةً اسْتَدْمَرَ الَّذِي كَانَ  
نَائِبَ الشَّامِ مَدَدًا لِلْأَمِيرِ مِنْجَكَ فِي عِدَّةِ الْفَيْنِ، وَذَكَرَ النَّاسُ أَنَّ نَائِبَ السُّلْطَانَةِ بِمَنْ بَقِيَ

مِنَ الْجَيْشِ ذَهَبُوا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ، ثُمَّ خَرَجَتْ أُخْرَىٰ بَعْدَهَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ، لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ الثَّامِنِ  
مِنَ رَمَضَانَ كَمَا سَيَأْتِي.

وَفِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ أَحْضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ إِلَىٰ دَارِ الْعَدْلِ ظَاهِرَ بَابِ النَّصْرِ لِبَيْعِ  
شَيْءٍ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَنْدِ وَالْفُولَازِ وَالزُّجَاجِ بِمَا هُوَ فِي حَوَاصِلِ بِلْبَعًا، فَاثْتَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ  
خَوْفًا مِنْ اسْتِعَادَتِهِ مِنْهُمْ عَلَىٰ تَقْدِيرٍ، فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ، ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي.

وَخَرَجَتْ التَّجْرِيْدَةُ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ صَحْبَةَ ثَلَاثَةِ مُقَدِّمِينَ وَدَخَلَ نَائِبُ  
طَرَابُلُسِ الْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ ثُوْمَانُ إِلَىٰ دِمَشْقَ صَبِيْحَةَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ عَاشِرِ رَمَضَانَ،  
فَتَلَقَّاهُ مَلِكُ الْأَمْرَاءِ سَيْفُ الدِّينِ بِيَدْمُرٍ إِلَى الْأَقْصَرِ، وَدَخَلَ مَعَا فِي أَهْبَةِ عَظِيْمَةٍ، فَتَزَلَّ  
ثُوْمَانُ فِي الْقَضْرِ الْأَبْلَقِي، وَبَرَزَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ إِلَىٰ عِنْدَ قَبَةِ بِلْبَعًا، هَذَا وَالْقَلْعَةُ  
مَنْصُوبٌ عَلَيْهَا الْمُحَانِيثُ، وَقَدْ مِلْتُ حَرَسًا شَدِيدًا، وَنَائِبُ السُّلْطَنَةِ فِي غَايَةِ التَّحْفُظِ.  
وَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْحَمِيْسِ صَمَّمَ ثُوْمَانُ تَمَرُّ عَلَىٰ مَلِكِ الْأَمْرَاءِ فِي الرَّجِيْلِ إِلَىٰ غَزَّةَ لِيَتَوَاقَى  
هُوَ وَبِقِيَّةُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْجَيْشِ الشَّامِيِّ، وَمَنْجَكَ وَمَنْ مَعَهُ هُنَالِكَ، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ  
مَفْعُولًا فَاجَابَتْ إِلَىٰ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِتَقْدَمِ السَّبْقِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَخَرَجَ السَّبْقُ وَأَعْلَقَتْ  
الْقَلْعَةُ بِأَهْلِ الْمَسْلُوكِ الَّذِي عِنْدَ دَارِ الْحَدِيثِ، فَاسْتَوْحَشَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، صَلَّى نَائِبُ السُّلْطَنَةِ بِالْمَقْصُورَةِ وَنَائِبُ  
طَرَابُلُسِ، ثُمَّ اجْتَمَعَا بِالْحُطْبَةِ فِي مَقْصُورَةِ الْحُطَّابِيَّةِ، ثُمَّ رَاحَ لِذَا رِ السَّعَادَةِ ثُمَّ خَرَجَ طَلْبُهُ  
فِي تَجْمُلِ هَائِلِ عَلَىٰ مَا ذُكِرَ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ فَاسْتَعْرَضَهُمْ ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ دَارِ السَّعَادَةِ  
فَبَاتَ إِلَىٰ أَنْ صَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ رَكِبَ خَلْفَ الْجَيْشِ هُوَ وَنَائِبُ طَرَابُلُسِ، وَخَرَجَ عَامَّةُ مَنْ  
بَقِيَ مِنَ الْجَيْشِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَبِقِيَّةِ الْحُلُقَةِ، وَسَلَّمَهُمُ اللهُ، وَكَذَلِكَ خَرَجَ الْقَضَاءُ، وَكَذَا  
كَاتِبُ السَّرِّ وَوَكِيْلُ بَيْتِ الْمَالِ وَعَظِيْمُهُمْ مِنْ كُتَّابِ الدُّنْيَا، وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ السَّبْتِ  
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْجُنْدِ بِدِمَشْقَ، سِوَى نَائِبِ الْغَيْبَةِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بْنِ حَمْرَةَ التُّرْكُمَائِيِّ،  
وَقَرِيْبِهِ وَالِي الْبَرِّ، وَمُتَوَلِّي الْبَلَدِ الْأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ صَدَقَةَ بْنِ أَوْحَدَ، وَمُحْتَسِبِ الْبَلَدِ وَنَوَّابِ  
الْقَضَاءِ وَالْقَلْعَةَ عَلَىٰ حَالِهَا، وَالْمُجَانِسِيُّ مَنْصُوبَةٌ كَمَا هِيَ. وَلَمَّا كَانَ صُبْحُ يَوْمِ الْأَحَدِ رَجَعَ  
الْقَضَاءُ بِكُرَّةٍ ثُمَّ رَجَعَ مَلِكُ الْأَمْرَاءِ فِي آتِنَاءِ النَّهَارِ هُوَ وَثُوْمَانُ تَمَرُّ، وَهُمْ كُلُّهُمْ فِي لَبْسِ  
وَأَسْلِحَةٍ تَامَةٍ، وَكُلٌّ مِنْهَا خَائِفٌ مِنَ الْآخَرِ أَنْ يُمْسِكَهُ، فَدَخَلَ هَذَا دَارَ السَّعَادَةِ وَرَاحَ

الْآخِرُ إِلَى الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ قَدِمَ مِنْجَكَ وَاسْتَدْمَرَ، وَهِيَ مَغْلُولَانِ قَدْ كَسَرَهُمَا مَنْ كَانَ قَدِيمَ عَلَى مَنْجَكَ مِنَ الْعَسَاكِرِ الَّتِي جَهَّزَهَا بِيَدْمُرُ إِلَى مَنْجَكَ قُوَّةً لَهُ عَلَى الْمِضْرِيِّينَ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ عَمْرِو حَاجِبِ الْحُجَّابِ، وَيُعْرَفُ بِالْمُهْمَنْدَارِ، قَالَ لِمَنْجَكَ كُلَّنَا فِي خِدْمَةِ مَنْ بِمِضْرَ، وَنَحْنُ لَا نُطِيعُكَ عَلَى نُضْرَةَ بِيَدْمُرَ، فَتَقَاوَلَا ثُمَّ تَقَاتَلَا فَهَزِمَ مَنْجَكَ وَذَهَبَ تَمْرٌ وَمَنْجَكَ وَمَنْ كَانَ مَعَهَا. وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ مِنْ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ خَامِسَ عَشَرَ لَمْ يَوْجَدْ لَتُومَانَ تَمْرَ وَطَبْرَقَ وَلَا أَحَدًا مِنْ أَمْرَاءِ دِمَشْقَ عَيْنَ وَلَا أُنْرَ، فَقَدْ ذَهَبُوا كُلُّهُمْ إِلَى طَاعَةِ صَاحِبِ مِضْرَ، وَلَمْ يَبْقَ بِدِمَشْقَ مِنْ أَمْرَائِهَا سِوَى ابْنِ قِرَاسَنْقَرٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَسِوَى بِيَدْمُرَ وَمِنْجَكَ وَاسْتَدْمَرَ، وَالْقَلْعَةَ قَدْ هَيَّئَتْ وَالْمَجَانِسُ مُنْصُوبَةً عَلَى حَالِهَا، وَالنَّاسُ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ مِنْ دُخُولِ بِيَدْمُرَ إِلَى الْقَلْعَةِ، فَيَحْضُلُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ قُدُومِ الْجَيْشِ الْمِضْرِيِّ حِصَارٌ وَتَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ عَلَى النَّاسِ.

وَلَمَّا كَانَ فِي أُنْتَاءِ نَهَارِ الْإِثْنَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ دَقَّتِ الْبَسَائِرُ فِي الْقَلْعَةَ وَأَظْهَرَ أَنْ يَلْبُغَا الْحِجَاصِ كَيْ قَدْ نَفَاهُ السُّلْطَانُ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ ضُرِبَتْ وَقْتُ الْمَغْرِبِ ثُمَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ أَيْضًا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَرْكَبُ الْأَمْرَاءُ الثَّلَاثَةَ مِنْجَكَ وَبِيَدْمُرَ وَاسْتَدْمَرَ مُلْبَسِينَ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى خَارِجِ الْبَلَدِ، ثُمَّ يَعُودُونَ، وَالنَّاسُ فِيهَا يَقَالُ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكْذَّبٍ، وَلَكِنْ قَدْ شَرَعَ إِلَى تَسْتِيرِ الْقَلْعَةِ وَتِهْيِ الْحِصَارِ. ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْبَسَائِرَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، فَاهْتَمَّ فِي عَمَلِ سَتَائِرِ الْقَلْعَةِ وَحَمَلِ الرِّلِّطِ وَالْأَحْجَارِ إِلَيْهَا، وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الرِّكَابَ الشَّرِيفَ السُّلْطَانِيَّ وَصُحْبَتَهُ يَلْبُغَا فِي جَمِيعِ جَيْشِ مِضْرَ قَدْ تَجَاوَزَ غَزَّةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ الصَّاحِبُ وَكَاتِبُ السَّرِّ وَالْقَاضِي الشَّافِعِيُّ وَنَاطِرُ الْجَيْشِ وَنُقبَاؤُهُ وَمُتَوَلِّي الْبَلَدِ وَتَوَجَّهُوا تِلْقَاءَ حَمَاءَ لِنَلْقَى الْأَمِيرَ عَلِيَّ الَّذِي قَدْ جَاءَهُ تَقْلِيدُ دِمَشْقَ، وَيَقِي الْبَلَدَ شَاغِرًا عَنْ حَاكِمِ فِيهَا سِوَى الْمُخْتَسِبِ وَبَعْضِ الْقُضَاةِ، وَالنَّاسُ كَعَنَمَ لَا رَاعِي لَهُمْ، وَمَعَ هَذَا الْأُخْوَالَ صَالِحَةً وَالْأُمُورَ سَاكِنَةً، لَا يَعْدُو أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فِيهَا بَلْغَنًا، هَذَا وَيَبْدُمُرُ وَمِنْجَكَ وَاسْتَدْمَرَ فِي تَحْصِينِ الْقَلْعَةِ وَتَحْصِيلِ الْعُدَدِ وَالْأَقْوَاتِ فِيهَا، وَالسَتَائِرُ تُعْمَلُ فَوْقَ الْأَبْرَجَةِ، وَصَلَّى الْأَمِيرُ بِيَدْمُرَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ تَائِسِعَ عَشَرَ الشَّهْرِ فِي الشَّبَاكِ الْكَمَا لِي، فِي مَشْهَدِ عُثْمَانَ، وَصَلَّى عِنْدَهُ مَنْجَكَ إِلَى جَانِبِهِ دَاخِلَ مَوْضِعِ الْقُضَاةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ مِنَ الْحُجْبَةِ وَلَا النُّقْبَاءِ، وَلَيْسَ فِي الْبَلَدِ أَحَدٌ مِنَ الْمُبَاشِرِينَ بِالْكَلِّيَّةِ، وَلَا مِنْ الْجُنْدِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ سَاقَرُوا.

إِلَى نَاحِيَةِ السُّلْطَانِ، وَالْمُبَاشِرُونَ إِلَى نَاحِيَةِ حِمَاةِ لِقَائِي الْأَمِيرِ عَلِيِّ نَائِبِ الشَّامِ الْمُخْرُوسِ،  
ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ وَلَمْ يَخْضِرِ الصَّلَاةَ اسْتَدْمَرَ؛ لِأَنَّهُ كَمَا قِيلَ كَانَ مُنْقَطِعًا أَوْ قَدْ صَلَّى فِي  
الْقَلْعَةِ.

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ الْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ وَصَلَ الْبَرِيدُ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ مِنْ أُنْبَاءِ  
الرُّسُولِ إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ يَسْتَعْلِمُ طَاعَتَهُ أَوْ مَخَالَفَتَهُ، وَبَعَثَ عَلَيْهِ فِيهَا اعْتَمَدَهُ مِنْ اسْتِحْوَذَ  
عَلَى الْقَلْعَةِ وَيَخْطُبُ فِيهَا، وَادْخَرَ الْأَلَاتِ وَالْأَطْعِمَةَ فِيهَا، وَكَيْفَ تَصَرَّفَ فِي الْأَمْوَالِ  
السُّلْطَانِيَّةِ تَصَرَّفَ الْمَلِكِ وَالْمُلُوكِ، فَتَصَلَّ مَلِكُ الْأَمْرَاءِ مِنْ ذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرْصَدَ  
فِي الْقَلْعَةِ جَنَادِهَا وَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهَا، وَأَنَّ أَبْوَابَهَا مَفْتُوحَةٌ، وَهِيَ قَلْعَةُ السُّلْطَانِ، وَإِنَّمَا لَهُ  
غَرِيمٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ الشَّرْعُ وَالْقَضَاءُ الْأَرْبَعَةُ - يَعْنِي بِذَلِكَ يَلْبَغَا - وَكَتَبَ بِالْجَوَابِ وَأَرْسَلَهُ  
صَحْبَةَ الْبَرِيدِ مَمْلُوكُ بَقَطْبَةِ الدَّوِيدَارِ، وَأَرْسَلَ فِي صُحْبَتِهِ الْأَمِيرَ صَارِمَ الدِّينِ أَحَدَ  
أَمْرَاءِ الْعِشْرَاتِ مِنْ يَوْمِ ذَلِكَ.

وَفِي يَوْمِ الْإِثْنِينَ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ شَهِدَ انْغِلَاقَ أَبْوَابِ الْبَلَدِ إِلَى قُرْبِ  
الظُّهْرِ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ مَفْتُوحَ سِوَى بَابِ النَّصْرِ وَالْفَرَجِ، وَالنَّاسُ فِي حَضْرٍ شَدِيدٍ وَأَنْزِعَاجٍ،  
وَلَكِنْ قَدْ اقْتَرَبَ وَصُولُ السُّلْطَانِ وَالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ. وَفِي صَبِيحَةِ الْأَرْبَعَاءِ أَصْبَحَ  
الْحَالُ كَمَا كَانَ وَأَزِيدَ، وَنَزَلَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ يَلْبَغَا الْخَاصِكِيُّ بِقُبَّةِ يَلْبَغَا، وَأَمْتَدَّ طَلْبُهُ  
مِنْ سَيْفِ دَارِيَا إِلَى الْقُبَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَهَيْئَةً حَسَنَةً، وَدَخَلَ بَيْنَهُمْ فِي هَذَا  
الْيَوْمِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَتَحَصَّنَ بِهَا. وَفِي يَوْمِ الْحَمِيسِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ اسْتَمَرَّتِ الْأَبْوَابُ  
كُلُّهَا مُعَلَّقَةً سِوَى بَابِ النَّصْرِ وَالْفَرَجِ، وَصَافَى النُّطَاقُ وَانْحَصَرَ النَّاسُ جِدًّا، وَقَطَعَ  
الْمَصْرِيُونَ نَهْرَ بَابِيَّاسَ وَالْفَرْعَ الدَّاخِلَ إِلَيْهَا وَإِلَى دَارِ السَّعَادَةِ مِنَ الْقَنَوَاتِ، وَاحْتَاجُوا  
لِذَلِكَ أَنْ يَقْطَعُوا الْقَنَوَاتِ لِيَسُدُّوا الْفَرْعَ الْمَذْكُورَ، فَأَنْزَعَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِذَلِكَ وَمَلَّتُوا مَا  
فِي بَيْوتِهِمْ مِنْ بَرَكَ الْمَدَارِسِ، وَبِيعَتِ الْقُرْبَةُ بِدِرْهَمٍ، وَالْحُقُّ بِنِصْفِ، ثُمَّ أُرْسِلَتِ الْقَنَوَاتُ  
وَقَتَّ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَانْشَرَحَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْأَبْوَابُ  
مُعَلَّقَةً وَلَمْ يَفْتَحْ بَابِ النَّصْرِ وَالْفَرَجِ إِلَى بَعْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ بِرَمَانٍ، فَأَرْسَلَ يَلْبَغَا مِنْ جِهَتِهِ  
أَرْبَعَةَ أَمْرَاءَ فَدَخَلُوا الْبَلَدَ وَكَسَرُوا أَقْفَالَ أَبْوَابِ الْبَلَدِ، وَفَتَحُوا الْأَبْوَابَ، فَلَمَّا رَأَى بَيْنَهُمْ  
ذَلِكَ أَرْسَلَ مَفَاتِيحَ الْبَلَدِ إِلَيْهِمْ.

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان وصل السلطان الملك المنصور إلى المضطبة غربي عقبة سُجُورًا في جحافل عظيمة كالجبال، فنزل عند المضطبة المنسوبة إلى عم ابنته الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، وجاءت الأمراء وتواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يديه، كَنَائِبِ حَلَبَ، وَنَائِبِ حِمَاةَ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ الْمَارِدَانِيُّ، وَكَانَ قَدْ عُيِّنَ لِيَنَابَةِ دِمَشْقَ، وَكَتَبَ بِتَقْلِيدِهِ بِذَلِكَ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِحِمَاةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ السَّامِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ خَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ عَلِيَّ الْأَنْدَالِيَّ بِنِيَابَةِ دِمَشْقَ، وَأَعِيدَ إِلَيْهَا عَوْدًا عَلَى بَدْءِهِ، ثُمَّ هَذِهِ الْكِرَّةُ الثَّلَاثَةُ، وَقَبَّلَ يَدَ السُّلْطَانِ وَرَكِبَ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِتَهْنِئَتِهِ، هَذَا وَالْقَلْعَةُ مُحَصَّنَةٌ بِيَدِ بَيْدَمَرٍ، وَقَدْ دَخَلَهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَاحْتَمَى بِهَا، هُوَ وَمَنْجُكُ وَاسْتَدْمَرَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَعْوَانِ بِهَا.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ طُلِبَ قُضَاةُ الْقُضَاةِ وَأُرْسِلُوا إِلَى بَيْدَمَرٍ وَدَوِيهِ بِالْقَلْعَةِ لِصَاحِحُوهُ عَلَى شَيْءٍ مَيَسُورٍ يَشْرَطُونَهُ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ أُرْسِلَ قُضَاةُ الْقُضَاةِ وَمَعَهُمُ الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الْجَبَلِ الْحَنْبَلِيِّ، وَالشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، قَاضِي الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ لِلْحَنْبَلِيَّةِ، إِلَى بَيْدَمَرٍ وَمَنْ مَعَهُ لِيَتَكَلَّمُوا مَعَهُمْ فِي الصُّلْحِ لِيَنْزِلُوا عَلَى مَا يَشْرَطُونَ قَبْلَ أَنْ يَشْرَعُوا فِي الْحِصَارِ، وَأَخْضَرَ مِنْ رِجَالِ النَّقَّاعِينَ نَحْوَ مِنْ سِتَّةِ آلَافٍ رَامَ فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ الْقُضَاةُ وَمَنْ مَعَهُمْ وَأَخْبَرُوهُ عَنِ السُّلْطَانِ وَأَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ بِأَتَمِّهِمْ قَدْ كُتِبُوا لَهُ أَمَانًا إِنْ أَنَابَ إِلَى الْمِصَالِحَةِ، فَطَلَبَ أَنْ يَكُونَ بِأَهْلِهِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَطَلَبَ أَنْ يُعْطَى مَنجُكُ كَدًّا بِنَاحِيَةِ بِلَادِ سَيْسِ لِيَسْتَرْزُقَ هُنَاكَ، وَطَلَبَ اسْتَدْمَرَ أَنْ يَكُونَ بِأَشْمَقِدَارًا لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبَغَا الْحَاصِكِيِّ. فَرَجَعَ الْقُضَاةُ إِلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُمُ الْأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ جَنْزِيلُ الْحَاجِبِ كَانَ، فَأَخْبَرُوا السُّلْطَانِ وَالْأَمْرَاءَ بِذَلِكَ، فَأَجِيبُوا إِلَيْهِ، وَخَلَعَ السُّلْطَانُ وَالْأَمْرَاءُ عَلَى جَنْزِيلِ خَلْعًا، فَرَجَعَ فِي خِدْمَةِ الْقُضَاةِ وَمَعَهُمُ الْأَمِيرُ اسْتَبْعَابُ الْأَبُو بَكْرِيِّ، فَدَخَلُوا الْقَلْعَةَ وَبَاتُوا هُنَاكَ كُلُّهُمْ، وَانْتَقَلَ الْأَمِيرُ بَيْدَمَرُ بِأَهْلِهِ وَأَثَابَهُ إِلَى دَارِهِ بِالْمُطَّرِزِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ خَرَجَ الْأَمْرَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْقَلْعَةِ وَمَعَهُمْ جَنْزِيلُ، فَدَخَلَ الْقُضَاةُ وَسَلَّمُوا الْقَلْعَةَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْحَوَاصِلِ إِلَى الْأَمِيرِ اسْتَبْعَابِ الْأَبُو بَكْرِيِّ.

وَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ رَجَعَ الْقَضَاءُ  
إِلَى الْوِطَاقِ الشَّرِيفِ، وَفِي صُحُفِهِمُ الْأَمْرَاءَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَلْعَةِ، وَقَدْ أَعْطُوا الْأَمَانَ مِنْ  
جِهَةِ السُّلْطَانِ وَمَنْ مَعَهُمْ وَذَوِيهِمْ، فَدَخَلَ الْقَضَاءُ وَحُجِبَ الْأَمْرَاءَ الْمَذْكُورُونَ، فَخَلَعَ  
عَلَى الْقَضَاءِ الْأَزْبَعَةَ وَأَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ مَجْبُورِينَ، وَأَمَّا الْأَمْرَاءَ الْمَذْكُورُونَ فَأَيْتَهُمْ أَزْكَبُوا  
عَلَى خَيْلٍ ضَعِيفَةٍ، وَخَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَسَاقَى أَخَذَ بَوْسَطَهُ قَبْلَ، وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ  
مِنَ الْوَسَاقِيَةِ خَنْجَرٌ كَبِيرٌ مُسَلُّوْلٌ لِئَلَّا يَسْتَنْقِذَهُ مِنْهُ أَحَدٌ فَيَقْتُلَهُ بِهَا، فَدَخَلَ جَهْرَةً بَيْنَ  
النَّاسِ لِيُرَهِمَ ذَلْتَهُمُ الَّتِي قَدْ لَبَسْتُهُمْ، وَقَدْ أَخَذَقَ النَّاسُ بِالطَّرِيقِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَقَامَ  
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يُقَارِبُونَ الْمِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا، فَرَأَى النَّاسُ مَنْظَرًا أَفْظِيعًا، فَدَخَلَ  
بِهِمُ الْوَسَاقِيَةُ إِلَى الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ الَّذِي فِيهِ الْقَضْرُ، فَأَجْلَسُوا هُنَاكَ، وَأَرْسَلَتِ الْجِيُوشُ  
دَاخِلَةً إِلَى دِمَشْقَ أَطْلَابًا فِي تَجْمَلٍ عَظِيمٍ، وَلِبَسَ الْحَرْبِ بَنَهْرَ النَّصْرِ وَخِيُولَ وَأَسْلِحَةَ  
وَرِمَاحَ، ثُمَّ دَخَلَ السُّلْطَانُ فِي آخِرِ ذَلِكَ كُلِّهِ بَعْدَ الْعَصْرِ بِزَمَنِ، وَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ  
قَبَازَ بَخَارِيٍّ، وَالْقُبَّةَ وَالطَّيْرَ يُجْمَلُهُمَا عَلَى رَأْسِهِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تُوْمَانَ تَمَّرَ، الَّذِي كَانَ  
نَائِبَ طَرَابُلسَ، وَالْأَمْرَاءَ مُشَاةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْبُسْطُ تَحْتَ قَدَمِي فَرَسِهِ، وَالْبَسَائِرُ تُضْرَبُ  
خَلْفَهُ فَدَخَلَ الْقَلْعَةَ الْمَنْصُورِيَّةَ، وَرَأَى مَا قَدْ أُرْصِدَ بِهَا مِنَ الْمَجَانِيقِ وَالْأَسْلِحَةِ، فَاشْتَدَّ  
خَنْقُهُ عَلَى بَيْدَمَرٍ وَأَصْحَابِيهِ كَثِيرًا، وَنَزَلَ الطَّارِمَةَ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلُوكَةِ وَوَقَفَ  
الْأَمْرَاءَ وَالنُّوَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ سَلَخَ الشَّهْرَ نَقَلَ الْأَمْرَاءَ الْمَغْضُوبَ  
عَلَيْهِمُ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِيمَا كَانُوا أَبْرَمُوهُ مِنْ ضَمِيرِ سُوءٍ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى الْقَلْعَةِ فَأَنْزَلُوا  
فِي أَبْرَاجِهَا مُهَانِينَ مُفْرَقًا بَيْنَهُمْ، بَعْدَ مَا كَانُوا بِهَا آمِنِينَ حَاكِمِينَ، أَضْبَحُوا مُعْتَقِلِينَ مُهَانِينَ  
خَائِفِينَ، فَجَارُوا بَعْدَ مَا كَانُوا رُؤْسَاءَ، وَأَضْبَحُوا بَعْدَ عِزِّهِمْ أَذْلَاءَ، وَنَقَبَتْ أَصْحَابُ  
هُؤْلَاءِ وَتُودِي عَلَيْهِمْ فِي الْبَلَدِ، وَوُعِدَ مَنْ دَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِسَالِ جَزِيلٍ، وَوِلَايَةُ إِمْرَةٍ  
بِحَسَبِ ذَلِكَ، وَرُسِمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى الرَّئِيسِ أَمِينِ الدِّينِ ابْنِ الْقَلَانِسْبِيِّ كَاتِبِ السَّرِّ،  
وَطَلَبَ مِنْهُ أَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَسُلِّمَ إِلَى الْأَمِيرِ زَيْنِ الدِّينِ زِيَالَةَ نَائِبِ الْقَلْعَةِ، وَقَدْ أُعِيدَ  
إِلَيْهَا وَأَعْطِيَ تَقْدِيمَةَ ابْنِ قَرَأَسَنْقَرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ إِلَى أَنْ يَزِينَ هَذَا الْمُبْلَغَ، وَصَلَّى السُّلْطَانُ  
وَأَمْرَاؤُهُ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ صَلَاةَ الْعِيدِ، ضَرَبَ لَهُ خَامٌ عَظِيمٌ وَصَلَّى بِهِ خَطِيبًا الْقَاضِي

تاج الدين الساوي الشافعي، ودخل الأمراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة، ومدّ لهم سبطاً هائلاً أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم، وحمل الطير في هذا اليوم على رأس السلطان الأمير عليّ نائب دمشق، وخلع عليه خلعة هائلة.

وفي هذا اليوم مسك الأمير ثومان عمر الذي كان نائب طرابلس، ثم قدم على بيدمر، فكان معه، ثم قفل إلى المصريين واعتذر إليهم فعذروه فيما يبدون للناس، ودخل وهو حامل الخبز على رأس السلطان يوم الدخول، ثم ولّوه نيابة جنص، فصغروه وحقروه، ثم لما استمرّ ذاهباً إليها فكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردّوه، وطلب منه المائة ألف التي كان قبضها من بيدمر، ثم ردّوه إلى نيابة جنص.

وفي يوم الخميس اشتهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية<sup>(٢٤)</sup> وخاصكية<sup>(٢٥)</sup> ملكوا عليهم حسين الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم وقتلوا، وأن الأمر قد انفصل وردّ حسين للمحلّ الذي كان معتقلاً فيه. وبذلك انتهى التمرد دون إراقة دماء.

## دولت خجا يعين واليا على القاهرة

ومن حوادث اليوم السادس والعشرين من رمضان سنة ٨٤١ هـ تعيين السلطان الأشرف لرجل يعرف بـ (دولت خجا) والياً على القاهرة.

قال ابن تغري في (النجوم الزاهرة) والمقريزي في (السلوك في معرفة الدول والملوك): إن السلطان خلع على دولت خجا الظاهري باستقراره والى القاهرة عوضاً عن التاج الشوبكي وأخيه عمر، ودولت خجا هو أحد أصاغر المماليك الظاهرية برقوق ومن شرارهم، وكان وضعياً تركي الجنس، كثير الشر، يمشى على قدميه بالأسواق في بعض الأحيان، وكان الملك الأشرف يعرفه أيام جنديته ويتوقى شره، فلما تسلطن ولاه الكشوفية ببعض النواحي، فأباد أهل تلك الناحية، ثم ولاه الكشف بالوجه القبلي فتتوّع في عذاب أهل الفساد وقطاع الطريق أنواعاً كثيرة، منها: أنه كان إذا قبض على الحرامي أمسكه ونفخ بالكير في دبره حتى تندر عيناه وينفلق دماغه، ومنها أنه كان يعلّق الرجل منكساً ولا يزال يرمى عليه بالتشّاب إلى أن يموت، وأشياء كثيرة من ذلك،

فلما ولى الولاية بالقاهرة أول ما بدأ به أنه أفرج عن جميع أرباب الجرائم من الحبوس، وحلف لهم أنه متى ظفر بأحد منهم وقد سرق ليوسطته، وأرهب إرهاباً عظيماً، وصار يركب في الليل ويطوف بحرمة زائدة عن الحد، وصدق في يمينه في السراق فما وقع له سارق عن أطلقه - وقد كتب أسماءهم عنده - إلا وسطه، فذعر أهل الفساد منه، وانكفوا عن السرقة، ثم أخذ في التضييق على الناس والزامهم بالزامات منها: أنه أمرهم بكنس الشوارع ثم رشها بالماء، وبتعليق كل سوقى قنديلا على دكانه، وعاقب على ذلك خلائق، ثم منع النساء من الخروج إلى التراب في أيام الجمع، وأشياء كثيرة إلى أن سئمته الناس وعزله الأشرف عنهم.

### ثبوت رؤية الهلال صباحاً

وفي أحداث شهر رمضان سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م، زمن الأشرف قايتباي، يذكر «ابن إياس» أنه قد نودي بالصوم بعد صحوة النهار وكان أول أيام رمضان، وقد ثبتت رؤية الهلال بعد ثلاثين درجة، وقد أكل غالب الناس في ذلك اليوم لا سيما العوام، فنقل عليهم الإمساك في ذلك اليوم بعد الإفطار.

### العيد بأمر السلطان

ومن النوادر الغريبة التي أوردها ابن إياس أيضاً، ما حدث في اليوم التاسع والعشرين من رمضان عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م، زمن الناصر محمد بن قايتباي، إذ أمر بأن تدق أجراس القلعة، وقال أنا أعمل العيد يوم الغد هذا الشهر إن رأوا الهلال أو لم يروا الهلال، فلما أشيع ذلك بين الناس ركب قاضي القضاة الشافعي «زين الدين زكريا» وطلع إلى القلعة فاجتمع بالسلطان وعرفه أن العيد لا يكون إلا برؤية الهلال فشق ذلك على السلطان وهمم بعزل القاضي في ذلك اليوم...!! فلما دخل الليل لم يُر الهلال في تلك الليلة وجاء يوم الجمعة بدلاً من الخميس، وكان السلطان الناصر قد تطير من العيد أن يجيء يوم جمعة - فكان ذلك على رغم أنفه - ولم يخرج السلطان إلى صلاة العيد ولم يستقبل الخليفة أو أيّاً من الأمراء والوجهاء الذين طلعوا إلى القلعة لتهنئته بالعيد<sup>(٢٦)</sup>.



## خلاف بين القاضي والوالي حول رؤية الهلال

وعن تأثيرات السياسة في تحديد مطالع الشهور، ما أوزده «الجبرتي» في العجائب من أحداث اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان عام ١٢١٩ هـ، الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م، حيث حضر صالح أغا وصحبه جانم أفندي الدفتردار ونزلا عند الباشا بالقلعة وذكر جانم أفندي ومن معه للباشا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة الإثنين وصاموا بالإسكندرية بدءاً من ذلك اليوم وكذلك صاموه في رشيد وفوه وغالب بلاد بحري، وكان الشيخ سليمان الفيومي قد حضر أيضاً قبل ذلك بأيام وحكى نفس الحكاية فلم يعمل به القاضي، وقال: إن رؤى الهلال ليلة الأربعاء أفطرنا وأن لم ير فهو من رمضان، فلما كان بعد عصر ذلك اليوم ضربت مدافع من القلعة فاشتبه على الناس الأمر وذهب جماعة إلى القاضي وسألوه فقال: لا علم لي بذلك وأرسل في المساء جماعة من أتباعه وباش كاتب إلى منارة المارستان فصعدوا إليها وطلع معهم آخرون وترقبوا رؤية الهلال فلم يروه وأخبروا القاضي بذلك فأمر بالصوم ونادوا به وأوقدوا المنارات والقناديل وصلوا التراويح بالمساجد، وتحقق الناس الصيام من الغد، فلما كان بعد العشاء الأخيرة ضربت مدافع كثيرة من القلعة وسواريح وشنك فوق الارتباك فأرسل القاضي ينادي بالصوم وذكروا أن هذا المسموع شنك لأخبار وردت بملك المنية وحضر المبشر بذلك لابن السيد أحمد المحروقي وخلع عليه خلعة وكذلك بقية الأعيان، وبعد حصة من الوقت مر الوالي ينادي بالفطر والعيد فزاد الارتباك وركب بعض المشايخ إلى القاضي وسألوه فأخبر أنه لم يأمر بذلك ولم يثبت لديه رؤية الهلال وأن غدا من رمضان فخرجوا من عنده يقولون ذلك للناس ويأمر ونهم بالصوم وانحط الأمر على ذلك وطافت المسحرون على العادة، فلما كان في سادس ساعة من الليل أرسل الباشا إلى القاضي وطلبه فطلع إليه فعرفه بشهادة الجماعة الواصلين من بحري وأحضرهم بين يديه فشهدوا برؤية هلال أول الشهر ليلة الإثنين وهم نحو العشرين شخصاً فيما وسع القاضي إلا قبول شهادتهم وخصوصاً لكونهم أتراكاً ونزل القاضي ينادي بالفطر ويأمر بطفى القناديل من المنارات وأصبح كثير من الناس لا علم له بما حصل آخرها في جوف الليل، وبالجملة فكانت هذه الحادثة من النوادر، وتبين أن خير المنية لا أصل له بل هو من جملة اختلاقاتهم، على حسب تعبير «الجبرتي».

## مطر وبرد عجيبان في القاهرة

جاء في (عجائب الآثار) في حوادث سنة ١٢٢٣ هـ، أنه في السابع والعشرين من رمضان في هذه السنة غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى، وذلك من أطراف القاهرة، وأمطرت برداً في مقدار بيض الدجاج وأكبر وأصغر، فهدمت دوراً وأصابت أنعاماً، وتسببت في خسائر واسعة غير أنها قتلت الدودة من الزرع البدرى.

## فتنة في دار الخلافة العثمانية باستانبول

ومن حوادث اليوم السابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٢٣ هـ الفتنة العظيمة التي وقعت في دار الخلافة العثمانية في أواخر أيامها.

جاء في عجائب الآثار، أن مصطفى باشا البيرقدار<sup>(٢٧)</sup> كان قد زادت سطوته وبات يتحكم في أمور الدولة العثمانية، فقد دبر لقتل السلطان سليم وتولية السلطان محمود وخذل جنود الحماية وسعى في قتلهم ونفيهم، أما من استمر منهم تحت إمرته، فقد أجمعوا أمرهم ومكروا مكروهم، ومنهم من حذر مصطفى باشا عما يكاد له فلم يكثر بذلك واستهون أمرهم واحتقر جانبهم، ثم أنهم تمخزوا وحضروا إلى سرايته على حين غفلة بعد السحور ليلة السابع والعشرين من رمضان وجماعته وطائفته متفرقون في أماكنهم فحرقوا باب السراية وكبسوا عليه فقتل من قتل من أتباعه وهرب من هرب، واختفى مصطفى باشا في سرداب فلم يجده وأوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب وخاف السلطان محمود؛ لأن سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ففتح باب السراية التي بناحية البحر وأرسل يستعجل قاضي باشا بالحضور وكذلك قبطان باشا فحضرا إلى السراية، واشتدت الحرب بين الفريقين وأكثر الينكجيرية<sup>(٢٨)</sup> من الحريق في البلدة حتى احرقوا منها جانباً كبيراً فلما عاين السلطان ذلك هاله وخاف من عموم حريق البلدة وهو ومن معه محصورون بالسراية يوماً وليلة فلم يسعه إلا تلافي الأمر فراسل كبار الينكجيرية وصالحهم، وأبطلوا الحرب وشرعوا في إطفاء الحريق وخرج قاضي باشا هارباً وكذلك قبودان باشا. ثم إنهم أخرجوا مصطفى باشا من المكان، الذي اختفى فيه

ميتا من تحت الردم وسحبوه من رجليه إلى خارج وعلقوه في شجرة ومثلوا به وأكثروا على رمته من السخرية.

## شهادة كاذبة في هلال شوال

ومن حوادث اليوم التاسع والعشرين من رمضان سنة ١٢٩٢ هـ نادرة غريبة حدثت في المغرب أبطالها جماعة من شهود الليف<sup>(٣٩)</sup>، وكان عددهم اثني عشر رجلا؛ جاءوا إلى القاضي أبي عبد الله بن إبراهيم ليلة التاسع والعشرين من رمضان، وشهدوا عنده أنهم رأوا هلال شوال بعد الغروب رؤية محققة لم يلحقهم فيها شك ولا ريبة فسمع القاضي شهادتهم وسجلها وكتب للسلطان بذلك وهو بقرميس فارتحل السلطان في جوف الليل ودخل داره وأصبح من الغد معيدا وعيد أهل العدوتين وأعمالهما والجم الغفير من أهل المغرب الذين حضروا مع السلطان ولما كان ظهر ذلك اليوم وهو التاسع والعشرون من رمضان حقق الفلكيون من أهل الدولة أن العيد لا يمكن في ذلك اليوم وتكلموا بذلك فاهوا به فكثر الكلام بذلك، وكان جل الناس على شك أيضا ولما حان وقت الغروب ارتقب الناس الهلال والسماة مصحبة ليس فيها قرعة<sup>(٤٠)</sup> فلم يروا له أثرا فأمر السلطان بالنداء وأن الناس يضحون صياما، لأن رمضان ما زال فصام الناس من الغد وبعد ذلك ظهر الهلال ظهورا معتادا وتبين كذب الشهود فسجنوا ثم سرحوا بعد حين<sup>(٤١)</sup>. (انظر: استطلاع هلال شهر رمضان).

## الهوامش

- (١) مصطفى عبد الرحمن: رمضانيات، ص ٩.
- (٢) الفراء: الأيام والليالي والشهور.
- (٣) عباس محمود العقاد: رمضان .. وليلة القدر، مجلة الهلال، رمضان ١٩٦٠ م.
- (٤) شوقي على هيكل: رمضان في اللغة، مجلة الفنون الشعبية، ع ٥٤ - ٥٥، يناير - يونيو - ١٩٩٧ م.
- (٥) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية.
- (٦) روى الطبراني في الكبير عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمانى عشرة خلت من رمضان. وعند ابن كثير في البداية والنهاية أن الزبور نزل على داود عليه السلام في اثني عشرة ليلة خلت من رمضان.
- (٧) قد توجد نسبة ضئيلة لحدوث الخطأ في التحويل، تقدر بيوم واحد فقط، نتيجة لاختلاف بداية شهر رمضان من دولة إلى أخرى في بعض الأعوام، إضافة إلى تعدد الطرق الرياضية لتحويل التاريخ، مما قد ينتج عنه بعض الاختلاف في تقريب الأيام، وقد اعتمدنا في مقابلة التواريخ هنا على أحد البرامج الإلكترونية، الذي وجدنا أنه يتفق مع التجارب الرياضية التقليدية، وقمنا بمضاهاته على ما قام به - في هذا الصدد - د. محمد حلمي محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عند تحقيقه لكتاب «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريزى، طبعة هيئة قصور الثقافة، ١٩٩٩.
- (٨) الربض: تعني الضاحية ويطلق أيضًا على الحي، والجمع أرباض.
- (٩) الثُلْمَةُ: فجوة في الحائط.
- (١٠) الرخمة: طائر أبيض يشبه النسر في الحلقة.
- (١١) الجلمكية: الجراية والرواتب المقررة.

(١٢) يتمفطر: المِفْطَرَةُ هي الفَلَقُ، وهي خشبة فيها خروق، كل خرق على قدرِ سَعَةِ الساق. (لسان العرب).

(١٣) الأجر: طوب البناء.

(١٤) ابن الجوزي: المنتظم

(١٥) القرم، أى شدة الشهوة إلى اللحم.

(١٦) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ٩٦-٩٧.

(١٧) الدوادار: حامل دواة السلطان. من وظائفه إبلاغ الرسائل عن السلطان.

(١٨) المحتسب: هذه الوظيفة كانت تعنى بالتفتيش على الأسواق ومراقبة الموازين وأمانة البيع والشراء.

(١٩) الأَوْشَابُ: الأَخْلَاطُ من الناس والأَوْيَاشُ، واحْدُهُمْ وَشَبٌّ. يقال: بها أوياش من الناس، وأوشاب من الناس، وهم الضُّرُوبُ المُتَّفَرِّقُونَ. (لسان العرب).

(٢٠) الطَّغَامُ: أوغاد الناس.

(٢١) الأتابك: تعني الأب الأمير وهو أمير الجيوش أي القائد العام للجيش. وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد نائب السلطنة. ويدعى أيضاً أتابك العساكر ولم تكن له صلاحيات أمر ونهي. (شهاب الدين الخفاجي. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل).

(٢٢) الخواصل: أماكن التخزين والمفرد حاصل.

(٢٣) المجانيق: جمع المَنْجَنِيْقُ وهو آلة قديمة من آلات الحصار، كانت تُرمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها

(٢٤) الطواشية هم العبيد الذي كان يُقطع لهم عضو الذكورة في طفولتهم ويكلفونه بالخدمة في أجنحة سكن حريم السلاطين والخلفاء والأمراء وكثير من هؤلاء الطواشية وصلوا إلى مناصب مهمة في البلاط والجيش.

(٢٥) الخاصكية: أقرب الممالك السلطانية إلى السلطان. وهم الحرس الشخصي له. وكانوا يسوقون المحمل الشريف. وأحياناً يشير اللقب إلى ممالك يتنمون إلى فئة واحدة تلتفت حول أحد كبار الأمراء. (شهاب الدين الخفاجي. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل).

(٢٦) حسين المصري: رمضان زمان، جريدة البديل، ٧/٩/٢٠٠٨، وقاسم عبده قاسم: رمضان أقلام المؤرخين وعميون الرحالة، مجلة العربي، العدد ٦٣٣ - ٨/٢٠١١.

(٢٧) البيرقدار: هو لقب لرتبة عسكرية في الجيش العثماني ويتكون من كلمتين وهى البيرق (العلم أو الراية) ملحقة بكلمة دار التي تلتحق بالقب المهن.

(٢٨) الينكجزية: فرق الحماية الخاصة بالسلطة.

(٢٩) في لسان العرب: اللّيفُ هم القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً. وشهود اللّيف هم جماعة من الشهود يؤتى بهم من مكان واحد أو من عدة مناطق بشرط أن يكونوا جميعاً شهدوا نفس الواقعة، وقد جرى العمل على تحديدهم في اثني عشر رجلاً.

(٣٠) القرعة: السحابة أو قطعة من الغيم.

(٣١) انظر: الناصري في (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى).

## أيام مخصوصة

- يوم الشك
- ليلة القدر
- الجمعة اليتيمة
- يوم الوقفة





## يوم الشك

هو اليوم الثلاثون من شهر شعبان، ويحدث فيه الشك، فإما قد يكون مكملًا لشهر شعبان (ثلاثون يومًا) وإما أن يكون بداية أيام رمضان. وقد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيامه.

وهذه المسألة فيها ثلاثة أحاديث شريفة:

الأول: عن صِلَةَ بْنِ زُفَرٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَى بِشَاةٍ مَضْلِيَّةٍ فَقَالَ: "كُلُوا"، فَتَنَحَّى بَعْضُ الْقَوْمِ فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ عَمَّارٌ: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ النَّاسُ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكيم، وقال الترمذي: "حَدِيثُ عَمَّارٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَبِهِ يَقُولُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ؛ كَرِهُوا أَنْ يَصُومَ الرَّجُلُ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، وَرَأَى أَكْثَرُهُمْ إِنْ صَامَهُ فَكَانَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَنْ يَقْضِيَ يَوْمًا مَكَانَهُ".

والثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ) رواه الجماعة، قال الترمذي: "حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ كَرِهُوا أَنْ يَتَعَجَّلَ الرَّجُلُ بِصِيَامِ قَبْلَ دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ لِمَعْنَى رَمَضَانَ، وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يَصُومُ صَوْمًا فَوَافِقَ صِيَامَهُ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ بِهِ عِنْدَهُمْ".

والثالث: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا فَإِنَّ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدُرُوا لَهُ) متفق عليه.

وبناء على ذلك فقد اختلف العلماء في تحديد يوم الشك:

ف عند جمهور العلماء من الحنفية والشافعية: يوم الشك هو اليوم الثالثون من شهر شعبان إذا تحدّث الناس بالرؤية ولم تثبت، أو شهد بها من ردت شهادته لفسق ونحوه، فإن لم يتحدّث بالرؤية أحد فليس يوم شك حتى لو كانت السماء مُغيمة؛ وذلك عملاً بظاهر قول عمار بن ياسر رضي الله عنه: "الَّذِي يَشْكُ فِيهِ النَّاسُ" من غير التفات إلى وجود غيم أو انتفائه.

أما المالكية فإنهم يجعلون مناط الشك هو الغيم، فلو كانت السماء مُضحية فليس يوم شك؛ لأنه إن لم يُرَ الهلال كان من شعبان جزءاً، ويجعلون قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فَإِنَّ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدُرُوا لَهُ» تفسيراً ليوم الشك، واعترض ذلك ابن عبد السلام من المالكية بأن قوله عليه الصلاة والسلام: «فَإِنَّ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدُرُوا لَهُ» - أي: أكملوا عدة ما قبله ثلاثين يوماً - يدل على أن صبيحة الغيم من شعبان جزءاً.

ويقابلهم الحنابلة الذين يوافقون الجمهور، لكنهم يرون في ظاهر المذهب عندهم أن وجود الغيم ينفي كونه يوم شك؛ لأنه حيث يشدُّ بعدُ من رمضان، ويجعلون قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَلَالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنَّ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدُرُوا لَهُ» مسوقاً لبيان التفرقة بين حكم الصحو والغيم؛ فإذا كانت رؤية الهلال شرطاً للصوم في الصحو فالمغايرة تقتضي عدم كون الرؤية شرطاً في الغيم، ومعنى «فَأَقْدُرُوا لَهُ» عندهم: أي: فضيّقوا له وقَدِّروه تحت السحاب؛ عملاً بمذهب راوي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذلك.

وتوارد روايات الحديث الصحيحة الصريحة على تفسير «فَأَقْدُرُوا لَهُ» بإكمال عدة شعبان ثلاثين يرجح مذهب الجمهور في ذلك؛ حملاً للمطلق على المقيّد، والسنة هي أولى ما يُبيّن به السنة، ولذلك اختار كثير من محققي الحنابلة والمالكية مذهب الجمهور،

قال الإمام النووي في المجموع: "فالصواب ما قاله الجمهور، وما سواه فاسد مردود بصرائح الأحاديث السابقة".

أما حكم صوم يوم الشك فله حالتان:

الأولى: أن يُصام عن رمضان بنية الاحتياط له، فهذا هو المراد بالنهي عند جمهور العلماء، ثم منهم من جعله حراماً لا يصح صومه كأكثر الشافعية، ومنهم من رآه مكروهاً كالحنفية والمالكية والحنابلة، فإن ظهر أنه من رمضان أجزاءه عند الليث بن سعد والحنفية، ولم يجزئه عند المالكية والشافعية والحنابلة.

وهذا عند الحنابلة في غير يوم الغيم؛ فأما يوم الغيم فإنهم أوجبوا صيامه عن رمضان في ظاهر الرواية عندهم ولم يجعلوه يوم شك؛ عملاً بمذهب راوي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما سبق، وللإمام أحمد رواية أخرى توافق الجمهور أخذ بها كثير من محققهم؛ لتوارد الروايات الصحيحة الصريحة على ذلك، حتى قال الإمام ابن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى - فيما نقله عنه الحافظ ابن عبد الهادي الحنبلي في "تنقيح التحقيق" -: "الذي دلت عليه الأحاديث في هذه المسألة - وهو مقتضى القواعد - أن أي شهر عمّ أكمل ثلاثين؛ سواء في ذلك شهر شعبان أو شهر رمضان أو غيرهما". وقد سبق نقل كلام الإمام النووي في ذلك.

الثانية: أن يُصام عن غير رمضان، فالجمهور أنه يجوز صومه إذا وافق عادة في صوم التطوع كما هو نص حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ويلتحق بذلك عندهم صوم القضاء والنذر، أمّا التطوع المطلق من غير عادة فهو حرام على الصحيح عند الشافعية إلا إن وصله بما قبله من النصف الثاني فيجوز، ولا بأس به عند الحنفية والمالكية.

أما عن الحكمة في النهي عن صومه:

ففيها خلافٌ يذكره الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" بقوله: "والحكمة فيه: التَّقْوَى بِالْفِطْرِ لِرَمَضَانَ لِيَدْخُلَ فِيهِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَوْ تَقَدَّمَ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ جَازٌ... وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِيهِ خَشْيَةُ إِخْتِلَاطِ النَّفْلِ بِالْفَرْضِ، وَفِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ لِمَنْ لَهُ عَادَةٌ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ الْحُكْمَ عُلِقَ بِالرُّؤْيَةِ فَمَنْ تَقَدَّمَ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ فَقَدْ حَاوَلَ الطَّعْنَ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ. وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ".

وهذا الذي اعتمده الخافظ في حكمة النهي يزيد وضوحاً عند معرفة منهج الإسلام في رؤية الهلال؛ فإن الحاكم هو الذي يقضي بصحة بينة الرؤية - عند إمكانها فلكياً -، فإذا حكم بعدم ثبوت الشهر فإن حكمه هذا يرفع النزاع في الأمر الظني ظاهراً وباطناً ويحسم مادة الخلاف فيه، وليس المسلم مكلفاً - تحت أي سقف معرفي يعيش فيه - بالوصول إلى ما في الواقع ونفس الأمر، بل المظنَّة في ذلك تُنزَلُ منزلة المِثَنَّة، والأخذ بغلبة الظن واجب شرعي، وهذا يُعلِّمُ المسلمين القوة والثبات في دينهم، والجِدَّة في أمر عبادتهم، ويحذرهم من أن يكونوا تَهَبًا لخطر الشائعات بين أهل البلد الواحد عن طريق تَحَدُّثِ بعض الناس بينهم بالرؤية وإحداثهم للبلبلَّة والفوضى في ذلك مع عدم الحكم بثبوتها، وإذا كان هذا عصيَانًا للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في حق من دعا إلى رؤية لم تثبتها البيئَة الصحيحة وترك الأخذ بالظن الغالب إذا قضى به الحاكم، فما بالتأب من مخالفة الجماعة ويشق عصا الطاعة ويزرع بذور الفرقة والاختلاف بالتشبيث والدعوة إلى رؤية قطع الحساب الفلكي القطعي ببطلانها ولم يعتمدها أهل بلده، كما يفعله كثير من المتعالمين في هذا الزمان؛ في زيغ عن الحق من غير حجة ولا برهان من عقل أو نقل، واقعين بذلك في محظورين: تفريق الجماعة، والأخذ برؤية موهومة عُلِمَ بطلانها بالضرورة. وناهيك بذلك خروجاً عن الجادة وعصيَانًا لسيدنا النبي المصطفى أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم. والله - سبحانه وتعالى - أعلم<sup>(١)</sup>.

## ليلة القدر

هي ليلة عظيمة الشأن، نزلت بشأنها سورة كاملة من سور القرآن الكريم هي سورة القدر. بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) (سورة القدر، الآيات ١ : ٤).

وهي ليلة يستجاب فيها الدعاء، فهي الليلة التي نزل فيها القرآن على الرسول ﷺ، ولم يحدد القرآن موعدها بالتحديد، ولكن الرسول حث على تحريمها في العشر الأواخر من شهر رمضان، وأخبرنا أن من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، وقد ورد في فضلها العديد من الأحاديث النبوية.

قال الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله: سميت ليلة القدر إما بمعنى ليلة التقدير، لأن الله ابتداءً فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه، أو بمعنى العظمة والشرف من قولهم فلان له قدر أي له شرف وعظمة، لأن الله قد أعلى فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة.. ثم قال إنها خير من ألف شهر؛ لأنه قد مضى على الأمم آلاف من الشهور وهم يختبطون في ظلمات الضلال، فليلة يسطع فيها نور الهدى خير من ألف شهر من شهورهم الأولى..<sup>(١)</sup>

وضمن مشاهداته في مصر قال عنها الرحالة والمستشرق الإنجليزي "إدوار لين": إن المسلمين يحتفلون بليلة القدر ويعتقدون أن الملائكة تنزل في بدء تلك الليلة إلى الفجر لتحمل النعم إلى المؤمنين وأن الدعاء يجاب بلا ريب، إذ إن أبواب السماء تفتح حينئذ.

ويقال إن الماء المالح ينقلب فجأة إلى ماء حلو سائغ شرابه في هذه الليلة المباركة، إذ يجلس الأتقياء في هذه الليلة بخشوع كبير، وأمامهم إناء فيه ماء مالح، وبين حين وآخر يتذوقون طعمه ليروا إن أصبح حلو المذاق فيتأكدون إن هذه الليلة هي: ليلة القدر<sup>(٣)</sup>.

ولذلك يراعي الأتقياء الليالي العشر الأخيرة من رمضان بخشوع عظيم لعدم تحققهم من موعدها لأن المتواتر أنها ليلة ٢١ أو ٢٣ أو ٢٥ أو ٢٧ أو ٢٩ .

ويعبر البعض عن استجابة الله لدعائه في هذه الليلة بأن (طاقة القدر انفتحت له)، والمقصود بها هو ذلك النور الباهر الذي تنشق عنه السماء فجأة، من دون شعاع، وذلك عند أول إشراق لصباح بعض ليالي الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان، إذ يعتبرون هذا إشارة من المولي عز وجل باستجابة الدعاء، وأن الليلة السابقة كانت هي ليلة القدر فعلا، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها).

وفي هذا الصدد يحكي شيخ الصحافيين "حافظ محمود" أن العجائز كن يقلن له وهو طفل صغير "إن الموعود بليلة القدر يستيقظ من نومه في هذه الليلة وهو ناس أنها ليلة القدر، ثم يقرأ أكبر قسط من القرآن دون أن ينوي شيئا، ثم ينظر إلى السماء بلا إرادة فإذا به يري في كبد السماء قرصا كبيرا من النور ينشق إلى نصفين ثم يلتئم ثم يغيب في لمح البصر. وأية أمنية تخطر ببال (الموعود) في هذه اللحظة لا بد أن تتحقق"<sup>(٤)</sup>.

وفي بعض المجتمعات الشعبية - مثل واحة أم الصغير - يبدأ الاحتفال بليلة القدر مبكرا؛ بأن يتجمع كل رجال الواحة في المضيئة لتناول إفطار جماعي. وبعد صلاة العشاء ثم التراويح الجماعيتين يقام حضرة للذكر والدعاء حتى موعد السحور.

وفي مجتمعات أخرى - مثل رشيد - كانت النساء تتجمع على أسطح المنازل، يقضين الوقت حتى الفجر بين الحديث الديني وترديد الأدعية وتقليب وجوههن في السماء، آملات أن تنفخ لهن «طاقة القدر» ويستجاب لهن الدعاء<sup>(٥)</sup>.

وفي واحة باريس بالوادي الجديد؛ يقيم بعض الأفراد كل بمفرده احتفالا بهذه المناسبة فيذبح كل منهم على حسب مقدرته بداية بذوات الأربع وانتهاء بذوات الأجنحة ويدعو الأهل والجيران للإفطار سويا في تلك الليلة وبعد الإفطار يصلون العشاء والتراويح في الجامع<sup>(٦)</sup>.

## الجمعة اليتيمة

هي آخر جمعة في شهر رمضان المبارك. ويرجع الأستاذ «مصطفى عبد الرحمن» في كتابه "رمضانيات" سبب وصفها باليتيمة لتفردا بالحسن، فالدر اليتيم هو المتفرد بالحسن والبهاء. ورغم وجاهة التفسير إلا أنه لا توجد مصادر دينية تميز هذه الجمعة عن غيرها من الجمع الثلاث الأولى من شهر رمضان، غير أنه من المرجح وبسبب كونها الجمعة الأخيرة من الشهر الكريم ولن تلحق بها جمع أخرى فقد أطلقت عليها الجماعة الشعبية هذا الوصف.

وكان الخليفة الفاطمي يحرص على أداء صلاة أيام الجمعة الثلاثة الأخيرة في الجوامع الآتية: الجمعة الثانية في جامع الحاكم والثالثة في الجامع الأزهر، أما الرابعة التي تعرف بالجمعة اليتيمة فكان يؤديها في جامع عمرو وبعثاره أقدم جوامع مصر، وكان يصرف من خزانة التوابل ماء السورد والعود برسم بخور الموكب والمسجد، وكانت الناس تستعد بالزينات قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام ويقوم والي مصر بمتابعتهم، وكان الخليفة يعطي دينار الكل واحد من أرباب المساجد التي يمر عليها" ٧. وعقب صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان يذاع بلاغ رسمي عرف بسجل البشارة، وفي آخر ليلة من الشهر الكريم كان القراء والمنشدون يجيئونها بالقصر الشرقي الكبير والخليفة يستمع من خلف ستار، وفي نهاية السهرة كان الخليفة ينثر على الحاضرين دنائير الذهب.

وكانت الجمعة اليتيمة تحظى باهتمام الملك فؤاد ومن بعده ابنه فاروق، وكان الشعب يخرج للفرجة على الموكب الملكي في احتفال صلاة الجمعة اليتيمة في رمضان في جامع عمرو بن العاص.

وقد قدمت مجلة «المصور» في عددها الصادر في الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٤١ متابعة مصورة للشعائر الدينية الرمضانية التي شارك فيها الملك فاروق في يوم الجمعة الأخيرة من رمضان، وهي الاحتفالية التي شاركت فيها طوائف من الشعب، ورجال القصر وأفراد العائلة المالكية، رجالا ونساء، وجاءت التغطية تحت عنوان «المليك وشعبه في صلاة الجمعة اليتيمة» وكان الملك فاروق قد أدى صلاة الجمعة في مسجد السيدة زينب وخرج أهل الحي لتحية الملك على جانبي الطريق وقد وصفتهم المجلة تحت عنوان «الوجوه المستبشرة» بقولها «خف أهل الحي الزينبي لاستقبال المليك والتمتع برؤية موكبه في ذهابه وإيابه إلى المسجد وها هي طائفة من سكان الحي، اصطفت على الرصيف تتطلع للموكب الملكي، وقد استبشرت الوجوه برؤية مليكها المحبوب فانفرجت الأسارير وابتسمت الشفاة»<sup>(٨)</sup>.

ويعتقد العامة أن وقت صلاة الجمعة الأخيرة من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، كما يقوم البعض بكتابة التعاويذ والأحجبة في نفس الوقت الذي تؤدي فيه الصلاة، معتقدين إنها تمنع وسوسة الشيطان أو مس الجن<sup>(٩)</sup>.



## يوم الوقفة

هو آخر أيام شهر رمضان، الذي يسبق العيد مباشرة، ويشهد استعدادًا كبيرًا لاستقبال العيد، بتطهير البيوت وفرشها بالفرش والبسط الجديدة، وإعداد ملابس العيد، والتجهيز لزيارة المقابر بعد صلاة العيد.

## الهوامش

- (١) دار الإفتاء المصرية، فتوى صيام يوم الشك، الرقم المسلسل: ١١٠١، تاريخ الإجابة: ٢٠٠٧/٠٩/٠٥.
- (٢) عباس محمود العقاد: رمضان .. وليلة القدر، مجلة الهلال، رمضان ١٩٦٠.
- (٣) رمضان... في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن- الكويت، ملف الأسبوع ١٧-٧-٢٠١٢، و: عرفه عبده علي: رمضان في دفتر الذكريات الأوروبية.. صور ومعانٍ باهرة ومؤثرة، مجلة الرافد.
- (٤) راجع: حافظ محمود، المعارك في الصحافة والسياسة والفكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة ذاكرة الكتابة، ع ٦٦، ٢٠٠٥م، ص ١٤٠.
- (٥) عبد الحميد حواس: وداعاً رمضان.. أهلاً بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤.
- (٦) شوقي عبد القوي حبيب: الاحتفالات الدينية في الواحات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠٠، ص ٨٢.
- (٧) شوقي عبد القوي حبيب، مرجع سابق.
- (٨) المصري اليوم، الجمعة ٥ أكتوبر ٢٠٠٧ عدد ١٢٠٩.
- (٩) د. فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية من خلال دراسة الفولكلور المصري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ١١٦-١١٧. و: محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفولكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢، ص ٩٦-٩٧.

## استقبال شهر رمضان

- استطلاع هلال شهر رمضان
- استقبال شهر رمضان
- الاحتفال برؤية الهلال «موكب الرؤية»



## استطلاع هلال شهر رمضان

تعتبر الرؤية شرطاً من الشروط التي يجب أن تتوافر لحدوث شهر الصيام، ولا يحل إلا بها لقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٨٥). ذلك أن الشهور القمرية تتم دورتها أحياناً في تسعة وعشرين يوماً وأحياناً في ثلاثين يوماً. والذي يحدد مبدأ الشهر ونهايته هو ظهور الهلال. لذلك استوجب صوم شهر رمضان، المعرفة الدقيقة بالأهلة، والعناية خصوصاً بأربعة من الأهلة وهي هلال شعبان لارتباطه بأول رمضان، وهلال الشك، وهلال رمضان، وهلال شوال.

ويثبت شهر رمضان برؤية الهلال، ولو من واحد عدل أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني رأيت، فصام، وأمر الناس بصيامه. رواه أبو داود، والحاكم، وابن حبان، وصحاحه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صوموا الرؤية»<sup>(١)</sup> وأفطروا الرؤية، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً. «رواه البخاري ومسلم.. قال الترمذي: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، قالوا: تقبل شهادة رجل واحد، في الصيام، وبه يقول ابن المبارك والشافعي، وأحمد. وقال النووي: وهو الأصح. وأما هلال شوال، فيثبت بإكمال عدة رمضان ثلاثين يوماً ولا تقبل فيه شهادة العدل الواحد، عند عامة الفقهاء. واشتروا أن يشهد على رؤيته، اثنان ذوا عدل، إلا أبا ثور فإنه لم يفرق في ذلك بين هلال شوال، وهلال رمضان، وقال: يقبل فيها شهادة الواحد العدل. قال ابن رشد: «ومذهب أبي بكر بن المنذر، هو مذهب أبي ثور، وأحسبه مذهب أهل الظاهر». وقد احتج أبو بكر بن المنذر، بانعقاد الإجماع على وجوب الفطر، والإمساك عن الأكل، بقول واحد، فوجب أن يكون الأمر كذلك، في دخول الشهر وخروجه، إذ كلاهما علامة، تفصل زمان الفطر من زمان الصوم». وقال الشوكاني:

وإذا لم يرد ما يدل على اعتبار الاثنين في شهادة الإفطار من الأدلة الصحيحة، فالظاهر أنه يكفي فيه قياساً على الاكتفاء به في الصوم. وأيضاً، التعبد بقبول خبر الواحد، يدل على قبوله في كل موضع، إلا ما ورد الدليل بتخصيصه، بعدم التعبد فيه بخبر الواحد، كالشهادة على الأموال ونحوها، فالظاهر ما ذهب إليه أبو ثور. اختلاف المطالع: ذهب الجمهور: إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع. فمتى رأى الهلال أهل بلد، وجب الصوم على جميع البلاد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته». وهو خطاب عام لجميع الأمة فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعاً. وذهب عكرمة، والقاسم بن محمد، وسالم، وإسحاق، والصحيح عند الأحناف، والمختار عند الشافعية: أنه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم، ولا يلزمهم رؤية غيرهم. لما رواه كريب قال: قدمت الشام، واستهل على هلال رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة. ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني ابن عباس - ثم ذكر الهلال - فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس، وصاموا، وصام معاوية، فقال: لكننا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين، أو نراه، فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا... هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أحمد، ومسلم، والترمذي. وقال الترمذي: حسن، صحيح، غريب، والعمل على هذا الحديث، عند أهل العلم، أن لكل بلد رؤيتهم. وفي «فتح العلام في شرح بلوغ المرام»: الأقرب لزوم أهل بلد الرؤية، وما يتصل بها من الجهات التي على سمتها.

من رأى الهلال وحده: اتفقت أئمة الفقه على أن من أبصر هلال الصوم وحده أن يصوم. وخالف عطاء فقال: لا يصوم إلا برؤية غيره معه. واختلفوا في رؤيته هلال شوال، والحق أنه يفطر كما قال الشافعي، وأبو ثور. فإن النبي ﷺ قد أوجب الصوم والفطر للرؤية، والرؤية حاصلة له يقيناً، وهذا أمر مداره الحس، فلا يحتاج إلى مشاركة. (السيد سابق، فقه السنة).

ومنذ دخول الإسلام إلى مصر وولاتها وقضاتها يجرصون على استطلاع هلال شهر رمضان، وعلى مدار العصور تم الاحتفاء بهذا الحدث على نحو خاص، لما يمثله

من إعلان حلول الشهر المبارك وبدء الصيام. ولم يكن الخلفاء والأمراء يتكبرون على الصعود مع القضاة والشهود إلى الأماكن العالية لرؤية هلال رمضان<sup>(٣)</sup>.

ذكر جلال الدين السيوطي في «حسن المحاضرة» أن أول من خرج لرؤية الهلال في مصر القاضي غوث بن سليمان الذي توفي عام ١٦٨ هـ<sup>(٤)</sup>. ويذكر الكندي أن القاضي «عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة»، الذي ولي القضاء سنة (١٥٥ هـ / ٧٧١م)، كان أول قاض حضر لنظر الهلال في شهر رمضان، وكان القضاء بعده يخرجون مع الناس إلى جامع بسفح المقطم لرؤية الهلال في شهر رجب وشعبان احتياطاً لشهر رمضان، وكانت توجد هناك دكة معدة على مكان مرتفع عرفت بدكة القضاة وقد أعدت لكي ينظروا الهلال عندها، واستمرت تستعمل إلى أن بنى مكانها القائد الفاطمي بدر الجمالي مسجداً، اتخذت مثذنته مرصداً لرؤية الهلال.

وفيما «عمد الطولونيون والإخشيديون والماليك إلى استطلاع الهلال، حسياً ذهب إليه أهل السنة، نجد أن الفاطميين لم يلجأوا إلى ذلك حسب مذهبهم الديني. فمن المعروف عن الفاطميين أنهم لم يعملوا باستطلاع أهلة الشهور إنما كانوا يقومون بحسابها فلكياً، فكانت الشهور عندهم، شهر تسعة وعشرون يوماً وشهر ثلاثون يوماً<sup>(٥)</sup>».

وقد ظلت مصر تستطلع هلال شهر رمضان حتى بدأ العمل بالحساب الفلكي لأول مرة عام (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦م)، وذلك بعد أن تعذرت رؤية هلال رمضان بالعين المجردة، بسبب كثافة السحاب، بينما سجل مرصد حلوان ميلاد الهلال في نفس اليوم، فأعلنت الرؤية وفقاً للحسابات الفلكية. وجدير بالذكر أن أول مرصد أنشئ بمصر كان عام ١٨٣٨م، وكان يوجد بالقلعة، ثم نقل إلى العباسية فيما كان يعرف حتى الخمسينيات باسم الرصدخانه، وفي سنة ١٩٠٣، انتقل إلى حلوان بعدما رؤي أن مكانه بالعباسية لم يعد يتناسب والأجهزة الدقيقة.

ومنذ ذلك التاريخ انتظم العمل بالحسابات الفلكية في مصر جنباً إلى جانب الاستطلاع بالعين المجردة والمناظير المكبرة، وإن كان هناك العديد من العلماء قاموا بتبيان نواحي الضعف في عملية اعتماد الحساب بدلاً من الرؤية من الناحية العلمية البحتة، وكذلك عدم جواز الاكتفاء بالحساب من وجهة النظر الشرعية البحتة، على النحو الذي وضعه «فؤاد سعيد وهبة» في دراسة له، قال فيها: إن الشرع عندما ألزم

بضرورة الرؤية لتحديد بداية ونهاية شهر الصيام، فإنه استلزم تحقق شرطين معاً: الأول هو حصول ابتداء الشهر فلكياً أي خروج القمر من المحاق، والثاني أن يكون القمر قد أصبح قابلاً للرؤية بعد غروب الشمس، وليس فقط تحقق الشرط الأول، وهذه نقطة مهمة ربما خفيت على الكثير من الفقهاء المعاصرين فنأدى بعضهم باعتماد الحساب الفلكي وحده في تحديد بداية ونهاية شهر الصوم. فـ شهر الصوم هو غير الشهر القمري الفلكي، ويختلف عنه قليلاً كما عرّفنا في البداية، فالأول يتدئ برؤية هلال رمضان وينتهي برؤية هلال شوال ويساوي عدداً صحيحاً من الأيام، إما ٢٩ أو ٣٠ يوماً، أما الثاني فهو من ميلاد القمر في نهاية شهر شعبان إلى ميلاد القمر في بداية شهر شوال ويساوي وسطياً قرابة ٢٩ يوماً ونصف اليوم (تزيد أو تنقص بضع ساعات تختلف من شهر قمري إلى آخر بسبب الحركة المعقدة وغير المنتظمة للقمر) أي يساوي عدداً غير صحيح من الأيام، فهذه ميزة أخرى في اعتماد الرؤية بدلا من اعتماد الحساب، وهي جعل طول شهر الصوم عدداً صحيحاً من الأيام.

نعم يمكن، بل ويجب الاستفادة من الحسابات الفلكية عند الاستهلال، فإذا دل الحساب مثلاً على أن القمر لم يولد أصلاً قبل غروب الشمس فيتوفر عناء الاستهلال، كما أن الحساب يمكن من تحديد موقع القمر في السماء بالنسبة للشمس وقت غروبها مما يسهل رؤيته.

وثمة حكمة عظيمة في ربط تحديد بداية شهر الصوم ونهايته بالمشاهدة، إذ إن ذلك يجعل كل فرد مسلم أيّاً كانت درجة ثقافته يشعر بأنه يستطيع أن يقدم شيئاً لمجتمعه أو أن يكون له دور وذلك بالمشاركة في عملية الاستهلال، فيزداد تفاعل عامة الناس مع شهر الصيام أكثر، ويصبح لشهر الصيام صفة جماعية أكثر، بينما لو اعتمد على الحساب فقط ويفرض إمكان ذلك لاقتصر إمكان المساهمة في تحديد البداية والنهاية على فئة قليلة جداً فقط من الناس هم المختصون بالحسابات الفلكية، ولانعدام الإحساس بالجماعية، بل وحتى القائمون بالحساب يتجمد دورهم بعد وضع جداول موالييد القمر لبضع عشرات من السنين، كما تتحول العبادة الروحانية في أول ونهاية الصيام إلى مجرد عملية إجراء حسابات نظرية وقياسات عملية أي كأنها هي عملية تجارب فيزيائية أو فلكية خاصة بفئة محدودة<sup>(٥)</sup>. (انظر: يوم الشك).





وكان استطلاع هلال شهر رمضان يأخذ طابعًا خاصًا لدى العديد من المجتمعات المصرية، فقد كان أهالي سيناء، يحرصون على استطلاعهم من أعلى القمم الجبلية والمناطق الخلوية المرتفعة، ومع ذلك يلتزمون بالرؤية الشرعية التي تقوم بها الأجهزة الرسمية بمصر وعند ثبوت الرؤية ترفع الأعلام البيضاء للتعبير عن الفرحه باستقبال شهر رمضان.

وكانوا يستدلون على مواعيد الإفطار والسحور بحركتي الشمس والنجوم، حيث لم يكن موجودًا لديهم مذياع أو تلفزيون أو كهرباء فكانوا يستدلون على موعد أذان المغرب بمراقبة الشمس بالعين المجردة والاستدلال على وقت الغروب فيفطرون، كما كانوا يستدلون على مواعيد السحور والإمساك بمراقبة حركة النجوم وتحديد موعد أذان الفجر<sup>(٦)</sup>. إضافة إلى خبرتهم في معرفة هلال رمضان، إذ يقولون إن خامس الصوم صوم، بمعنى إذا صامت الأمة في العام السابق يوم السبت يكون الصيام في العام الحالي على سبيل المثال يوم الخميس<sup>(٧)</sup>.

وفي مطروح تتميز قبائل «أولاد على» بعبادات مختلفة وطقوس خاصة في استطلاع هلال شهر رمضان، حيث يقوم البدو باختيار شيخ يحظى بثقة بين أهل النجع، ومعه شاب موفور الصحة، وقوي البصر لاستطلاع الهلال بعد صلاة المغرب، وعند صلاة الفجر في آخر أيام شعبان، وحال التأكد من رؤيته يتم سؤال الشاهد الذي يحضر عملية الاستطلاع، والشاب الذي يرى الهلال، وبعدها يمر الشيخ على أهالي النجع فوق ظهر حصان ويقول لهم: «اليوم تصوموا الشهر الكريم»<sup>(٨)</sup>.

وفي واحة القصر بالوادي الجديد؛ يخرج أصحاب النظر الحاد إلى الجبل ليراقبوا الهلال - مثلما يحدث في واحة باريس - وإذا ثبتت رؤية الهلال يحضر أهل القصر طلبة كبيرة وتلف الطلبة البلد، ويكون هذا إعلانًا بأن غدًا رمضان، ولم يكن هناك غناء يصاحب الطلبة، ولكن كان يصاحبها مجموعات كثيرة من الرجال والأطفال<sup>(٩)</sup>.



## استقبال شهر رمضان

علي مدار العصور تنوعت أشكال ومظاهر استقبال شهر رمضان الكريم والاحتفال بنهاراته ولياليه، وتركت كل فترة تاريخية بصمتها الخاصة المميزة على هذه الاحتفالات، لتضاف إلى جماع المظاهر الرمضانية التي شغلت أرباباً عديدة في التاريخ الاجتماعي المصري، وأسهمت في رسم صورة مصر والمصريين خلال هذا الشهر الخاص.

في القرن الثالث الهجري اهتم «أحمد بن طولون» بأمر العمال خاصة في شهر رمضان.. فقد خرج مرة لزيارة مسجده وقت بنائه، فرأى الصناع يشتغلون إلى وقت الغروب، فقال: متى يشتري هؤلاء الضعفاء إقطاعاً لعيالهم، اصرفوهم العصر فأصبحت سنة من ذلك الوقت، فلما فرغ رمضان قيل له: لقد انقضى رمضان فيعودون إلى عاداتهم فقال: «قد بلغني دعاؤهم وقد بركت به وليس هذا مما يوفر العمل»، ومنذ ذلك التاريخ دأبت الحكومات المصرية على ترتيب أوقات العمل بما يتناسب مع خصوصية هذا الشهر ويسهل على الصائمين أمورهم.

ويذكر «ابن زولاق» أن «محمد بن طغج الإخشيدي» كان يرسل النفقات في أول رمضان لعمارة المساجد وتزيينها مثل ما كان يفعله أحمد بن طولون من قبل.

ويشير المؤرخ «ابن المأمون» إلى أن العادة قد جرت في الأيام الأفضلية بإغلاق جميع قاعات الختارين بالقاهرة، في آخر جمادى الآخرة من كل سنة وأن يحظر بيع الخمر، ثم رأي الوزير المأمون لما ولي الوزارة بعد الأفضل بن الوزير بدر الجمالي.. أمير الجيوش (٤٥٨-٥١٥هـ / ١٠١٦-١١٢١م) - رأى أن يكون ذلك في سائر الدولة؛ فكتب به أمراً إلى جميع ولاة الأعمال بأن ينادي على الناس «أن من تعرض لبيع شيء من المسكرات أو شرائها سرّاً أو جهراً فقد عرض نفسه لتلفها وبرئت الذمة من هلاكها».

وقد اهتمت الدولة الفاطمية بهذا الشهر بشكل خاص، فقد كان مناسبة لإظهار إغداق الفاطميين على المصريين بغية ترغيبهم في مذهبهم، فجاءت احتفالاتها به غير مسبوقة وعلى غير مثال من الدول السابقة عليها. بداية كانت تحذر بيع المكسرات ابتداء من شهر رجب وتعاقب من يبيعها أو يشتريها سرًا أو جهراً وخصته بحفلات يعد بعضها تمهيداً لحلوله والبعض لإعلان رؤية هلاله، وهى حفلات غنية بمظاهر العظمة شاملة لأنواع البر والصدقات مما يرفه عن الفقير ويدخل السرور عليه. فإذا أقبل شهر رمضان عهد إلى قضاة مصر بالطواف قبل حلوله بثلاثة أيام بالمساجد والمشاهد في القاهرة ومصر وذلك لتفقد ما تم إجراؤه فيها من إصلاح وفرش وتعليق المسارج والقناديل، حتى أن الرحالة «ناصر خسرو» الذي زار مصر في القرن الخامس الهجري وصف التنور «الثريا» الذي أهده الخليفة الحاكم بأمر الله إلى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بأنها كانت تزن سبعة قناطير من الفضة الخالصة، وكان يوقد به في ليالي المواسم والأعياد أكثر من ٧٠٠ قنديل، وكان المسجد يفرش بعشر طبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض، وما إن ينتهي شهر رمضان حتى تُعاد تلك الثريا والقناديل والمشكاوات إلى مكان أعد لحفظها فيه داخل المسجد، كما أن الدولة في ذلك الوقت كانت تخصص مبلغاً من المال لشراء البخور الهندي والكافور والمسك، الذي يصرف لتلك المساجد في شهر الصوم. وكذلك أعد الحاكم بأمر الله للجامع الأزهر تنوراً (ثريا) من الفضة و٢٧ قنديلا وجامع راشدة تنوراً و١٢ قنديلا، واشترط إضاءتها في شهر رمضان وبعدها تعاد إلى مكان أعد لحفظها فيه، هذا عدا ثمن العود الهندي للبخور والكافور والمسك، الذي يصرف لتلك المساجد في شهر رمضان<sup>(١)</sup>.

وتشير العديد من المراجع إلى أنه في غرة رمضان كان الخليفة الفاطمي يهدي إلى جميع الأمراء وغيرهم من المواطنين وأولادهم ونسائهم أطباقاً مملوءة بالحلوى. وفي وسط كل طبق صرة بها نقود ذهبية، فيعم هذا الإنعام سائر كبار الدولة. «وكانت دار الفطرة تشهد نشاطاً وعملاً دائماً في صناعة الحلوى الرضائية، والأصناف المستعملة في تلك الدار هى السكر والعسل والزعفران والطيب والدقيق وذلك لصناعة الخشكناج والبستندود والفانيد الذي يقال له كعب الغزال وغيرها، وكانت تصنع من هذه الأصناف كميات هائلة كالجبال. وكان لكل صنف منها صناعه المتخصصون فيه، وله

مقدم (رئيس) ويبلغ عدد الصناعات بهذه الدار المئات. وفي منتصف شهر رمضان يحضر الخليفة وبصحبه الوزير إلى دار الفطرة، ويشاهد ما تم صنعه ويأمر بتفريغه، وتتراوح الكمية المعطاة للفرد بين ربع قنطار وعشرة أرطال ورطل واحد وذلك حسب مكانته، وعلي حد قول المقريري: «لا يزالون يوزعون هذا إلى أن يتقضي شهر رمضان ولا يفوت أحدًا شيء من ذلك، ويتهاداه الناس في جميع الأقاليم».

ولم تمدنا المصادر التاريخية بأخبار وفيرة عن احتفالات شهر رمضان في العصر الأيوبي، ويبدو أن الاحتفال به وبغيره من المناسبات اضمحلت أو اختفت وذلك بين أصحاب السلطان، محور الكتابة في ذلك العصر وغيره، وربما كان ذلك راجعاً إلى أن الأيوبيين كانوا في حروب مستمرة مع الصليبيين مما أدى إلى عدم تفرغ السلاطين لإحياء ليالي شهر رمضان فضلاً عن تأثر اقتصاديات مصر بتلك الحروب»<sup>(١١)</sup>.

أما في العصر المملوكي، فقد كان السلطان يستهل الشهر بالجلوس في الميدان تحت القلعة ويتقدم إليه الخليفة والقضاة الأربعة بالتهنئة، ثم يستعرض أحمال الدقيق والخبز والسكر، والغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان يعرضها عليه المحتسب بعد أن يكون استعرضها في أنحاء القاهرة تتقدمها الموسيقى فينعم على المحتسب وعلى كبار الموظفين.

وكان المحتسب يحاسب المفطر بعد أن يسأله عن سبب إفطاره لاحتمال أن يكون مريضاً أو مسافراً فإن أثبت شيئاً مما يبيح له الإفطار عذره للجهر به وإن كان مفطراً لغير سبب، أدبه، هذا عدا ما يلاقيه من استهزاء الأطفال والمناداة عليه «يا فاطر يا خاسر دينك»، كما كانت الحكومة تعاقب المفطرين من موظفيها بغير عذر شرعي.

وقد جرت عادة سلاطين المماليك على استدعاء القضاة والفقهاء والعلماء إلى قلعة الجبل (مقر الحكم في مصر منذ عهد السلطان الكامل الأيوبي) لقراءة صحيح البخاري طوال شهر رمضان من كل عام. وفي فترة لاحقة انضم إليهم عدد آخر من الطلاب والموظفين. وفي هذا الحشد كانت تجرى مناقشة المسائل الفقهية. وكان النقاش يحدث أحياناً في حضور السلطان بحيث يتجاوز بعض الفقهاء حدود أدب النقاش كما حدث

سنة ٨٣٨ هجرية / ١٤٣٤ م في حضور السلطان الأشرف برسباي الذي أمر بإحضار «الفلقة والعصا» في المجلس لتأديب المتجاوزين. وبعدها بسنوات قليلة منع السلطان جقمق الحاضرين في مجلس قراءة صحيح البخاري من المناقشة<sup>(١١)</sup>.

وفي دولة المماليك البحرية كان يقرأ البخاري طول الشهر في الجامع الأزهر ويختتم في ليلة القدر في حفل كبير يدعون فيه لأولي الأمر بالتوفيق والسداد، ويحضره القضاة الأربعة، ثم توزع الخلع والهبات على العلماء والفقهاء، وفي نهاية دولة المماليك الجراكسة كانت تقام حفلة ختام قراءة البخاري في خيمة كبيرة في الحوش السلطاني بالقلعة رسميًا في مصر والإسكندرية<sup>(١٢)</sup>.

وعن أيام الحملة الفرنسية على مصر، يقول الجبرتي: إن ساري عسكر الفرنسيين أمر بالمنادة في أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عاداتهم مع المسلمين ولا يتجاهرون بالأكل والشرب في الأسواق، ولا يشربون الدخان ولا شيئًا من ذلك بمرأى منهم، كل ذلك لاستجلاب خواطر الرعية.

أما عن مظاهر التعامل الاجتماعي مع أيام وليالي شهر رمضان في الدولة العثمانية، فيصفها لنا الرحالة الإنجليزي «إدوار لين»، فيقول:

«لم يعد المرء يشاهد في رمضان المارة يمسكون بشبكه في الشوارع كما كان يشاهد في أوقات أخرى فيراهم بدلًا من ذلك إلى ما قبل الغروب، يحملون عصا أو مسبحة ويحاملهم المسيحيون في عدم التدخين علانية، وتبدو الشوارع كثيفة في الصباح، إذ إن كثيرًا من الحوانيت يغلق، غير أنها تفتح جميعًا في العصر وتزدحم كالمعتاد، وبعض الصائمين ينحرف مزاجه قليلًا في النهار وفي الليل بعد الإفطار يبشون ويمرحون وعادة كبار الأتراك بالقاهرة وكثيرين غيرهم أن يقصدوا مسجد الإمام الحسين عصر كل يوم من رمضان للصلاة، وفي هذه الوقت يعرض بعض التجار الأتراك الذين يسمون تحفجية على الناس في ساحة الميضاة مجموعة من البضائع ذات ذوق وترف يلائمان رغبات مواطنيهم وغيرهم».

ومن الشائع في هذا الشهر أن تشاهد تجارًا في حوانيتهم يتلون القرآن أو الأدعية أو يوزعون الخبز على الفقراء. وفي الليل تزدحم المقاهي بأحلاط الناس لتناول القهوة والتدخين في الشبك.

ويشير «لين» إلى صمت الشوارع وتراخي حركة الحياة نهاراً، التي تستأنف قبيل المغرب بوضع مائدة الإفطار في غرفة الاستقبال، حيث يستقبل رب الدار ضيوفه، وتعد صينية فضية كبيرة تزدان بأطباق المكسرات والزبيب والحلوى وأواني الشربات والماء، وفي الحسبان دائماً الضيوف الذين قد يهبطون بغتة، وتجهز أدوات (الشوبك) للتدخين.. وبعد أذان المغرب، يتناول رب الدار مع أسرته وضيوفه أكوأباً من شراب الورد أو البرتقال، ثم يؤدون صلاة المغرب وبعدها يتناولون شيئاً من المكسرات ويدخنون.. وبعد تناول شراب منعش يجلسون لتناول إفطارهم، غالباً من اللحوم وأطيب الطعام، ثم يؤدون صلاة العشاء ويعقبها صلاة التراويح، التي تؤدي جماعة في المسجد، ثم يتدفق الناس إلى الشوارع، ويتحول الليل إلى نهار، ويرتاد العامة المقاهي ليستمعوا إلى المنشدين ورواة السير الشعبية، ويعقد دراويش الصوفية حلقات الذكر وختمة القرآن في منازل شيوخهم كل ليلة.

وفيما تقفل المساجد الصغيرة في رمضان بعد صلاة التراويح فإن الجوامع الكبيرة تظل مفتوحة إلى السحور أو إلى الإمساك ويضاء داخلها ومداخلها مادامت مفتوحة وتضاء المآذن طول الليل، ويختلف مدى الوقت الذي يصومون فيه ما بين ١٢ ساعة إلى ١٤ ساعة تبعاً لطول الليل أو قصره.

وكان المصريون يتناولون فطورهم بالمنزل في شهر رمضان وبعد ذلك يمضون أحياناً ساعة أو ساعتين في منزل أحد الأصدقاء، ويقصد الكثير منهم وخاصة متوسطي الحال إلى المقاهي مساء للاستماع إلى أحد القاصين الذين يسلمون القوم في عدة مقاه كل ليلة من هذا الشهر، ويشاهد في الشطر الأكبر من الليل كثيراً من المارة في الشوارع وتظل دكاكين المشروبات والمأكولات مفتوحة وهكذا ينقلب الليل نهاراً وبخاصة عند الأغنياء الذين ينام أكثرهم معظم النهار.

أما إذا بلغنا العصر الحديث، ففي القرن التاسع عشر الميلادي كانت دوائر الحكومة تستنجز الأعمال الجاري تشغيلها لصرف قيمتها قبل حلول شهر رمضان وكانت دواوين الحكومة تعطل فيه عدا ديواني الخارجية والضبطية والجمرك، ليتفرغ المستخدمون فيه للعبادة بشرط إنجاز جميع ما لديهم من مواد متأخرة، وتصدر الأوامر بذلك منذ منتصف شهر شعبان، وعلى أن لا يعطل من الدواوين إلا من أنجز جميع

أعماله. وقد أصدر محافظ القاهرة أمرًا في منتصف شعبان سنة ١٢٧٣هـ ١٨٥٦م بإقامة زينة ومهرجان مرتين في شهر رمضان، واتخاذ اللازم لإحضار لوازم الزينة والألعاب النارية التي يلزم استعمالها لذلك.

وكانت المطاعم تغلق أبوابها نهارًا ومنها ما يغلق طول الشهر، وفيه تستعيد تجديد نظافتها ومن القهاوي ما يغلق نهارًا استعدادًا لسهر الليل حتى الفجر<sup>(١٤)</sup>.

ومما يؤثر عن السلطنة «ملك» أرملة السلطان حسين كامل، أنها كانت تخرج في موكب لتوزيع نقود ذهبية على الأطفال، وكانت ترتدي فستانًا طويلًا، وعلى الطفل أن يقبل ذيل فستانها، وهنا تقوم السلطنة بإهداء كل طفل كيسًا صغيرًا من الحرير يحمل عشرة ريالات ذهبية.

وفي عهده كان الملك فاروق يطلب من الحكومة كل عام أن يكون الاحتفال بـرمضان بالغًا أقصى حدوده، ويصدر تعليمات محددة بمنع بيع المنكرات والمشروبات الروحية في المحلات العامة بالميادين والأحياء الكبرى، وكان هناك ما يسمى بالمأدبة الملكية، وكانت تسع لألف شخص في حين كان يتراحم عليها الآلاف من الشعب المسكين<sup>(١٥)</sup>. (انظر: موائد الخير).

وفي أحد حواراته أشار الأديب «نجيب محفوظ» إلى أن المنازل - وقت طفولته - بميدان بيت القاضي، كانت تفتح أحواشها للناس، وكانت تأتي بالمنشدين، الذين كانوا يقيمون ما كان يسمى بالتوليد النبوي، وهو مثل حلقات الذكر، تنشده فيه قصائد المديح في النبي، وكانت هذه المنازل تتبارى فيمن يأتي به للإنشاد، وكان الناس يتنقلون بين هذه البيوت للاستمتاع بأصوات المنشدين.

أما في الريف المصري فقد اعتاد الناس أن يقضوا سهراتهم الرمضانية بالالتفاف كل ليلة حول أحد الشعراء أو المؤدين الشعبيين، لينشدوهم السير والحكايات الشعبية، وكذلك كان حال بعض المقاهي في المدن المصرية.

ويعكس الروائي «محمد خليل قاسم» استعدادات أهالي النوبة القديمة لاستقبال رمضان في روايته «الشمندورة»، بقوله: منذ شهر أو يزيد استعدت كل امرأة لهذا الشهر: تتلقى طرود قمر الدين، وتقتل الشعرية من دقيق القمح، وترعى حقول الفجل



والطماطم والبصل والرجلة لإعداد السلطات والمشهيات اللازمة وتفرك بالرمل أغشية القلقل لتلمع، وتدفن حبات الليمون في الطين، تعصر منه قطرات في الماء، وتخمّر دقيق الذرة تدحو منه إبريخًا شفافًا مززًا تنقعه في ماء مسكر، تملأ منه سلطانيات بيضاء، وتركها في مهب النسيم، ثم تقدمه شرابًا مرطبًا للزوج أو الابن يتبلع به في المساء ويبل به ريقه بعد صيام مرهق، أما هي فقد تنجرع رشفه من هذا الإبريخ، وقد تكتفى بالماء القراح أو بحفنه من التمر تزودها.

ويجري حالياً الاستعداد في بعض المحافظات قبل شهر رمضان بثلاثة أشهر تقريباً، حيث تبدأ ربّات البيوت بتربية الطيور الداجنة لشهر رمضان، ومنذ منتصف شعبان تبدأ معظم المحافظات بتجهيز وإنارة وإعادة طلاء أماكن التجمع سواء في المساجد أو المضاييف والدواوين والمنادر وقاعات الاستقبال في المنازل. كما يقوم شباب وصبية الأحياء المختلفة بتعليق الزينات ولمبات الإنارة والمجسمات على شكل فوانيس ومساجد وأشكال أخرى. وقد يدخلون في مسابقات لاختيار أجمل الزينات مثلما يحدث في محافظة الإسمايلية<sup>(١٦)</sup>.



## الاحتفال برؤية الهلال

### «موكب الرؤية»

أولى الفاطميون اهتمامًا عظيمًا للاحتفال بمقدم شهر رمضان، وأنفقوا على تلك الاحتفالات أموالاً ضخمة، حيث كانت من أهم دعائم سياسة الدولة تجاه المصريين، وربما كان القصد منها المبالغة في إظهار عظمة الدولة الشيعية الإسماعيلية في عيون رعاياها السنة. وربما كانت الدولة الفاطمية تتصرف بمنطق «حكومات الأقلية» على حد تعبيرنا المعاصر<sup>(١٧)</sup>. وإن كانت تلك الاحتفالات لم تتعد كونها موكبًا يخرج فيه الخليفة الفاطمي من باب الذهب «أحد أبواب القصر الفاطمي»، متحليًا بملابسه الفخمة، وحوله الوزراء بملابسهم المزركشة وخيولهم بسر وجها المذهبة، وفي أيديهم الرماح والأسلحة المطعمة بالذهب والفضة والأعلام الحريرية الملونة، وأمامهم الجند تتقدمهم الموسيقى، ويسير في هذا الاحتفال التجار وصانعو المعادن والصاغة، وغيرهم الذين كانوا يتبارون في إقامة مختلف أنواع الزينة على حوانيتهم، فتبدو الشوارع والطرق في أبهى زينة.

كان موكب الخليفة الفاطمي يبدأ من بين القصرين «مكانه الحالي شارع المعز بحي الصاغة»، ويسير في منطقة الجمالية حتى يخرج من باب الفتوح «أحد أبواب سور القاهرة الشمالية»، ثم يدخل من باب النصر عائدًا إلى باب الذهب بالقصر، وفي أثناء الطريق توزع الصدقات على الفقراء والمساكين، وحينها يعود الخليفة إلى القصر يستقبله المقرئون بتلاوة القرآن الكريم في مدخل القصر ودهاليزه، حتى يصل إلى خزانة الكسوة الخاصة، فيغير ملابسه ويرسل إلى كل أمير في دولته بطبق من الفضة مملوء بالخلوى، تتوسطه صرة من الدنانير الذهبية وتوزع الكسوة والصدقات والبحور وأعواد المسك

على الموظفين والفقراء، ثم يتوجه لزيارة قبور آبائه حسب عاداته، فإذا ما انتهى من ذلك أمر بأن يكتب إلى الولاة والنواب بحلول شهر رمضان.

ومما يشير الدهشة في هذا الصدد أن المصريين لم يبنهروا باحتفالات الفاطميين وإنما «مصر وها» فقد تركوا للفاطميين احتفالاتهم الرسمية وحولوا رمضان إلى مناسبة دينية.. اجتماعية زاهية أريجها التقوى والتدين والفرح معاً، وهو التراث الذي تراكم مع الزمن حتى بات من سمات مصر في رمضان على مر العصور. ولم ينس المصريون أن أول ما فعله جوهر الصقلي كان إلغاء موكب استطلاع هلال رمضان، الذي بقى مناسبة مهمة لديهم. وزاد من حنقهم أنهم ظلوا طوال الفترة الفاطمية لا يحتفلون بالرؤية<sup>(١٨)</sup>. (انظر: استطلاع هلال شهر رمضان).

ويذكر أن «محمد الأخشيدي» هو أول من استخدم الشموع المضاءة لكي توضع على ظهور الدواب في الزفة التي تسير بعد رؤية الهلال.

### الاحتفال برؤية الهلال في العصر المملوكي

إذا كان الحال كذلك في العهد الفاطمي؛ فإن سلاطين المماليك حرصوا منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس، على إضفاء الواجهة الدينية للحكم كسباً للشرعية التي حازوها شكلاً بعد إحياء الخلافة العباسية في القاهرة<sup>(١٩)</sup>. ففي دولتي المماليك (البرجية والبحرية) كان يخرج قاضي القضاة، والقضاة الأربعة والشهود ومعهم الشموع والفوانيس لرؤية الهلال، وكان يشترك معهم محتسب القاهرة- الذي كان يتولى أمور الأسواق ويفتش على الموازين والمكاييل والأسعار، وكانت سلطته تشمل جمع الضرائب من طوائف الباعة والتجار- ومعهم التجار ورؤساء الطوائف والصناعات والحرف، وكانوا يشاهدون الهلال من منارة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين، فإذا تحققوا من رؤيته، أضيئت الأنوار على الدكاكين وفي المآذن وتضاء المساجد، ثم يخرج قاضي القضاة في موكب تحف به جموع الشعب حاملة المشاعل والفوانيس والشموع حتى يصل إلى داره، ثم تنفرق الطوائف إلى أحيائها معلنة الصيام.

ويذكر الأستاذ «إبراهيم حلمي»<sup>(٢٠)</sup> أن «مسار الاحتفال في العاصمة في العصر المملوكي كان يبدأ دائماً من نقطة بداية ثابتة، وهي المدرسة المنصورية بمنطقة بين القصرين، أما نقطة نهاية الاحتفال فكانت دائماً عند بيت المحتسب وهو الممثل للسلطان في هذا الحفل الديني».

احتفالات نفس الفترة ولكن بالأقاليم المصرية، يصفها لنا الرحالة ابن بطوطة، الذي نزل إلى ميناء الإسكندرية زائراً لمصر في أول جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ، زمن الولاية الثالثة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م - ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م). وأثناء سفره من الإسكندرية إلى القاهرة، واكب مروره الاحتفال برؤية الهلال في مدينة أبيار - كفر الزيات حالياً - فشهد ذلك الاحتفال وقال عنه: لقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي وحضرت عنده يوم الركبة وهم يسمون بذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان بدار القاضي ويقف على الباب نقيب المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة لاستقبال الوفدين، فإذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب، ومشى بين يديه مقدماً إياه قائلاً: (بسم الله، «سيدنا فلان الدين» فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به، فإذا تكاملوا هناك ركب القاضي وركبوا معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان، حتى يصلوا إلى موضع مرتفع خارج المدينة، وهو مرتقب الهلال عندهم، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش، فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال، فإذا ما رأوه يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب، وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع، ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون. هكذا فعلهم في كل سنة).

ومن جانبه يصف «ابن إياس» احتفال أهل مصر برؤية الهلال عام ٩٢٠ هـ فيقول: «وأما في ليلة رؤية الهلال، حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية، وحضر الزيني بركات بن موسى المحتسب، فلما ثبتت رؤية الهلال وانفض المجلس، ركب المحتسب ومشى قدامه السقاءون بالقرب، وأوقدوا له الشموع على الدكاكين وعلقوا له التناير

والأحمال الموقودة بالقناديل من الأمشاطيين إلى سوق مرجوش، إلى الخشابين، إلى سوقة اللبن إلى عند بيته (بيت الزيني بركات).

ويذهب «قاسم عبده قاسم» في كتابه «عصر سلاطين المماليك» إلى أن هذا - في أغلب الظن - كان هو الترتيب السائد في كل أنحاء المحروسة خلال العصر المملوكي لاستطلاع هلال شهر رمضان بالمدن «وإذا كانت ثمة اختلافات طفيفة؛ فإن الشكل العام للاحتفال كان واحدًا».

ويذكر أن المماليك كانوا يسمون يوم الرؤية «يوم الارتقاب»، بما يحمل من معاني الشوق والحنين تليق بغائب طال انتظاره<sup>(٢١)</sup>.

#### الاحتفال برؤية الهلال في العصر العثماني

في سنة ١٦٧٠م، زار الرحالة التركي «أوليا جلبي» (المولود سنة ١٦١١م)، مصر وقضى فيها ثماني سنوات؛ سجل مشاهداته خلالها في كتابه (سياحنامه مصر).

شهد جلبي احتفال مصر برؤية هلال رمضان سنة ١٦٧٠م، وأطلق عليه اسم «موكب ليلة المحتسب»، وادعى<sup>(٢٢)</sup> أن البعض كانوا يسمونه «بعيد النسوان» وذلك بحسب تعبيره: لأن أحدًا لا يستطيع أن يمنع زوجه من الخروج في هذه الليلة، فلا مندوحة لها عن الخروج للتفرج على الحفلة برؤية هلال رمضان، بل وقد اشترطت الزوجة عند زواجها أن يكون لها الخروج من بيت الزوجية في هذه الليلة، وأصبح هذا الأمر يمثل جزءًا من العرف المصري. وقبل يوم الاحتفال بأسبوع، يستأجرون الحوانيت في الأسواق السلطانية من قرش إلى خمسة عشر قرشًا، أو يذهبون إلى بيوت أقاربهم وأصدقائهم المقيمين في تلك الأسواق والشوارع وليس لأحد أن يسأل أهله أين كانت في تلك الليلة؟، ويجعل أهل مصر المحروسة هذه الليلة ليلة الانفصال عن اللذة والنعيم، فلذا يجيئونها حتى الصباح، فقد زين كل صاحب حانوت وجه حانوته بما فيه من السلع والأمتعة، وزينت الشوارع بمئات الألوف من المصاييح والقناديل واجتمعوا مع رفقاتهم كما اجتمع العشاق مع من يحبون منتظرين حفلة المحتسب.

ويرد «جلبي» قائلًا: وإذا كانت ليلة الرؤية - أي ليلة الشك في أن هلال رمضان سيرى أو لا يرى - اجتمع البك المحتسب والصوباشي ومع كل منهما خمسمائة رجل

من أتباعه، فيذهبون إلى القلعة وهم يدقون طبولهم ويدخلونها من باب العزب ويقابل المحتسب الباشا بعد العصر في ديوان الغوري. يصدر الباشا أمره إليه بالذهاب إلى مشايخ القضاة الأربعة وقاضي عسكر لكي يسأله عن رمضان المبارك أمجل غدا؟، ويأمر بانحاذ كافة الإجراءات التي تلزم الحفلة بمشاركة الرؤساء العسكريين وغيرهم ومعهم فرقة موسيقى الباشا، ينزل الموكب من باب الوزير، يشترك فيه مئتا جندي من كل بلوك من البلوكات السبعة التي بمصر، مزينين، مسلحين، وبعد صلاة المغرب في جامع محمود بميدان الروميلي تطلق الفرق العسكرية طلقة نارية دفعة واحدة وتكبر تكبيرة جهريّة تملأ القاهرة بأصوات «الله أكبر» ويسير الصوباشي برجاله ومعه نحو ألف من فرسان الغربان وثلاثمائة مشعل والمطرين والراقصين التابعين لإدارته، بل والمشعوذين، يمرون بموكبهم الصاخب ويضاء حول الصوباشي ألوف القناديل المعلقة على العصي ويسير معه أربعون أو خمسون غلامًا يتسمون بالجمال وقد وضعوا على رؤوسهم قلانس مزينة وخلفهم فرقة الموسيقى ولا يشترك في ليلة المحتسب هذه أحد من الأعيان والأشراف والعلماء والصلحاء والمشايخ والسادات وأئمة المساجد والخطباء وحاملي رتبة المولوية والقضاة، ولكنهم يشاهدون الموكب في السوق السلطانية، وليسوا مأمورين بالاشتراك فيه.

تظل القاهرة في تلك الليلة ساطعة الأنوار حتى الفجر كأنها ليلة القدر، يجتمع النساء والغلمان جماعات جماعات، فلذا يسميها بعض الظرفاء ليلة «الجمال» لأن كل ما امتاز في القاهرة بالجمال والخفة يستعير من أبيه أو أمه أو سيده أسبابًا وأثوابًا مقصبة مزركشة فيخرج كما يخرج أبناء مشايخ أهل الحرف راكبين جيادًا أصيلة مسرجة بسروج مرصعة، يتهادون في أثوابهم السمورية وطررهم المزينة، وتسير معهم موسيقاهم عازفة أنغامًا شجية ويسمى بعض الظرفاء هذا الموكب موكب السخرية «تشمران» وموكب المضحكين، والحق أن كل من بالقاهرة من المضحكين وأهل الهزل يغادرون بيوتهم فيقومون في الشوارع بضروب الهزل والهذر.

بعد موكب الصوباشي تأتي عدة مواكب: المزارعون، البستانيون، السقاءون الجمالون، محترفو صناعة الزيت الحار «زيت حارجية» المعاريون، النجارون، الخبازون، وتجار الغلال، الجزارون، الطباقون، البقالون، وأهل السوق وبائعو الصابون والخمص، الجراحون، السيوفية، الحدادون، النحاسون، الصاغة، الخياطون، الخيامون، القواسون،

العزاءون، نساجو الكسوة الشريفة، الدباغون، صناع الأحذية، السراجون، العطارون، الحلاقون، والمزينون، حرفة نقش الأقواس، تجار خان الخليلي، البهلوانات، والعازفون، وغيرهم من موكب الجيش المصري.

يصل هذا الموكب إلى سراي القاضي «بيت القاضي» فيستقبلهم، يقدم لهم القهوة، والبخور الوردي، ويقوم المحتسب بسؤال القاضي عما إذا كانت هذه الليلة هي ليلة رمضان وصباحها يوم الصيام أو يوم الشك؟، يأمر القاضي بإحضار مشايخ المذاهب الأربعة، وإذا ثبتت الرؤية تقدم الحجة الشرعية إلى المحتسب الذي يرسل كتخداه حاملا إياها إلى الباشا مبشراً بحلول رمضان، تنار منارات المساجد والجوامع، وتطلق من مدافع القلعة أربعون أو خمسون طلقة ترتج الأرض من دويها، في نصف الليل يذهب الناس إلى المساجد لإقامة صلاة التراويح وينوون الصيام صباحها، ويقوم أهل الحرف بضروب الألعاب والصخب والجلبة ويقدم اللاعبون سبعة آلاف لعبة وسط الغناء والعزف، ومن المعروف أن جميع أهل الحرف يسهمون في مصاريف حفل ليلة المحتسب سواء ثبت الهلال أم لم يثبت، يأخذها المحتسب من المائة والستين صنفاً من أهل الحرف والصنائع الذين يخضعون له ويأتمرون بأمره.

أما عن ليلة الرؤية وموكبها خلال فترة الحملة الفرنسية (١٧٩٨ / ١٨٠١ م) على مصر؛ فيصفها المهندس والجغرافي والأثري الفرنسي «آدم فرانسوا جومار» أحد علماء الحملة الفرنسية في الجزء الثامن عشر من موسوعة وصف مصر، قائلاً: يبدأ رمضان في ميلاد هلال هذا الشهر، ويعلن عن ذلك موكب احتفالي يسبق بداية الشهر بيومين ويتكون هذا الموكب من حشد كبير من الرجال، يحمل بعضهم المشاعل وبعضهم الآخر يحمل عصا، يقومون بأداء حركات مختلفة بها، ويفتح سير الموكب آلاتية يمتطون ظهور الجمال، يضرّبون كوساً معدنية، بينما يمتطي آلاتية آخرون ظهور الحمير، ويضرّبون كذلك على الطبل، أو يعزفون على بعض آلات النسخ الأكثر سخابة، والتي يمكن أن تتصورها، ويأتي بعد ذلك رجال يرتدون لباساً أحمر، وعلي رؤسهم قلنسوات عالية، متصل بها ثوب أحمر فضفاض يسقط على الظهر ومقدمة القلنسوة مزينة بالنحاس، وهو لباس مشابه للباس الانكشارية، ويختتم الموكب شيوخ ممتطون صهوة خيول مجللة بفخامة.



عين أخرى رصدت ذلك الاحتفال في عهد «محمد علي»، وهي عين المستشرق الإنجليزي «إدوار لين» الذي يصف مشهد الرؤية في ذلك العصر بقوله: واللييلة التي يتوقع أن يبدأ صبيحتها الصيام تسمى ليلة الرؤية، فيُرسل عددٌ من الأشخاص الثقات إلى مساحة عدة أميال في الصحراء؛ حيث يصفو الجو لكي يروا هلال رمضان، بينما يبدأ من القلعة موكب الرؤية الذي يضم المحتسب وشيوخ التجار وأرباب الحرف والطحانين والحبازين والجزارين والزيّاتين والفكهانيين. وتتقدّم الموكب فرقة من الجنود، ويمضي الموكب حتى ساحة بيت القاضي، ويمكثون في انتظار من ذهبوا لرؤية الهلال، وعندما يصل نبأ ثبوت رؤية هلال رمضان يتبادل الجميع التهاني، ويسير الدراويش في مجموعات يطوفون أحياء القاهرة وهم يصيحون (يا أمة خير الأنام.. صيام.. صيام)، أما إذا لم تثبت الرؤية في تلك الليلة فيكون النداء (غداً متمم لشهر شعبان.. فطار.. فطار).

#### موكب الرؤية في العصر الحديث

في عهد خلفاء محمد علي؛ انتقل إثبات رؤية الهلال إلى المحكمة الشرعية بباب الخلق، وكان يحتفل برؤية الهلال احتفالاً عظيماً. ففي عهد السلطان عباس حلمي الثاني كان موكب الرؤيا يخرج من محافظة القاهرة إلى المحكمة الشرعية، تتقدمه الموسيقى والجنود والتجار ومشايخ الحرف بطبولهم. فهذا موكب أرباب الحرف على عربات مزينة بالزهور والأوراق الملونة، وهذا موكب الطرق الصوفية بشاراتهم وراياتهم وبيارقهم، وفرق محدودة من الجيش والبوليس بموسيقاها العسكرية المميزة، وكانت هذه الموكب تمر بقصر البكري بالخرنفس؛ حيث نقيب السادة الأشراف وأمراء الدولة والأعيان يستقبلون وفود المهنيين، وتوزع المرطبات، ويتبادل الجميع التهاني، بينما مدافع القلعة والعباسية تدوي، وتطلق الألعاب النارية وتضاء الأسواق والشوارع.. والقباب والمآذن<sup>(١٣)</sup>.

وفي عددها الصادر في ٢٩ شعبان ١٣١٩ هـ / ١١ ديسمبر ١٩٠١م، تحدثت جريدة الأهرام عن استعدادات الدولة للاحتفاء باستطلاع الرؤية، قائلة: في الساعة الثالثة والنصف يجتمع أرباب الطرق في محافظة القاهرة ويسرون موكباً يهبل ويكبر

إلى المحكمة الشرعية لإثبات رؤية الهلال، ويسير في الموكب أشرطة من النيادة تتقدمها موسيقاها وعند ثبوت الرؤية تطلق المدافع تبشيرًا برؤية الهلال، ويصبح المسلمون في الغد صائمين.

وفي الأربعينيات إبان العهد الملكي اتخذ موكب استطلاع الهلال طبيعة أسطورية؛ فمن مقر محافظة القاهرة كان الموكب ينطلق إلى دار المحكمة الشرعية العليا تتقدمه الموسيقى وفرقة من الجيش وقوة من مشاة البوليس ومن خلفهم الشعب بكل أطيافه وكانت تتم عملية الاستطلاع في مرصد حلوان ومصلحة الطبيعيات، وإذا ما ثبتت الرؤية أذيع الخبر في جميع أنحاء المملكة عبر محطات الراديو ومآذن الجوامع، وعلى أثر ذلك تنطلق المدافع من فوق القلعة إيدانًا ببدء الشهر الكريم. وكان الملك يحضر في هذه الاحتفالات وقد جرت العادة أن يوجه رسالة إلى الشعب في أول أيام رمضان يهنئه فيها بقدم الشهر الكريم.

ويصف الأديب يحيى حقي (١٩٠٥-١٩٩٢م) موكب ليلة الرؤية كما عاينه في كتابه «فيض الكريم» بقوله: في مقدمة الموكب موسيقى السواري، يبهرنا ضارب الطبل المغلفة بجلد فوق حصان، ونقول في سرنا: كيف يقود حصانه دون أن يمك بلجامه، ثم تأتي شلة من المشاة فندمع عيوننا ونحن نحس لرؤيتهم بالعزة والمتعة. ثم... ثم... يا للفرحة موكب أرباب المهن الشعبية، المعلم وحده في تلاميذه وأولاده.. هاهم النجارون في أيديهم المقدمة يمشي مشية البطل ورائه صفوف من أقواسهم، وهاهم مبيضو النحاس قد تحزموا كأنما على استعداد لدعك الأواني بأقدامهم في رقصة تشبه رقص حلقات الذكر، وأخيرًا هاهم الحلاقون. ولكن ماذا تظنهم يفعلون؟ ركب نفر منهم «عربية كارو» في يد واحد منهم فردة حذاء قديمة - برطوشة - يتصنع أنه يخلق بها ذقن زميل له غارقة في رغاوي الصابون ولا يأبه لمحاولاته الزوجان من هذا السلاح العجيب. كان له مهنة رباطها وتقاليدها ومعلمها الذي يشهد للصبى ببلوغ مرتبة الأستاذ فيحق له الاستقلال في عمله، ينسى الصبي يومئذ من حلاوة الفرح ما أصابه من ضرب وعذاب يد من كان يتدرب على يديه. تؤلف بين الجميع تلك الليلة هزة دينية فلا يصدر منهم في هذا الموكب فعل عن زيف وافتعال».

هكذا كانت مواكب الرؤية والاحتفال بقدوم الشهر الكريم تجري في كل بقاع مصر، باشتراك طوائف الشعب والمسؤولين، ثم أخذت تتقلص تدريجياً، حتى توقفت تماماً في السنوات الأخيرة واقتصر إعلان مقدم شهر رمضان على الاحتفال الذي تقيمه دار الإفتاء بمقرها، ليلة التاسع والعشرين من شهر شعبان، حيث يقوم مفتي الديار المصرية بإذاعة بيان يفيد إذا ما كان شهر شعبان ثلاثين يوماً أم تسعة وعشرين. ففي عهد عبد الناصر اختفت مواكب الرؤية التقليدية في صورتها الأسطورية السابقة، واتساقاً مع أهداف الثورة فقد كان الموكب الرسمي لاستطلاع الهلال يبدأ من محافظة القاهرة وتشارك فيه عربات أعدتها المصانع والشركات والعمال كما يشترك في الموكب أيضاً فرق الموسيقى والمدارس العسكرية والمصانع الحربية، وكان هذا الموكب يتجمع في ميدان التحرير في ليلة الرؤية، ويطلق الصواريخ لمدة ساعة في المساء إيماناً ببدء الشهر الكريم، وكان هذا الاحتفال يتكرر في ليلة غزوة بدر وليلة القدر<sup>(٢٤)</sup>.

وظل موكب الرؤية الرسمي يأخذ في الاندثار تدريجياً في عهدي السادات ومبارك بدعاوى أمنية، حتى اختفى تماماً من مشهد الحياة المصرية.

ورغم اندثار الموكب الرسمي لاستطلاع الهلال والاحتفال برؤيته على المستوى الرسمي، إلا أن الاحتفال بمقدم رمضان ما زال يحظى بتقدير خاص من طبقات الشعب ويعدون له العدة، كل بحسب تقاليده وما تتيحه له الإمكانيات، حيث مازالت معظم محافظات مصر تحرص على الاحتفال برؤية الهلال، إذ يتجمع ممثلو الطرق الصوفية وأصحاب الحرف وممثلو السلطات المحلية والتنفيذية في مواكب منظمة من عند أشهر المساجد في كل محافظة، يجوبون الشوارع الرئيسية حاملين البيارق والأعلام ومرددين الهتافات والأذكار الدينية ابتهاجاً بثبوت الرؤية، وقد تظهر بعض التنبؤات في شكل احتفالية ليلة الرؤية.

ففي محافظة البحر الأحمر يستقبل الأهالي ليلة الرؤية بسباق للهجن، ويرقصون رقصاتهم الشهيرة مثل (الهوسيب) (الواندوب) (البيوب).

وفي محافظة الشرقية مثلاً يتجمع شباب كل شارع بعد ثبوت الرؤية يطلقون الألعاب النارية ويظلمون هكذا حتى موعد سحور أول يوم، فينضمون للمسحراتي في أول جولاته اليومية لإيقاظ الصائمين لتناول طعام سحور أول ليالي رمضان.

وفي محافظة الإسماعيلية بقرية منشية الشهداء يتجمع الشباب أمام مسجد وضريح الشيخ حسن، أحد مشايخ القرية حاملين مجسمًا مصغرًا من ضريح الشيخ حسن على عربة كارو، ويلفون المجسم المصغر بوشاح أخضر مطبوع بالعبارات الدينية ويطوفون به شوارع القرية، ثم تنتهي جولتهم عند الضريح وهم يهتفون (وحوي ي.. وحوي ي) (٢٥).

وعن استقبال هذه اللحظات في النوبة القديمة، يروي محمد خليل قاسم في روايته «الشمندورة» أنه ما إن كان يرتفع من المثانة العالية صوت المؤذن يسبح، ويعلن في النجع كله رؤية هلال رمضان.. ويهتف في كلمات منغومة:

- يا عباد الله.. وحدوا الله.

ويهبط درج المثانة في أناة حتى يستقبله عند الباب الصغار بالتهليل والصياح ويرجون الأرض بأقدامهم وهم يتحلقون حوله ويطوفون معه دروب النجع، داقين بقبضاتهم على كل باب، مرددين.. وحدوا الله يا عباد الله.

وفي الوادي الجديد يبدأ احتفال البدو بالشهر الكريم بخروج مئات من الشباب حاملين الطبول والمزمار البلدي ليجوبوا أنحاء القرية، ويكون للأطفال نصيب الأسد من هذه الاحتفالية، إذ يرتدون ملابس جديدة كأنه يوم العيد، فيما يزور الكبار أقاربهم وجيرانهم في منازلهم لتقديم التهنته، والاتفاق على تقديم المساعدات للفقراء والمحتاجين دون أن يشعر بهم أحد (٢٦).

وفي سيناء، حين يثبت أن الغد هو أول يوم من رمضان يجهز أبناء البادية مائدة غذاء ضخمة يدعون إليها الأحبة والأقارب وأبناء السبيل والغرباء تسمى هذه المائدة بالغدوة الطويلة؛ أي أنهم اعتبارًا من غد سوف ينقطعون تمامًا عن الغذاء ويبدأ الصيام، والهدف من إنشاء هذه المائدة ليس الطعام بل الأمر أكبر من ذلك فالهدف الأساسي هو أن يجتمع أبناء القبائل ويخبرونهم أن القضاء العرفي قد توقف وأيضًا الزواج والخطبة يرجشان إلى ما بعد انقضاء العيد الصغير، ويجب على الجميع أن يبحث عن أرقاء الحال والمساكين لتكون الصدقة منذ اليوم الأول كما يتم تحديد الأيتام لإرسال مبالغ نقدية لهم تكفيهم طول شهر رمضان، وهكذا تبحث الغدوة الطويلة الخطة المستقبلية لرمضان مع بداية أول يوم (٢٧).

## الهوامش

- (١) المراد بالرؤية: الرؤية الليلية (انظر: السيد سابق، فقه السنة).
- (٢) محمود الشرقاوي: شهر رمضان عادات ونوادير، مجلة العربي، العدد ٤١٢ - مارس ١٩٩٣.
- (٣) المرجع السابق.
- (٤) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي هيئة الكتاب، مصر ١٩٨٥ م.
- (٥) انظر: فؤاد سعيد وهبة، تحديده فلكيًا.. لا يمكن الاعتماد عليه!، مجلة العربي، العدد ٥٤٠ - ١١/٢٠٠٣، الكويت.
- (٦) أحمد سليم: عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائي، بتصرف يسير.
- (٧) أحمد سليم: حكايات رمضانية سيناوية، الأهرام العربي، ع ٦٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.
- (٨) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ١/٩/٢٠٠٨.
- (٩) شوقى عبد القوى حبيب: الاحتفالات الدينية في الواحات، الهيئة العامة لتقصير الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠، ص ٨٢.
- (١٠) حسن عبد الوهاب: رمضان، مرجع سابق، ص ٣١-٣٢.
- (١١) شوقى حبيب: الاحتفالات الرمضانية.
- (١٢) قاسم عبده قاسم: رمضان... أقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربي، العدد ٦٢٣ - ٨/٢٠١١.
- (١٣) راجع: حسن عبد الوهاب، رمضان، مرجع سابق.
- (١٤) نفسه.
- (١٥) محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.
- (١٦) دعاء صالح: رمضان وآب اللهب، مجلة الثقافة الجديدة.

- (١٧) د. قاسم عبده قاسم: رمضان... بأقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربي، العدد ٦٣٣ - ٨/٢٠١١
- (١٨) المرجع السابق.
- (١٩) نفسه.
- (٢٠) انظر: إبراهيم حلمي: «فنون العرض في الاحتفالات الدينية الشعبية»، مجلة فنون الفرجة الشعبية، ١٤، ٢٠٠٢.
- (٢١) مسعود شومان: رمضان.. دورة حياة، جريدة أخبار الأدب.
- (٢٢) بالإحالة إلى: سيد عشاوي، رمضان في مصر المحروسة، مجلة الهلال، أكتوبر ٢٠٠٥
- (٢٣) حسن عبد الوهاب، رمضان: مرجع سابق ص ٣١-٣٢.
- (٢٤) محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.
- (٢٥) دعاء صالح: رمضان وآب اللهاب، مرجع سابق.
- (٢٦) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ٢٠٠٨/٩/١.
- (٢٧) أحمد سليم: حكايات رمضان سيناوية، مرجع سابق.

## مظاهر احتفالية

- الإفطار الجماعى والولائم
- مدفع رمضان
- الفانوس
- المشكاوات
- الأسواق فى شهر رمضان
- المقاهى فى شهر رمضان
- الاحتفال بشهر رمضان فى الثقافة الجماهيرية
- ختم القرآن





## الإفطار الجماعى والولائم

كان من دواعي السرور والأنس عند المصريين القدماء أن يولموا الولائم ويجمعوا عددًا كبيرًا من الأقارب والأصدقاء حول الموائد لتناول الغداء أو العشاء، وهو ما تمثله مناظر كثيرة على جدران المقابر والمعابد، وكانت تلك المآدب تماثل من كافة النواحي تلك التي كان يقيمها صاحب المقبرة في حياته.

وكان يسبق الولائم حركة كبيرة في المخازن والمطبخ وتجهيز اللحوم وتوضع الفاكهة في أطباق هرمية وتستخرج الكثوس الذهبية، وجرت العادة عند قدوم ضيف عظيم أن يقف رب البيت بباب الدار لاستقباله ثم يدخل بضيوفه يتبادلون التحيات، وبعد ذلك يأخذ كل منهم مكانه في المجلس فيجلس أصحاب المنزلة على مقاعد ذات ظهور عالية مموهة بالزخارف المذهبة والمرصعة، وتخصص بعض المقاعد الفاخرة لكبار المدعوين، أما الباقون فيجلسون على الحصير والخدم والخادومات يطوفون ويوزعون الزهور والعطور بجانب أطباق الطعام؛ ومن هذا يتضح لنا أن إقامة الولائم كانت أمرًا يهتم به المصريون القدماء، الذين سجلوا صورًا لهذه الولائم على جدران مقابرهم كما أن المصورين المسلمين عرضوا لها صورًا في مخطوطاتهم<sup>(١)</sup>، مما يوحى بأنها كانت محل اهتمام منهم.

وتعد موائد الإفطار الجماعى صورة من صور التراحم والتواصل الاجتماعى في المجتمع المصري، حيث لا تزال معظم الأسر المصرية تحرص على تجمع أفراد الأسرة في إفطار أول يوم وبعض أيام رمضان الأخرى. ففي محافظة البحر الأحمر يقوم شيخ كل قبيلة بتقديم إفطار أول يوم من الشهر الكريم وبعض الأيام لأفراد القبيلة؛ حيث يذبحون الإبل ويقدمون (الجبنه / القهوة) وتسمى تلك العادة في الغردقة (الكرامة) ومثلها في محافظة الوادي الجديد وتسمى (ختمة). وفي محافظة الغربية توجد ظاهرة

لافتة للنظر؛ حيث يتجمع أطفال قرية «سنباط» في إفطار جماعي للأطفال فقط. وفي قرية ميت يزيد بذات المحافظة يتجمع أهالي القرية على إفطار آخر يوم ويحددون مكانه وسط المقابر على أن تتضمن قائمة الإفطار البيض والحمص<sup>(٢١)</sup>.

وفي الوادى الجديد يجتمع أبناء القرية الواحدة يومياً، في المسجد قبل صلاة المغرب، ثم يتناولون وجبة الإفطار معاً بعد أن يحضر كل واحد منهم ما لديه من طعام، ثم يجتمعون مرة أخرى عقب صلاة التراويح لتناول وجبة «العتوم» وهى الوجبة الرئيسية طول الشهر<sup>(٢٢)</sup>.

ويتناوب الأهالي على استضافة بعضهم البعض فيها، يعقبا سهرة يشارك فيها الكبار والصغار يروي فيها الشيوخ تجاربهم مع الحياة، ويستمتع الصغار إلى نصائحهم، وتستمر هذه السهرات إلى ما قبل السحور مباشرة<sup>(٢٣)</sup>.

أما أبناء واحة الداخلة فما زالوا حتى الآن حريصين على عادة اجتماع العائلة بالكامل في منزل كبيرها لتناول وجبة الإفطار، وغير مسموح لأي شخص بتناول الإفطار بمفرده نهائياً<sup>(٢٤)</sup>.

ومما يجدر ذكره أن معظم الأسر البدوية السيناوية تقوم في مساء آخر ليلة جمعة في رمضان بنحر ذبيحة تسمى عشاء الأموات. والمقصود بها أن يكون ثوابها لأمواتهم، حيث يقرءون الفاتحة وأجزاء من القرآن الكريم ترحمًا على الأموات<sup>(٢٥)</sup>.

وكان من عادة النوبيين في رمضان، أن يتجمع رجال النجوع في العصارى، في الساحة يسلمون صيامهم بقراءة الأوراد جلوسًا على الأبراش الخوصية الملوثة، ومن حولهم صوان نحاسية صفراء رصت فيها القليل القناوى ذات الأغطية النحاسية في وهج الشمس الغاربة، بينما تنهمك السيدات في المطبخ، في التشطيبات الأخيرة لمختلف الأطعمة التي يقدمنها في الإفطار لأزواجهن المتجمعين في الساحة.

## مدفع رمضان

رغم انتشار الساعات ووسائل الاتصال الحديثة وأجهزة الهواتف المحمولة ومكبرات الصوت؛ إلا أن الصائمين في كافة أرجاء مصر ما زالوا يرتبطون وجدانياً بالمدفع، ولا يفطرون إلا بعد سماع دوي طلقاته، بل ويجرص العديد منهم على الذهاب إلى مكان المدفع ورؤيته وهو ينطلق، فقد قامت الحكومة بتعميم فكرة المدفع في كل المحافظات، حيث يكون مكانه غالباً بجوار مبني المحافظة أو على شاطئ النيل.

قصة هذا المدفع تقدمها لنا ثلاث روايات، تفسر كيفية دخوله إلى الحياة المصرية، وارتباطه بشهر رمضان.

الرواية الأولى ترجع إلى عهد الوالي المملوكي «خوش قدم» الذي كان قد تلقى مدفعاً هدية من أحد المصانع الألمانية، وفي أول يوم من رمضان عام ٨٦٩ هـ الموافق ٢٦ من إبريل ١٤٦٥م، أمر الوالي بتجربة المدفع، ومع غروب شمس ذلك اليوم دوت أول طلقة في سماء القاهرة، فظن الصائمون أن هذا إيذاناً لهم بالإفطار، وفرحوا بذلك التقليد الجديد واستحسنوا ذلك الاختراع وفي اليوم التالي تجمع الناس بانتظار انطلاق المدفع، وعلم الوالي بسبب تجمهر الناس فما كان منه إلا أن أمر بأن يطلق المدفع عند غروب الشمس طول أيام رمضان.

الرواية الثانية تعود إلى عهد الوالي محمد علي، الذي قام بشراء عدد من المدافع الحربية ضمن تخطيطه لبناء الجيش المصري، وتصادف تجريب أحد تلك المدافع لحظة غروب شمس أحد أيام رمضان، فحسب الناس أن هذه طريقة جديدة لإعلامهم بوقت الإفطار، وفرحوا بها، وطلبوا من الوالي أن تستمر طول أيام شهر رمضان، فاستجاب لطلبهم، وأصبح المدفع يطلق مرة عند وقت الإفطار وأخرى وقت الإمساك.

أما ثالث هذه الروايات وأشهرها فهي الرواية التي تدور في عهد الخديو إسماعيل، والتي تقول: إن بعض جنود الخديو كانوا يقومون بتنظيف المدافع الحربية الموجودة بالقلعة، فانطلقت قذيفة من أحد المدافع، وتصادف أن توافق وقت انطلاقها مع لحظة الغروب، فاعتقد الناس أن هذا أسلوب جديد اتبعته الحكومة لإبلاغهم بوقت الإفطار، وأصبحوا يتحدثون عن ذلك الأسلوب باستحسان شديد، وعلمت الحاجة فاطمة ابنة الخديو إسماعيل بالأمر فأعجبتها الفكرة، وأصدرت أوامرها بأن ينطلق المدفع وقت الغروب والإمسك خلال شهر رمضان وكذلك في الأعياد الرسمية.

منذ ذلك الوقت ارتبط مدفع رمضان باسم الحاجة فاطمة، وأصبحوا يطلقون عليه «مدفع الحاجة فاطمة».

ويستدل من مشاهدات الرحالة الأيرلندي «ريتشارد بيرتون» لرمضان في القاهرة (١٨٢١-١٨٩٠) أنه كان هناك مدفعان ينطلقان في أجواء القاهرة إعلاناً لموعد الإفطار، الأول ينطلق من القلعة، والثاني ينطلق من قصر العباسية (سراى عباس باشا الأول). (انظر: شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين).

ولمدفع رمضان قصة شهيرة تتردد في مدينة العريش، فقد كان المدفع قابلاً أمام قسم الشرطة بميدان البلدية الرئيسي بالعريش، الذي استولت عليه إسرائيل بعد الاحتلال، وعندما أرادت إسرائيل إحياء الطقوس الرمضانية نصبت مدفعاً آخر للإفطار والسحور في محاولة يائسة لكسب مشاعر المواطنين الصائمين من الصامدين، إلا أنهم لم يستجيبوا له واعتمدوا على مدفع الإذاعة المصرية فقد اعتبروه رسالة من الوطن الأم مصر لتشجيعهم على الصمود والتحدي<sup>(٧)</sup>.

## الفانوس

الفانوس واحد من أبرز المظاهر الرمضانية التي تحظى بإقبال الصغار والكبار معاً، إذ لا يكاد يخلو بيت أو شارع من وجود الفانوس في شهر رمضان، سواء في أيدي الأطفال وهم يدورون به، فرحين في الشوارع، يرددون الأغاني التي ترتبط به، وأشهرها: «وحوي يا وحوي»، و«ادونا العادة» و«حالو يا حالو»، أو معلقاً أمام البيوت وفي الشرفات كوسيلة للإضاءة وإنارة الطرق.

والفانوس في تعريفه العلمى هو: جهاز يقي مصدر الضوء من الريح أو المطر.

أما من الناحية اللغوية فإن الفانوس يعني: النمام، لأنه يكشف عن المستور ويبين ماخفي. ويذكر بعض المؤرخين: أن الفانوس كلمة إغريقية الأصل، تشير إلى إحدى وسائل الإضاءة والقناديل والشمعدانات التي استخدمها الرومان، وأن جوانبه كانت تصنع من القرون الرفيعة، لحماية المشاعل الزيتية، وهذا النوع من الفوانيس ظل يستعمل حتى العصور الوسطى. ويرجح الباحثون بأن فكرة فانوس السحور كأحد المظاهر التقليدية المنتشرة في مدن الإسلام قد ظهرت أولاً في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة، ومنها انتشر الفانوس إلى كل الأقطار الإسلامية. (انظر: المسحراتي).

ويشير الأستاذ «مصطفى عبد الرحمن»، في كتابه «رمضانيات»، أن الفانوس استخدم في صدر الإسلام في الإضاءة ليلاً للذهاب إلى المساجد والزيارة ليلاً للأصدقاء والأقارب، واستعمل كذلك لتنبية الصائمين في وقت السحور فإن معنى إطفائه أن وقت منع الطعام والشراب قد حان.

أما ارتباط الفانوس بشهر رمضان، فقد بدأ مع استقبال المصريين في الخامس من رمضان عام ٣٥٨ هجرية للمعز لدين الله الفاطمي وكان قدومه إليها ليلاً، فاستقبله

أهلها حاملين مشاعل ملفوفة من الجوانب، ربما كانت هى ملهمة فكرة الفانوس المعروف الآن.

وبعد أن كان الفانوس يستعمل للإضاءة، جدت له بدعة جديدة إذ حمله الأطفال بعد طعام الإفطار في شهر رمضان المبارك، وراحوا يطوفون به في الشوارع والأزقة، يطالبون بالهدايا من أنواع الحلوى.

ويذكر بعض المؤرخين أن الخليفة «العزیز بالله» هو أول من أمر بوضع الفوانيس أمام البيوت للإضاءة. كما أن الخليفة «الحاكم بأمر الله» هو أول من أمر الناس بأن يحمل كل منهم فانوساً مضاء أثناء سيره في الطريق طول رمضان.

وقد ذكر الرحالة الأندلسي «ابن الحاج» الذي زار مصر خلال القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، أنه كانت من عادة المصريين في ذلك العصر أن يعلقوا الفوانيس.. التي جعلوها علماً على جواز الأكل والشرب وغيرهما مادامت معلقة موقودة. ومن العادات التي ارتبطت بالفانوس آنذاك، عدم خروج المرأة ليلاً في شهر رمضان أو غيره من الشهور إلا ويتقدمها صبي يحمل في يده فانوساً مضاءً ليعلم المارة أن إحدى السيدات تسير كي يفسحوا لها الطريق.

ووصف المقرئ فوانيس رمضان التي كانت تباع بسوق «الشاعين» بقوله: «كان البعض منها يزن عشرة أرتال ٤، ٥ كجم - تقريباً، وكان البعض الآخر من الضخامة بحيث ينقل على محجل إذا وصل وزنه إلى قنطار». وكانت منطقة تحت الربع منذ القدم وحتى اليوم المركز الرئيسي لصناعة فوانيس رمضان بالقاهرة<sup>(٩)</sup>. (انظر الأسواق في شهر رمضان).

وكان ليل المدن المصرية، والقاهرة في مقدمتها، يتحول إلى نهار بفعل تلك المئات من المشاعل والفوانيس والشموع المقاتدة في الأسواق والحوانيت، وعلى الجبال الممتدة بين مآذن المساجد عبر الشوارع، وفي أيدي الناس السائرين بالطرقات.

أما في الدولة العباسية فيقول أحمد بن يوسف، أحد كتّابها: أمرني المأمون - أول خليفة عباسي يزور مصر، حكم خلال الفترة (١٩٨-٢١٨هـ - ٨١٣-٨٣٣م) - أن أكتب إلى جميع العمال في أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح في شهر رمضان وتعريفهم

ما في ذلك من الفضل، فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك إذا لم يسبقني إليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه. فقلت وقت نصف النهار، فأتاني آت فقال: قل: فإن في ذلك أنسا للسائلة وإضاءة للمجتهدين، ونفياً لمكان الريب، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلمة. فكتبت هذا الكلام وغيره مما هو في معناه».

ويقال إنه في زمن الخلافة العثمانية كان الوالي العثماني يصادر أكبر وأجمل فانوس من صاحبه ليرسل به كل عام إلى الأستانة.

وتركز صناعة الفوانيس حالياً في مدينة القاهرة في أحياء: تحت الربع والدرب الأحمر وبركة الفيل، وشارع السد بالسيدة زينب، ويسمى الحرفي الذي يعمل في صناعة الفوانيس بـ «السمكري البلدي». ومن أشهر أنواع الفوانيس المنتشرة حالياً: «المقرنص المستلهم اسمه وشكله من المقرنصة الإسلامية، وتاج الملك نسبة إلى التاج الملكي، وفاروق نسبة إلى الملك فاروق، والبرلمان لكون قبة تشبه قبة البرلمان، والفنار على هيئة فنار الإسكندرية، وفانوس نجمة لكون هيئته تشبه النجمة، وشقة البطيخ لتشكيل جوانبه على هيئة شقة البطيخ، وأبو أولاد الذي يتكون من فانوس كبير وبعض الفوانيس الصغيرة التي تثبت في جوانبه، وطار العالمة لاتخاذ جوانبه شكل الطار التي تزف به العالمة العروس»<sup>(١١)</sup>.

وقد حظى فانوس السحور بنصيب وافر من اهتمام الأدباء والشعراء، الذين وجدوا فيه رمزاً أثيراً محبباً إلى النفس، فقد جلس بعض الأدباء بصحن جامع عمرو بن العاص في أوائل القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي - في إحدى ليالي رمضان وقد أوقد فانوس السحور، فاقترح بعض الجالسين على الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي أن يصنع في الفانوس طلباً لتعجيزه ولكنه أنشد قائلاً:

وَنَجْمٍ مِنَ الْفَانُوسِ يُشْرِقُ ضَوْؤُهُ      وَلَكِنَّهُ دُونَ الْكَوَاكِبِ لَا يَسْرِى

وَلَمْ أَرْ نَجْمًا قَطُّ قَبْلَ طُلُوعِهِ      إِذَا غَابَ يَنْهِي الصَّائِمِينَ عَنِ الْفِطْرِ

فعارضه على بن ظافر مؤكداً أن هذا تعجب لا يصح؛ لأنه والحاضرين قد رأوا نجوماً لا تدخل تحت الحصر إذا غابت تنهي الصائمين عن الفطر، وهي نجوم الصباح، وهنا شحذ أبو الحجاج فكره وأنشد:

هذا لواء سحور يستضاء به      وعسكر الشهب في الظلماء جراز  
والصائمون جميعاً يهتدون به      كأنه علم في رأسه نار

يقول «علي بن ظاهر الأزدي» وكان حاضراً ذلك المجلس: فلما أصبحنا سمع من  
كان غائباً من أصحابنا في ليلتنا ما جرى، فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد وأنشد:

أحبب بفانوس غدا صاعدا      وضوءه دان من العين  
كذلك أنشد القاضي أبو الحسن بن نبيه في فانوس السحور:  
حبذا في الصيام منذتة الجا      مع الليل مسبل أدياله  
خلتها والفانوس إذ رفعتة      صائدا واقفا لصيد غزاله  
وقال أبو الفضل جعفر في الفانوس:

كأما الفانوس في      صارية ما اتقدا  
لواء نصر مذهب      في رأس رُمح عقدا

\*\*\*

وفي فانوس السحور أنشد كذلك «علي بن ظافر»:

ألست ترى شخص المنار وعوده      عليه لفانوس السحور لهيب  
نراه يراعي الصبح ليلاً فإن دنا      طلوع صباح حان منه غروب  
فهل كان يرهاها لعشق ففر إذ      درى أن رومي الصباح قريب  
ويقول ابن نبطويه:

نصبوا اللواء للسحور وأوقدوا      في رأسه ناراً لمن يترصد  
فكأنه سبابة قد قمعت      ذهباً وقامت في الدجى تشهد<sup>(١)</sup>

\*\*\*



وذكر أحمد بن يوسف الكاتب بأن الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد قد أمره بالكتابة ليحثوا الناس على الإكثار من المصاييح في شهر رمضان لما لها من فضل. ويقول أحمد بن يوسف: فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك، إذ لم يسبقني إليه أحد، فاسلك طريقه ومذهبه، وأضاف: فبعد أن نمت أتاني آت فقال لي: أكتب فإن في ذلك أنسا للسابلة وإضاءة للمتهجدين، ونفياً لرمضان الريب، وتنزيهاً لبيوت الله عز وجل من وحشة الظلم. فانتبهت وقد انفتح لي ما أريد، فابتدأت بهذا وأتممت عليه وصف ابن يوسف القيرواني صاحب العمدة هلال الصيام:

لَاخٍ لِي حَاجِبُ الْهِلَالِ عَشِيًّا      فَتَمَنَيْتُ أَنَّهُ مِنْ سَحَابِ  
قُلْتُ أَهْلًا، وَلَيْسَ أَهْلًا لِمَا قُلْتُ      تٌ وَلَكِنْ أَسْمَعْتُهَا أَصْحَابِي<sup>(١٢)</sup>



وإن كان الفانوس التقليدي قد اختلف بصورة كبيرة من الحياة المصرية، وحل مكانه الفانوس المستورد، الذي يعمل بالبطارية والفانوس الإلكتروني، إلا أن الأطفال في مصر ما زالوا يرتبطون بالفانوس ارتباطاً قوياً ويمرصون على اقتنائه مع مقدم رمضان، حيث ارتبط الفانوس وثيقاً بلعب الأطفال ومرحهم خلال ليالي رمضان، ودبجت فيه الأغاني المصاحبة للعب، وقد فرض الفانوس حضوره على العديد من الأغنيات الإذاعية الرمضانية، التي التفت حوله واستلهمته في الكتابة. كما كان الفانوس مادة اجتماعية وفيرة، راح ينهل منها العديد من الكُتَّاب أعمالهم السردية. تصور لنا د. سهير القلماوي في قصتها «نوبية تعبر النهر» من مجموعتها «أحاديث جدتي» مظاهر احتفال الأطفال بليالي رمضان، وهم يدورون بين البيوت حاملين فوانيسهم، حيث تحمل الصبية فانوسها ومن ورائها الأطفال يغنون عند أبواب البيوت، فإذا ما فازوا بشيء من هذا البيت أو ذاك؛ تقوم الصبية بتوزيعه بالعدل بين رفاقها. وتظهر القصة لنا أن كل مجموعة من الأطفال لها قائد يحمل الفانوس وينشد، أما الباقون فيسيرون خلفه ويرددون غناءه<sup>(١٣)</sup>. كما يصور القاص «إبراهيم المصري» في قصة «بنت السلطان» من مجموعته «كأس الحياة»، مأساة الطفلة فتحية التي لا تملك فانوساً تخرج به مع أقرانها.



## المشكاوات

لا شك أن مواعيد تناول الإفطار والسحور أثناء شهر رمضان ، قد أعطت لوحدها الإضاءة الإسلامية أهمية خاصة خلال هذا الشهر، وكانت المواد التي تصنع منها هذه الوحدات، تعد مؤشراً صادقاً على الحالة المادية لمن يستعملونها. فبينما كانت بيوت الفقراء تضاء بواسطة المسارج الفخارية، التي تستعمل الزيوت و الفتيل، كانت منازل وقصور التجار والأغنياء مغمورة بأضواء الشمعدانات والتنانير أو الثريات، وجميعها مصنوعة من المعادن وإن اختلفت في مواد الإضاءة.

فالشمعدانات كانت مجرد حوامل معدنية للشمع الكبيرة، توضع عادة في قاعات الاستقبال بالمنازل، حيث كان رب البيت يتناول طعامه مع من يستضيفهم من الفقراء أو الأصدقاء، وخاصة في وقت الإفطار. ويندر أن يستخدم الشمعدان في المساجد والجوامع؛ لأن مجال إضاءة الشموع ضيق نسبياً، ولا يجدي كثيراً في المساحات الشاسعة والمفتوحة لتيارات الهواء. وإن كان الرحالة ابن جبير قد لاحظ في رحلته لمكة في رمضان من عام ٥٧٨هـ / ١١٨٣م أن الشمعدانات الضخمة كانت تستعمل في إضاءة بعض جوانب الحرم المكي خلال أداء صلاة التراويح.

وتعد التنانير أو الثريات أكثر وحدات الإضاءة الإسلامية احتفاءً بمقدم شهر رمضان سواء في بيوت الأغنياء أو الجوامع.

والتنور كتلة معدنية يتضاءل الشمعدان إلى جوارها، وتختلف في حجمها بحسب ثراء صاحبها وأيضاً تبعاً للسقف الذي تعلق فيه. وفي كل تنور أكثر من مصباح يستعمل للإضاءة، وإلى حد بعيد يمكن اعتبار التنانير الإسلامية الأصل في الثريات الحديثة المستعملة الآن<sup>(١٤)</sup>.



وتعد المشكاوات<sup>(١٥)</sup> من أهم أدوات الإضاءة التي استخدمت في العصور الوسطى وخاصة في مصر والشام، واحتلت مكاناً أثيراً في أوقات الاستزادة من الإضاءة خلال شهر رمضان.

وتشهد صناعة الزجاج في مصر الآن على وجه الخصوص، محاولات جادة لاستيحاء أشكال المشكاوات في إنارة المساجد والجوامع والأماكن السياحية وإن حل المصباح الكهربائي مكان مصباح الزيت والفتيل. ولا بد من الاعتراف بأن هذه المحاولات لم تتجاوز بعد حيز «الشكل» أو «الهيكل»، إلى استخدام ألوان الذهب والمينا والأشكال والموضوعات الزخرفية، التي اشتهرت بها المشكاوات المملوكية<sup>(١٦)</sup>. (انظر: الفانوس).

## الأسواق في شهر رمضان

كانت القاهرة منذ نشأتها مركزاً للتجارة العالمية، وانعكس ذلك على حركة البيع والشراء بها، فأصبحت أسواقها أكثر بقاعها ازدحاماً وضجيجاً، وخلال شهر رمضان كان الازدحام على الحوانيت أكثر المظاهر إثارة وتشويقاً في أسواق القاهرة، خاصة وأن أهلها حسبياً لاحظ الرحالة كانوا يشترطون طعامهم مطهياً من الأسواق، واستمر هذا الوضع حتى مقدم الحملة الفرنسية في نهاية القرن ١٨ م، ويعزى ذلك إلى قلة «الوقود» اللازم لعمليات الطهي بالمنازل وارتفاع أسعاره. ولا شك أن الفترة المحددة للإفطار، وهي لحظة الغروب، كان يسبقها صخب يمتد إلى وقت السحور.

وقد أمدنا الرحالة المغربي «العبدري» بصورة حية لما كان عليه حال سوق «بين القصرين» في أواخر شهر رمضان من عام ٦٨٨ هـ، إذ صادفه سوء الحظ فنزل بالمدرسة الكاملة المطللة على السوق، فقال: كنت قلماً أرقد إلا منغصاً لصياح الباعة وهم يبيعون طول الليل وقلما يكون طعام الشريف منهم والوضيع إلا من السوق، والطرق خاصة بالخلق حتى ترى الماشي فيها لا هم له سوى التحفظ من دوس الدواب إياه ولا يمكنه تأمل شيء في السوق؛ لأن الخلق مندفعون فيها مثل اندفاع السيل. وقد ضاعت لي بها دابة بسبب الزحام. كان عليها شخص ركب فتكاثر عليه الزحام حتى أسقط عنها، واندفعت في غمار الخلق ولم يمكنه التوصل إليها وهو يبصرها حتى غابت عنه، وكان آخر العهد بها.

يبد أن هذا الصخب والضجيج كان يتوقف في لحظة واحدة، إذا ما شعر التجار وعامة الناس بنزول المالك إلى الشوارع للاقتال، وكثيراً ما كان يحدث ذلك فيسرع أصحاب المتاجر إلى إغلاق أبواب حوانيتهم والهرب بحياتهم خلف أبوابها الضخمة، وتتحول الطرقات والدروب إلى مقبرة للصمت المخيف<sup>(١٨)</sup>.

وهناك العديد من الأسواق التي كانت تنشط فيها الحركة خلال شهر رمضان بشكل خاص، وبالتحديد خلال العصر المملوكي، فكما يقول «المقرزي»: كان سوق الشاعين بالنحاسين الذي كان يمتد من جامع الأقرم إلى سوق الدجاجين في القاهرة، من أهم الأسواق خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فكان به في شهر رمضان موسم عظيم لشراء الشموع الموكبية التي تزن الواحدة «عشرة أرتال» فما دونها، وكان أرباب سوق الشاعين يحتفلون بمقدم هذا الشهر بتعليق الفوانيس المتخذة من الشمع على واجهات الحوانيت وعلى جوانبها، وكانت أحجام الشموع تتنوع ما بين كبيرة وصغيرة فمنها شموع المواكب الكبيرة ومنها ما يزن عشرة أرتال ومنها ما يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار، يرسم الركوب لصلاة التراويح والخروج ليلا فيمر في شهر رمضان من ذلك ما يجلب عن الوصف وتستمر حوانيته مفتوحة إلى منتصف الليل لكثرة ما يشتري وما يكتري من الشموع الموكبية<sup>(١٨)</sup>. وكانت مشاهدة هذا السوق في الليل من الأشياء المحببة للمصريين. وبفضل هذا السوق وتقاليده تجارته نشأت فوانيس رمضان التي نعرفها الآن.

ولم يدان سوق الشاعين حركة ونشاطاً في شهر رمضان سوى الأسواق والحوانيت التي كانت تباع أصناف الياмиش وقمر الدين وعلى رأسها «سوق السكرية» داخل باب زويلة، وكان يعجج بأنواع «الياميش» و«قمر الدين»، وكان البدلون أي أصحاب البقالة يفرشون على أبواب محالهم الياмиش وقمر الدين، وكانت رخيصة السعر في تناول الجميع.. حتى كانت تقدم للضيوف في رمضان للتفكه والتسلية، بل كانت تبدر على الأطفال الذين يسرون في زفة بالفوانيس<sup>(١٩)</sup>.

وكانت «سوق الحلاويين»، ترووق رؤيته في شهر رمضان، إذ كان من أبهج الأسواق ومن أحسن الأشياء منظراً؛ حيث كان يصنع فيه من السكر أشكال خيول وسباع وغيرها تسمى «العلايق» ترفع بخيوط على الحوانيت، فمنها ما يزن عشرة أرتال إلى ربع رطل، تشتري للأطفال، فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده.

وكانت وكالة «قوصون» بشارع باب النصر، التي ترجع إلى القرن الثامن الهجري - مقر تجار الشام - ينزلون فيها ببضائع بلاد الشام من الزيت والصابون والفسق والجوز واللوز والخروب.. ولما تخربت الوكالة في القرن التاسع، انتقلت

تجارة المكسرات إلى وكالة مطبخ العمل بالتمبكشية بالجمايلية، وكانت مخصصة لبيع أصناف النقل كالجوز واللوز ونحوهما. ومن غرائب ما كان يباع في الأسواق من طعام في شهر رمضان، الدجاج المطبوخ بالسكر، وقد يضاف إليه الفستق فيعرف بالفستقية أو الجوز فيقال له الجوزية<sup>(٢٠)</sup>.

ومما يجدر ذكره أن الأسواق في العصر المملوكي كانت تخضع لمراقبة المحتسب، وكان يجوس من حين إلى آخر خلال المدينة يتقدمه عامل يحمل الميزان والصنح، وخلفه الجلادون والخدم، وهو يمر على الدكاكين والأسواق واحداً بعد الآخر يفحص الموازين والمكايل، ويستفسر عن ثمن المأكولات، ويتأكد من نظافتها، وإذا اكتشف مخالفة ينزل العقاب بمرتكبها، وتذكر كتب التاريخ عقوبات فريدة أنزلها المحتسب بالغشاشين، كهذا الرجل الذي كان يبيع الكنافة ناقصة الوزن، فأمر المحتسب بجلوسه عاري المؤخرة فوق صينية الكنافة الساخنة، وأحياناً كان المحتسب يقطع جزءاً من الأذن أو الأنف<sup>(٢١)</sup>.

وكانت السوق تتكون غالباً تتكون من مجموعة من الدكاكين المتجاورة التي تشتغل في نفس الصنف، يصف المستشرق الإنجليزي إدوارد لين شكلها خلال العصر العثماني، بقوله: يتكون الدكان من كوة مربعة الشكل، أو حجرة صغيرة ارتفاعها ستة أقدام أو سبعة تقريباً، وعرضها ثلاثة أقدام أو أربعة، وقد يتألف الدكان من حجرتين تتقدم الواحدة الأخرى وتستعمل الأخيرة مخزناً ويقام أمام الدكان وترتفع المصطبة عادة قرابة قدمين ونصف أو ثلاثة أقدام ويكون عرضها كارتفاعها، وتجهز واجهة الدكان بمصاريح ثلاثة سهلة الطي يعلو بعضها بعضاً فيثنى أعلاها إلى فوق، ويطوى الآخران إلى أسفل فوق المصطبة فتكون مقعداً مستوياً يفرش بالحصر أو البسط أو بالوسائد أحياناً، وتستبدل بعض الدكاكين بالمصاريح السابق ذكرها أبواباً منثنية ويجلس التاجر غالباً على المصطبة، ما لم يضطر إلى الانسحاب قليلاً داخل الدكان ليخلي المكان لمن يصعد إليه من حرفائه، الذين يخلعون أحذيتهم قبل أن يطأوا الحصيرة أو البساط بأقدامهم ويقدم التاجر الشبك إلى حرفائه الدائمين، أو من يشتري بضاعة كثيرة، إلا إذا كان هؤلاء يحملون شبكهم، ثم يرسل على أقرب مقهى في طلب القهوة التي تقدم في فناجين صغيرة من الخزف الصيني داخل ظرف من النحاس الأحمر<sup>(٢٢)</sup>.

وحاليًا هناك عدد من الأسواق المصرية التي تنشط خلال هذا الشهر، ومن أشهرها سوق البلح بحى روض الفرج بشبرا، الذي يباع فيه ويشترى كافة أصناف البلح من كل بقاع مصر، إضافة إلى أسواق المكسرات والياميش وقمر الدين بحى بين الصورين، وسوق الفوانيس بتحت الربع وسوق الملابس بالعتبة والموسكى. كما أن الأسواق بالمدن المصرية تشهد نشاطًا ملحوظًا خلال شهر رمضان، وتتواجد هذه الأسواق غالبًا في الشارع التجارى الرئيسى بالمدينة، الذى يكتسب سمًا خاصًا خلال شهر رمضان، وذلك بعمل سقيفة له من قماش الخيامية لتظليل المارة وحماية البضائع.



## المقاهى فى شهر رمضان

تعد المقاهى واحده من أهم المناشط الاجتماعية فى مصر، فهى مكان للترفيه والبهجة والتقاء الأصدقاء وأبناء المهنة أو الحرفة الواحدة وتبادل الأحاديث حول الموضوعات المختلفة، مما جعلها مجالاً لا يمكن إغفاله حال التعرض للتاريخ الاجتماعى لمصر. وهناك العديد من المقاهى النوعية التى اشتهرت بتجمع طائفة معينة فيها ونسبت إليهم، على نحو ما نجد من مقاهى تخصص الصم والبكم، مثل مقهى الخرس المجاور لسينما كايرو فى القاهرة، وأخرى يتجمع عليها الكومبارس العاملون بالسینما، وثالثة لطوائف المعمار، كما يوجد فى شارع محمد على مقهى للمنجدین، وفى باب الشعرية مقهى لا يرتاده إلا عمال الأفران البلدية.. إلخ، لذا لم يكن غريباً أن تقوم المقاهى بأدوار سياسية واجتماعية واقتصادية مهمة، ففى ساحتها تتم الصفقات والاتفاقات، وتبديل وتشكل الآراء حول موضوعات الساعة، ومنها انطلقت العديد من المظاهرات السياسية.

وإذا كانت المقاهى تحظى بالإقبال عليها طوال أيام السنة فإنها تحظى فى شهر رمضان بإقبال متزايد، نظراً لتعود المصريين على قضاء سهراتهم خارج المنازل.

وقد كانت المقاهى خلال العصر العثمانى تخضع للإشراف المباشر من قبل رئيس يشترى لنفسه حق التزامها، وتدفع كل مقهى رسماً صغيراً فى بداية السنة الهجرية، وتعفى من دفع هذا الرسم المقاهى الصغيرة، ويستطيع كل من يريد أن يبني قهوة أن يفعل ذلك بمطلق حريته، لكنه لا يستطيع مباشرة العمل فيها قبل الحصول على تفويض من المشرف على الحرفة، الذى كان يلتزم بتقديم مرتكبي المخالفات من أبناء هذه الحرفة إلى العدالة، وتوكل مهمة الإشراف هذه عادة إلى أغا الانكشارية (الكخيا<sup>(٢٣)</sup> المتولى) الذى يدفع حق هذا الالتزام إلى السلطة<sup>(٢٤)</sup>.

وربما كان أدق وصف وصل إلينا عن المقاهي القاهرية في العصر العثماني، ما كتبه المستشرق الإنجليزي إدوارد ولیم لین، في كتابه «المصريون المحدثون»، حيث يقول: «إن القاهرة بها أكثر من ألف مقهى، والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود، ويقوم على طول الواجهة، ما عدا المدخل، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر، ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثة وعرضها كذلك تقريباً، وفي داخل المقهى مقاعد خشبية على جانبيين أو ثلاثة، ويرتاد المقهى أفراد الطبقة الوسطى والتجار وتزدحم بهم عصر أومساء، وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية، ويحمل كل منهم شبكة الخاص وتبغه، ويقدم «الفهوجي» القهوة بخمسة فضة للفنجان الواحد، أو عشرة فضة للبرج الصغیر الذي يسع ثلاثة فناجين أو أربعة، ويحتفظ الفهوجي أيضاً بعدد من آلات التدخين من نرجيلة<sup>(٢٥)</sup> وشيشة<sup>(٢٦)</sup> وجوزة.

وفي كتاب وصف مصر الذي أعده علماء الحملة الفرنسية يوجد جزء مخصص للمقاهي في زمن الحملة جاء فيه: تضم مدينة القاهرة قرابة ١٢٠٠ مقهى بخلاف مقاهي مصر القديمة وبولاق، حيث تضم مصر القديمة ٥٠ مقهى، أما بولاق فيبلغ تعداد مقاهيها المائة. وليست لهذه المباني أية علاقة بالمباني التي تحمل نفس الاسم في فرنسا إلا من حيث استهلاك البن على الرغم من أن هذا المشروب يعد ويشرب بطريقة مختلفة، فليس في هذه المباني أثاثات على الإطلاق وليس ثمة مرايا أو ديكورات داخلية أو خارجية، فقط ثمة منصات «دكك» خشبية تشكل نوعاً من المقاعد الدائرية بطول جدران المبنى، وكذلك بعض الحصر من سعف النخيل، أو أبسطه خشنة الذوق في المقاهي الأكثر فخامة بالإضافة إلى بنك خشبي عادي بالغ البساطة.

ويبدو من وصف المقاهي هنا أنها تشبه إلى حد كبير بعض المقاهي الصغيرة التي لا تزال قائمة في قرى الصعيد الجنوبي، فلم يكن نظام الجلوس إلى مناخذ وفوق كراسي متبعاً، ويبدو أن هذا النظام لم ينتشر إلا بعد إنشاء البارات المخصصة لتقديم الخمر، ولكن لم ينتقل نظام الجلوس من المصطبة إلى استخدام المقاعد والمناخذ مباشرة، إنما مر بفترة كانت تستخدم فيها الدكك الخشبية العريضة، ولا يزال مقهى الفيشاوي الموجود بحي الحسين وبعض مقاهي القاهرة الفاطمية تحتفظ بدكك خشبية عريضة تتسع الواحدة منها لجلوس خمسة أو ستة أشخاص متجاورين، ولا تزال إحدى

الدكك الخشبية في مقهى الفيشاوي تحمل تاريخ صناعتها في سنة ١٩١٠ في بداية القرن العشرين، ويكاد المقهى القاهري يشبه في ذلك الحين، المقهى البغدادي الآن، الذي يستخدم للجلوس فيها الدكك الخشبية، غير أن الأدوات التي كانت مستخدمة في مقاهي القاهرة عند بداية القرن التاسع عشر، لم تتغير كثيراً حتى الآن<sup>(٢٧)</sup>.

إضافة إلى هذا فقد كانت المقاهي أماكن مخصصة لرواية قصص السير الشعبية والملاحم، وكان أصحاب المقاهي يستقدمون رواة القصص، وبعضهم يعرف باسم «الهلالية» لتخصصهم في سيرة أبي زيد الهلالي، والبعض الآخر يعرف باسم «الظاهرية» نسبة إلى الظاهر بيبرس. وكانت هناك قصص أخرى تروى بالمقاهي، مثل قصة سيف ابن ذي يزن، وألف ليلة وليلة، وسيرة عنتر العبي<sup>(٢٨)</sup>.

### مقاهي القاهرة

يمكن القول: إن العصر الذهبي لمقاهي القاهرة كان في النصف الأول من القرن العشرين، خاصة في العشرينيات، والثلاثينيات، وكانت القاهرة وقتئذ، تزخر بالعديد من المقاهي، منها مقهى نوبار، الذي توجد مكانه الآن مقهى المالية، وكان مجعاً للفنانين، وكان عبده الحامولي يقضي أمسياته فيه، ومعه بعض أصحابه، ومنهم باسيلي بك عريان الذي أفلس بعد أن أنفق نصف مليون من الجنيهات، وأحياناً كان يضيق بزبائن المقهى فيطلب من صاحبه أن يخليه من الزبائن له ولأصدقائه فقط.

وفي شارع محمد علي يوجد مقهى «التجارة» وهو من أقدم مقاهي القاهرة، ويزيد عمره الآن عن مائة وعشرين سنة، وما زال قائماً حتى اليوم، ومعظم رواده من الموسيقيين العاملين في الفرق التي يطلق عليها، فرق حسب الله، وحسب الله هذا كان أحد الموسيقيين بجوقة الخديو إسماعيل، وعندما خرج من الخدمة شكل أول فرقة للموسيقى تتقدم الجنازات والأفراح.

وفي نهاية شارع محمد علي، أمام دار الكتب، يوجد مقهى الكتيبخانه، وكان من رواده حافظ إبراهيم، والشاعر عبد المطلب، والشيخ عبد العزيز البشري، والشيخ الساخر حسن الآلاتي، وكان الآلاتي يرتاد مقهى آخر بحي السيدة زينب، يطلق

عليه اسم المضحكخانة، ويشترط لدخول مجلسه وضع رسالة في التنكيت والقفش، حتى إذا حازت عنده قبولاً ضم مقدمها إلى مجلس النادين، وقد جمع الشيخ حسن الآلاتي كثيراً من نوادر المضحكخانة في كتاب طبع في نهاية القرن الماضي، حاملاً نفس الاسم «المضحكخانة». وخلف دار الكتب كان يوجد مقهى بلدي عرف صاحبه بهوايته لمصارعة الديوك، وكان من رواده بعض الأثرياء الذين يشاهدون ما يقدمه من عروض، وفي شارع الصليبية القريب كان يوجد مقهى الأتراك، ومعظم زبائنه من الباشبوزق الذين كانوا يؤجرون أنفسهم من بيت محمد علي للحرب، وشهد شارع محمد علي أيضاً مقهى عكاشة، المنشأ في الأربعينيات، بناه أولاد عكاشة أصحاب الفرق المسرحية المشهورة، وكان المقهى مزوداً بأجهزة استماع للموسيقى، يجلس الزبون إلى المنضدة، ويضع السماعات إلى أذنيه، ويطلب سماع أي أسطوانة يرغبها، لقد أدرك الزمان هذا المقهى بخطواته الثقيلة، فأصبح مجرد مقهى عادي به آثار من العز القديم. وفي حي الحسين، مقهى الفيشاوي الشهير، الذي يتجاوز عمره الآن المائة عام، وكان يتكون من واجهة أنيقة ودهليز طويل حوله مقاصير صغيرة صفت فيها موائد رخامية، ودكك خشبية، وكانت شهيرة بالشاي الأخضر والأحمر، الذي يقدم في أكواب زجاجية صغيرة، وفي شهر رمضان يكثر رواده من الفنانين والكتاب والناس العاديين، وفي أيام الشهور العادية، كان للمقهى سحره الخاص، وداخله يجيم هدوء يمت إلى الأزمان البعيدة الجميلة، تؤطره هذه التحف العربية المتناثرة في المكان، وأمامه يجلس الحاج فهمي الفيشاوي يدخن باستمرار النرجيلة التي لا تنتهي أبداً، وعلى بعد خطوات منه حصانه العربي الأصيل، وفوقه أقفاص الحمام الذي كان مغرماً بتربيته، لقد صدر قرار بهدم المقهى بعد عام ١٩٦٧، ولم يستطع الحاج فهمي أن يواصل الحياة حتى يرى نهاية مقهاه، فمات قبل أن يرتفع أول معول للهدم بأيام قليلة، ولحقه على الفور الحمام الذي كان يربيه. كان من أشهر رواد هذا المقهى الأديب العربي نجيب محفوظ، الذي كان يخلو إلى جوه الهادئ المعبق بالتاريخ يوماً أثناء عمله بمكتبة الغوري القريبة عندما كان يعمل في وزارة الأوقاف. ومن الشخصيات التي ارتبطت بالمقهى أيضاً عم إبراهيم، كان رجلاً قصيراً، ضريراً يتاجر في الكتب، وكان سريع النكتة، في ليالي الثلاثينيات يجلس إلى عدد كبير من الرواد، ويبادلهم هذا الشكل الفكاهي من الحوار، والمعروف في مصر باسم «القافية» وكان يرد عليهم كلهم ويهزمهم، لقد عرف مقهى الفيشاوي العديد من

الشخصيات، بعضها باق في ذاكرة التاريخ، والكثير منها رحل إلى دروب الصمت. على مقربة من الفيشاوي كان هناك مقهى قديم وغريب، يقع تحت الأرض، واسمه مقهى سي عبده، وكان دائري الشكل، يضم عدة مقصورات، تتوسطها نافورة مياه، وقد وصف نجيب محفوظ هذا المقهى في روايته العظيمة الثلاثية، حيث كان يلتقي كمال عبد الجواد بصديقه فؤاد الحمزاوي، لقد اندثر هذا المقهى تماماً، ومكانه الآن بعض المباني الحديثة. ومن المقاهي الشهيرة في القاهرة القديمة والباقية حتى الآن، مقهى عرابي الذي يقع بميدان الجيش، عند نهاية الحسينية، وعرابي صاحبه كان أحد الفتوات المشهورين في أوائل هذا القرن، وقد بلغ من سطوته أن مأمور قسم الظاهر لجأ إليه يوماً يطلب حمايته؛ لأن أحد الأجانب هدده، وكان الأجانب يحاكمون أمام محكمة خاصة في ذلك الوقت، ومن رواد مقهى عرابي نجيب محفوظ، حيث كان يلتقي بأصدقائه القدامى، وزملاء طفولته، وفي هذه الجلسة التي كانت تتم كل يوم خميس تلعلع ضحكات الأديب الكبير، ويبدو مرحاً، سريع النكتة، ولا يطرق هذه الجلسة من الشبان إلا عدد محدود جداً عرف طريق المقهى الذي يستعيد فيه أديبنا الكبير ذكرياته وقصص شبابه مع رفاق الزمن القديم، غير أنه انقطع عن الانتظام في حضور هذه الندوة الأسبوعية في سنواته الأخيرة، والسبب أزمة المواصلات في القاهرة التي كانت تعوق أديبنا الكبير عن الوصول من بيته في العجوزة إلى ميدان الجيش. وفي مواجهة مسرح رمسيس «مسرح الريحاني حالياً» كانت تقع قهوة الفن، وفيها البؤساء من الفنانين، والكومبارس، والنساء الضاحكات، كانت هناك ماري منصور، وزينب صدقي، ودولت أبيض، وأمينة رزق، وعزيز عيد، وفاطمة رشدي، وأحمد علام نقيب الممثلين.

وحتى أربعينيات القرن العشرين كان يوجد عدد كبير من المقاهي في روض الفرج، تتميز بأن جدرانها من الخشب، محاذية للنيل، وفي كل منها يتجمع عدد من فناني شارع محمد علي، يعرضون فيها الغناء المونولوج، ومنهم حسين المليجي، ونعمات المليجي، وهلوبه، وزينب فلفل، وغيرهم.

وبالقرب من مقهى ريش الشهير بميدان طلعت حرب بوسط القاهرة الذي يؤمه مشاهير الثقافة المصرية، يوجد مقهى آخر يلتقي فيه عدد كبير من المثقفين والأدباء

والصحفيين ولكن بشكل غير منتظم، وهو مقهى الندوة الثقافية»، وهو مشهور بالترجيعة، ويوليها اهتماماً خاصاً، في الوقت نفسه الذي لا تعنى فيه المقاهي الأخرى بهذا النوع من التدخين<sup>(٢٩)</sup>.

وفي حى سيدنا الحسين، يوجد واحد من أشهر المقاهي المرتبطة بشهر رمضان، وهي قهوة «الدرأويش» أو «المجازيب» سابقاً، الذي يمتد عمرها إلى أكثر من ٦٠ عاماً، وتشتهر بتقديم الإنشاد الدينى طول ليلالى الشهر.

بدأ النشاط الفنى بقهوة الدراويش على يد الرئيس سيد عزب «السفرتى» الذي كان يعزف على آلة «الكولة» واتفق مع صاحب القهوة على أن يأتي بفرقة للعزف والإنشاد بها كوسيلة لتنشيطها، وتم الاتفاق على حضور الفرقة التي أصبحت فيما بعد مرتبطة بالقهوة ارتباطاً وثيقاً، وقد استمرت الفرقة في عهد عزب «السفرتى الصغير» ابن الرئيس سيد وكذلك «حسين العزب» عازف الإيقاع اللذين استكملا مشوار والدهما في الفرقة والقهوة. وكانت الفرقة قد كبرت بمرور الوقت وسميت «فرقة نجوم الحسين» ومقرها قهوة الدراويش بل أصبحت مدرسة للعازفين في أي مجال وكذلك مورداً لهم لمن يبحث عن عازف لأية آلة وبالفعل منها من خرج ليعمل في فرق الأوبرا أو مع المنشد الشهير ياسين التهامي أو مع فرق خاصة لراقصات مثل فيفي عبده ولوسي، والأهم من ذلك أن منهم أيضاً من تم الاستعانة به للعمل خارج مصر وعلى رأسهم حسين سيد عزب، حيث يتردد على قهوة الدراويش عديد من الأجانب المهتمين بالموسيقى والرقص الشرقي، وكان من بينهم إحدى المرات راقصة وممثلة مسرحية فرنسية تدعى «جوليت» ومعها مخرج مسرحي فرنسي يفضل إضافة إيقاعات شرقية لمسرحياته، فطلبوا من حسين العزب العمل معهم وبالفعل تم ذلك وهو الآن دائم العمل في فرنسا كعازف إيقاع مصري كما بدأ يتعاون مع معهد العالم العربي.. بباريس في حفلات فنية كثيرة. أما القائد الحالى للفرقة فهو الرئيس سيد إمام الذى بدأت علاقته بقهوة الدراويش منذ صباه؛ حيث بدأ العمل مع الفرقة كصبي ثم كعازف كولة أيضاً وتولي الرئيس «عزب» تربيته وتدريبه على العزف والإنشاد حتى حل محله الآن<sup>(٣٠)</sup>.

كما اشتهر باب البحر بالعديد من المقاهي التى كانت تضم الباعة والتجار الذين ارتبطت أعمالهم بالحى على مدار تاريخه.

## مقاهي الإسكندرية

من المقاهي الشهيرة بمدينة الإسكندرية مقهى "بترو" الذي كان يلتقى فيه الأدبيان نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم مريديهما خلال فترة الصيف التي كانا يجرحان على قضائها بالإسكندرية، وكذلك مقهى فندق الشانزلزيه.

وهناك مقهى "النيل"، الذي اشتهر بارتياح شعراء الثغر له، أمثال عبد العليم القباني ومحمود العتريس وصالح المصري وكامل حسني ومحمود الكمشوشي وصبري أبو علم، وانضم إليهم بعد ذلك أمل دنقل وقت أن كان مقيماً في الإسكندرية.

كما تعد مقاهي الإسكندرية التي أنشأتها الجالية اليونانية في المدينة، واحدة من الأماكن المفضلة للأجانب المقيمين بالمدينة وكذلك مشاهير المجتمع ورموز السياسة والفن والأدب، ومن أشهرها وأعرقتها مطعم ومقهى «أتينيوس»، الكائن في منطقة محطة الرمل في الإسكندرية، الشهير بنقوشه وتماثيله اليونانية، التي تزدان بها جدرانه وأركانها، وكان يرم التونسي من رواده.

ويضم أتينيوس صوراً وثائقية نادرة لتاريخ الإسكندرية، ومنها: صور الميادين الرئيسية للمحافظة قديماً (صورة ميدان محمد على باشا: «ميدان المنشية حالياً- صور تؤرخ لدخول الاحتلال الإنجليزي إلى مصر، وآثار قصف قوات الاحتلال المدينة وهدم المنازل والشوارع، فضلاً عن لوحة كبيرة لأسرة محمد على باشا). كما يشتمل المقهى على صور لزعماء الأمة ومناضليها ومحافظيها، بدءاً من خورشيد باشا (١٨٤٠-١٨٦٣)، ومروراً بحسين باشا (١٨٦٣-١٨٧٠)<sup>(٣١)</sup>.

وكانت أسرة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، تأتي إلى هذا المقهى لتحتفل بالمناسبات الاجتماعية الخاصة بها، وفي أربعينيات القرن الماضي، عندما كانت تنتقل الوزارات في فصل الصيف إلى الإسكندرية، اعتاد رجال السياسة والوزراء والباشوات، مثل فؤاد سراج الدين - رئيس حكومة الوفد، على الاجتماع في المقهى، ودار في داخله العديد من السجلات والمناقشات السياسية، فضلاً عن أنه بقي المكان المفضل للمثقفين والكتاب الأجانب، مثل الشاعر اليوناني السكندري الشهير، كفافيس، الذي كتب خلال جلساته فيه، الكثير من الأشعار عن تاريخ المدينة<sup>(٣٢)</sup>.

كما يعتبر مطعم ومقهى ديليس في الإسكندرية، أحد أهم المطاعم اليونانية، التي ارتبط اسمها بتاريخ المدينة ذات الطابع المقدوني، فهو من أكبر مقاهي الإسكندرية اليونانية ذات الشهرة العالمية، إذ إنه يطل على ثلاثة شوارع رئيسية واقعة في منطقة محطة الرمل، وتزين وجهته الخارجية، «التورتات» متعددة الأدوار، ونماذج أشكال الحلويات اليونانية ذات المذاق الخاص.

وتعني كلمة ديليس بالفرنسية، البهجة أو السعادة، وكان قد أسسه، الخواجة كلوفلوكس موستاكاس، في بداية العشرينيات من القرن الماضي، وافتتح رسمياً، في عام ١٩٢٢. وتديره حالياً، سيدة يونانية اسمها ألقي أنطونيو، ذلك بعد أن ورثته من جد زوجها، موستاكاس<sup>(٣٣)</sup>.

ومن أهم المناسبات التاريخية التي ارتبط بها اسم حلواني ديليس، انفراده بصنع تورتة حفل زفاف الملك فاروق على الملكة فريدة، وحفلة تنويجه ملكاً، إذ صنعت تورتة تنويجه ملكاً، مؤلفة من دور واحد ومزينة بتاج من الشكولاتة. وأما نظيرتها الخاصة بحفلة الزفاف، فتكونت من خمسة أدوار، ووضع فوقها أيضاً، تاج من الشكولاتة.

وصنعها شيف يوناني، اسمه أسيرو ومساعدته فرنجلي. وأخرجت التورتة في عربة كبيرة، متجهة إلى قصر المتزوه. واكتسب حلواني «ديليس» على إثرها، شهرة عالمية وواسعة النطاق<sup>(٣٤)</sup>.

أما مقهى «إيليت»، المطل على شارع صفية زغلول - أحد الشوارع الرئيسية في مدينة الإسكندرية، فهو يشبه كوخاً خشبياً، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١٩٥٣، على أيدي مدام كريستينا كوستانتينو، وهي من أشهر اليونانيات في مدينة الإسكندرية، في تلك المرحلة. وكانت إحدى محبوبات الشاعر اليوناني السكندري كفافيس.

وكانت صاحبه تريد بناء مقهى على غرار المقاهي العالمية في العاصمة الفرنسية باريس، وأن يكون مزاراً للمتقنين الأجانب والمصريين، على حد سواء، وقد تحققت رغبتها بالفعل، حيث يعد مقهى إيليت متحفاً ثقافياً وفنياً، وتزين جدرانه لوحات للفنان العالمي بيكاسو وماتيس وسيف وانلي ولوحة للفنان اليوناني فافياديس والفرنسي براك وبورتريهات للشاعر اليوناني كفافيس، وجميعها لوحات نادرة، وكان



قد زاره العديد من الكتّاب والفنانين، واكتسب من خلال ذلك، سمعة عطرة بين أبناء الإسكندرية.

وكان من أهم الزائرين لمقهى «إيليت» السيدة أم كلثوم، إذ حضرت من القاهرة إلى المقهى خصيصاً في أواخر الخمسينيات من القرن الـ ٢٠، حيث كانت تشتري الملابس من محل قريب، وأشاروا عليها بأن تأتي إلى إيليت؛ حيث إنه يقدم نوعاً مميزاً من الأيس كريم، وكانت ترتدي غطاء رأس ونظارة سوداء، حينها.

واعتادت الملكة فريدة والملكة نريمان، الحضور إلى إيليت، كل يوم أربعاء، إذ كانت تعرض في سينما مترو المجاور للمقهى، أفلام ثقافية ذات مستوى راقٍ، وكانت الملكة فريدة تأتي لتناول الكابتشينو، ذات المذاق الخاص<sup>(٣٥)</sup>.

### مقاهى بورسعيد

تعتبر مقهى البوسفور بمدينة بورسعيد، من أقدم المقاهى العربية، وكانت في أوائل القرن العشرين مبنية بالأخشاب، وتقع عند ناصيتى شارعى محمد على وأوجينيى. وقد شهد هذا المقهى أياماً تاريخية مهمة في حياة بورسعيد، وكان من روادها الرعيل الأول من جيل أدباء وشعراء بورسعيد، وقيام ثورة ١٩١٩ تجمع فيها خطباء الثورة في بورسعيد أمثال الشيخ محمود حلبة والشيخ محمد عبد العظيم حجاب والشيخ محمد شاهين ومحمد محمود غسل والشيخ إبراهيم القاضى وعلى الألفى وغيرهم. وتوازت هذا المقهى جيل الأبناء من الآباء. وفي الثلاثينيات اشتهرت مقهى البوسفور بوجود الجرامافون ذى البوق، وكان صاحبها في ذلك الوقت إسعيل الزغبى؛ من عشاق الفنان محمد عبد الوهاب، وكان يدير هذا الجرامافون بروائع عبد الوهاب، وكانت تذاع مراراً وتكراراً للدرجة أن محمد عبد الوهاب لما زار بورسعيد في الثلاثينيات أصر على زيارة مقهى البوسفور وكان له فيها صورة كبيرة<sup>(٣٦)</sup>.

وترتبط المقاهى في بورسعيد بأسماء روادها مثل مقهى «البحرية» عند باب عشرين الجمركي، ومقهى «المجابهة الضعيفة»، في شارع «محمد على»، أو بأسماء أصحابها، مثل مقهى «قوطة» في شارع الحميدي، ومقهى «عبد الله» في شارع «سعد زغلول»، ومقهى

«أبو طرية» في ميدان المنشية، و«غرزة» في سوق البالة، وقهوة «الضيظوي» لاعب الكرة الشهير، وقهوة «السلكاوي». وهناك مقاه بأسماء البلدان مثل: مقهى «رأس البر» في أول شارع الثلاثيني، ومقهى بني سويف.

وعلى ناصية شارع «صفية زغلول»، و«الشهيد محمود مختار سعيد» بحي الإفرنج تقع قهوة «سمارة» المستلهم اسمها من فيلم «سمارة»، حيث كان يجمع صاحبها ببطل الفيلم الفنان محسن سرحان علاقة قديمة، ويرتبط هذا المقهى بنائب الشعب البور سعیدی «البدري فرغلي»، حيث يعتبر مكان تواجده المفضل<sup>(٣٧)</sup>.

وتمتاز العديد من مقاهى بورسعيد بالتفاف الصحبجية حول أنغام آلة السمسسية فيما يعرف بفن الضمة، الذى عبر البورسعيدى من خلاله عن رؤاه وتصوراتهِ وتفاعله مع شئون الحياة والعالم من حوله، وهو فن ارتبط بظروف حفر قناة السويس، وجدير بالذكر أن الفنان البورسعيدى «زكريا إبراهيم» مؤسس فرقة الطنبورة البورسعيدية - ١٩٨٩ - يقدم حفلا مساء كل أربعاء بأحد المقاهى الموجودة بمدينة بور فؤاد.



ولا يختلف كثيرا حال مقاهى عموم المدن المصرية عن مقاهى مدنها الكبرى، من حيث إقبال الناس عليها وتفضيلها كأماكن للالتقاء، وإن كانت لا تنتشر بنفس كثافتها ولا تأخذ نمط التخصص إلا نادرا، نظرا لاختلاف النمط الاقتصادى والعلائق الاجتماعية التى تميل إلى العائلية والقراية والمحافظة بنحو أكبر، مع ذلك لا تخلو مدينة مصرية من مقهى شهير يشهد إقبال الناس عليه وتواعدهم فيه أو قضاء أوقات فراغهم بين أجوائه، وإن كانت الأندية الاجتماعية والرياضية فى السنوات الأخيرة بدأت تسحب البساط من تحت أقدام المقاهى، وبدأ الناس يفضلون ارتيادها، خصوصا مع تغير أنماط المجتمع وسلوكياته.

أما فى القرى المصرية فقد تغير نمط المقهى المعارى وتخلى عن شكله التقليدى البسيط، الذى كان يعتمد على مكونات البيئة الريفية كبنائه من أعواد البوص والحناء وجذوع جريد النخل، وراح يحاكي عمارة مقاهى المدن. كما يلاحظ فى السنوات الأخيرة اتجاه معظم مقاهى مصر إلى إدخال شاشات العرض التلفزيونية الكبيرة، لنقل مباريات

كرة القدم والأفلام والبرامج السياسية الشهيرة، كوسيلة لاجتذاب الزبائن، وهو ذات المنحى الذى كانت بعض المقاهى قد انتهجته فى ثمانينيات القرن العشرين، مع انتشار ظاهرة أفلام الفيديو، التى دأبت على عرضها كوسيلة للترفيه. إضافة إلى انتشار ظاهرة مقاهى الإنترنت، التى تخصصت فى وجود أجهزة كمبيوتر متصلة بالشبكة الدولية للمعلومات توفرها للمتددين الذين باتوا مرتبطين بالشبكة العنكبوتية بصورة كبيرة، سواء لقضاء مصالحهم أو لارتياح مواقع التواصل الاجتماعى.



## الاحتفال بشهر رمضان

### في الثقافة الجماهيرية

مساحة شديدة الخصوصية حازها شهر رمضان الكريم من اهتمام المشتغلين بالثقافة الجماهيرية منذ إنشاء هذا الجهاز في ١١ نوفمبر ١٩٦٦، إذ عملت ليالي رمضان بالعديد من الفعاليات الثقافية، التي سعت لتقديم المكون الثقافي المصري لعموم الجماهير وفي أماكنه الأكثر حيوية وكثافة وشعبية، في سبيل الوصول بالرسالة الثقافية إلى أكبر قطاع من مستحقيها الحقيقيين.

في البداية لم تجد الثقافة شخصًا يضطلع بهذه المهمة فكرًا وتنظيمًا وتنفيذًا أفضل من الرائد العظيم «زكريا الحجاوي» (١٩١٤-١٩٧٥م).. القاص وكاتب الأغاني والمخرج والمؤلف الإذاعي ومكتشف النجوم ومقدمها، وقبل هذا كله الباحث في شئون الفن الشعبي المصري، وصاحب المهابة الفذة في اكتشاف المطربين الشعبيين والمداحين وحفظة السير ورواياتها، التي التمعت بنجوم العشرات منهم على يديه وبرعايته، وبجهوده المكثفة عرف الفن الشعبي طريقه إلى الإذاعة ووسائل الإعلام المختلفة، وجذب أسماع العامة واحترام الخاصة. وكان «زكريا الحجاوي» قد جاب مناحي مصر عام ١٩٥٥م منقبًا عن كنوز هذا الفن وحملته ومبدعيه خلف الجبال وفي السهول والوديان، بتكليف من الأديب «يحيى حقي» أثناء رئاسته لمصلحة الفنون، ليقوم بمسح جغرافي للفنون الشعبية المصرية، فأب ويرفقتة العشرات منهم، هؤلاء هم أعضاء فرقة الفلاحين التي ضمت مائة فنان وفنانة، شكلوا عماد أوبريت «ياليل ياعين» الذي قدمته مصلحة الفنون على مسرح دار الأوبرا عام ١٩٥٦م، الذي شارك في إعداده وكتابته كل من «علي أحمد باكثير» و«نجيب محفوظ»، إضافة إلى «الحجاوي»، وقام بإخراجه «زكي طليمات».

وقع اختيار الثقافة الجماهيرية على حي سيدنا الحسين الأكثر حضورًا في ليالي رمضان على المستويات كافة، بما تحيطه من عمارة تجسد مشاهد التاريخ، وتتعلق الأرواح حولها، وترفرف من مثذنة إلى بيت ومن سبيل إلى خانقاه ومن مدرسة إلى حمام شعبي. في هذا المكان أقامت الثقافة سرادقها أو «الشادر» كما كان يملو للناس أن يطلقوا عليه.

ففي رمضان «اختارت الإدارة مواقع التجمع الجماهيري في حي الحسين بالقاهرة، وفي كفر الدوار، ومنطقة المحلة وحلوان وفي عدداً من عواصم المحافظات، لتقدم فيها عروضاً مختلفة، واشترك في هذه العروض فرق مسرحية، وفرق للفنون الشعبية، من كفر الشيخ والشرقية والبحيرة والمنصورة وبور سعيد والمحلة والإسكندرية وبنها والغربية وبنى سويف.

وقدمت في السرادق الخاص في حي الحسين عروضاً لألمع الفنانين الشعبيين وفرق المنوعات، من الصعيد وريف الوجه البحري والإسكندرية والقاهرة فضلاً عن فرق الهواة، الذين يتدربون في قصور الثقافة المختلفة.

كما أقامت في مختلف الساحات التي تزدهم بالساهرين في ليالي رمضان أسابيع للكتاب العربي، ومعارض الفنون التشكيلية.

كذلك نظمت رحلات للفرق الأجنبية الزائرة طول الشهر، فشهدت الجماهير لأول مرة خلال السهرات الرمضانية عروضاً من قافلة ثقافية ألمانية وفرقة عرائس تشيكوسلوفاكيا، وفرقة غنائية راقصة من بولندا «فرقة مازوفيتشي»، بالإضافة إلى عروض من فرق مؤسسة المسرح: كفرقة رضا، ومسرح العرائس والمسرح الكوميدي. وقد بلغ عدد حفلات ليالي رمضان الثقافية في ١٢ موقعاً ٢٨٠ حفلة حضرها أكثر من ١٥٠ ألف متفرج، وبلغ إيرادها أكثر من ٦٧٠٠ جنيه، مع ملاحظة أن ثمن تذكرة الدخول لم يكن يتجاوز ٣٥ مليوناً إلا في حدود ٥ بالمائة من المقاعد التي ارتفع ثمنها إلى عشرة قروش.

وقد كان الانطباع العام لهذا العمل بين المثقفين، ولدى الجماهير أنه طابع جديد في سهرات رمضان وإحياء لتقليد شعبي رمضاني عريق وخطوة موفقة يجب أن تتبعها خطوات في نفس الاتجاه»<sup>(٣٨)</sup>.

لقد بدأ «زكريا الحجاوي» عروض الشادر بفرقة الفلاحين والتقت جماهير المحروسة بالفنانين الشعبيين، واستمعت إلى أصوات: محمد طه، وفاطمة سرحان، وجماليات شيحة وخضرة محمد خضر، وبدرية السيد، وشوقي القناوي، وأبو دراع، والرئيس متقال.

كان الحجاوي يقدم فقرات الشادر بنفسه ويربط بينها بروايته للسير وحكايات الأبطال الشعبيين، التي كان يحفظها ويحيد روايتها، مما أكسب الليالي طابع الاحتفالية الشعبية.

وأصبح الشادر/ السرادق تقليدًا سنويًا ينتظره سكان الحي، ويسعي إليه سكان الأحياء المجاورة ويضعه زوار المنطقة على قائمة برنامجهم، على أن شادر سيدنا الحسين لم يستأثر بنشاط الحجاوي وحده، بل امتد حضوره إلى كافة أقاليم مصر، التي تنقل بينها مع القوافل الثقافية التي كانت تسيرها الثقافة الجماهيرية إحياء لليالي هذا الشهر، فقد كانت الثقافة تضاعف من برامج هذه القوافل خلال الشهر الكريم، وخصوصًا في الأماكن النائية والمحرومة ثقافيًا، إضافة إلى عروض الفرق الزائرة للأقاليم، مثل: فرقة رضا والفرقة القومية للفنون الشعبية، جنبًا إلى جانب الفعاليات المحلية التي كانت تقيمها قصور وبيوت الثقافة في الحدائق والميادين العامة؛ ففي أواخر الستينيات أقامت ثقافة الإسكندرية - على سبيل المثال - سرادقها الرمضاني بميدان المساجد، المواجه لساحة سيدي «أبي العباس المرسى»، وظل يقام لعدة سنوات، تلالًا خلالها صوت المطربة الشعبية «بدرية السيد» وأستاذها «الشيخ أمين»، وكذلك بزوغ أسماء العديد من المطربين المصريين، الذين شقوا طريقهم فيما بعد إلى ساحة الغناء المصري، مثل «حمدي وأسامة رؤوف»، إلى جانب عروض الفنان الشعبي السكندري «حلال عليه» الذي اشتهر بأدائه المتميز لرقصتي «الكراسي» و«السكاكين»، وقد شهد ذلك السرادق عرض أول أوبريت عن نصر أكتوبر، بعنوان: الله الله يا بدوي جاب الأسرا، إذ بادر قصر ثقافة الأنفوشي في أكتوبر ١٩٧٣م وفور انتصارات العاشر من رمضان بتقديم ذلك الأوبريت والذي قام بكتابة أشعاره «إبراهيم غراب» وأخرجه المسرحي السكندري «مصطفى عبد الخالق».

من الأنشطة التي برزت أيضًا في تلك الفترة «ليالي رمضان الثقافية» بمدينة طنطا، التي كانت تقام على مسرح البلدية.

هكذا انتهجت الثقافة الجماهيرية عملها وفق منظومة سعت للتكامل على المستويين: الجغرافي والنوعي للأنشطة التي لم تقتصر على النشاط الفني أو الثقافي فحسب، بل تضمنت برامجها كذلك اللقاءات والمحاضرات الدينية التي يلقيها علماء الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف داخل قصور وبيوت الثقافة وفي المساجد الكبرى بالمدن.

استمر «زكريا الحجاوي» يقود فرقة الفلاحين وعروضها حتى عام ١٩٦٩م، وفي عام ١٩٧٠م تولى إدارة الفرقة الباحث الموسيقي «سليمان جميل» مؤلف موسيقى أفلام: «الحرام» ١٩٦٥م، و«الرجال لا يتزوجون الجميلات» ١٩٦٥م، و«العنب المر» ١٩٦٥م، و«الدخيل» ١٩٦٧م، و«حادثة شرف» ١٩٧١م، و«جفت الأمطار» ١٩٧٦م. قام «سليمان جميل» بتغيير اسم فرقة الفلاحين إلى فرقة الآلات الشعبية، التي راحت تقدم تشكيلات موسيقية جديدة امتزجت فيها الآلات الموسيقية الشعبية بالآلات الغربية، ثم خلفه في عام ١٩٧٥م الفنان «عبد الرحمن الشافعي، الذي قام كذلك بتغيير اسم الفرقة إلى «فرقة النيل للفنون الشعبية التقليدية، والتي حافظت عروضها على جوهر الموسيقى الشعبية مع تقديمه في إطار تشكيلي، كما مزج الشافعي بين الصيغة المسرحية وعروض المنوعات الشعبية، فيما يطلق عليه «مسرح المنوعات»، وفي نفس الآن لجأ إلى توظيف المأثور الشعبي في أعماله المسرحية، هذا التغيير أتى مقابل طريقة الحجاوي الذي حرص على تقديم الفن الشعبي كما يؤدي في بيئته أو «بعبله» وفق تعبيره.

على مقربة من المكان الذي كان ينصب فيه الشادر بحي الحسين، تبرع وكالة الغوري، التي اكتشف فيها المسرحيون ساحة عرض ملائمة لتقديم النصوص المسرحية المستلهمة منه أو التي توظف التراث أو التي تستخدم المظاهر والقوالب المسرحية القديمة، مثل عروض المحبظاتية وخيال الظل، وساعدتهم في الوقت نفسه على التخلص من مفهوم العلبة الإيطالية، وحققت لهم الاتصال المباشر بالجمهور وفق تيار فكري عريض سعي لإزالة الحاجز بين المبدع والمتلقي.



هكذا برقت أسماء كُتَّاب ومخرجين مسرحيين عملت في هذا الإطار واشتهرت به،  
مثل: سمير عبد الباقي ويسري الجندي ورأفت الدويري وأحمد شمس الدين الحجاجي  
وعبد الرحمن الشافعي وأحمد إسماعيل.

ومع بداية الثمانينيات انتقل السراشق من مكانه المؤلف بجوار سيدنا الحسين إلى  
حديقة الخالدين بالدراسة، والتي ترددت بين جوانحها أصوات المطربين الجماهيريين:  
شفيق جلال، وفاطمة عيد، وتغريد البشبيشي، إضافة إلى سطوع أصوات العديد من  
المطربين الذين حققوا انتشارًا واسعًا بين جماهير الحديقة، وتوهجت بأصواتهم الأغنية  
المصرية، مثل: أحمد إبراهيم، وسوزان عطية، أنغام، وأحمد الحجار، وأحمد سامي،  
وطارق فؤاد، الذين احتضنتهم الثقافة الجماهيرية وأوسعت من فرص انتشارهم.

من رحاب سيدنا الحسين في أواخر الستينيات والسبعينيات إلى حديقة الخالدين في  
الثمانينيات، ثم ميدان السيدة زينب في التسعينيات، لينتقل بعدها إلى حديقة الحوض  
المرصود بشارع قدري بنفس الحي، وذلك مع بدايات القرن الحادي والعشرين، ثم إلى  
محيى القلعة ومنها إلى حديقة الفسطاط، فالعودة مرة ثانية إلى حديقة الحوض المرصود  
المعروفة الآن بحديقة الطفل، بالسيدة زينب، مع استمرار الحرص على إقامة أنشطة  
مماثلة، ولكن بكثافة أقل في بقية البلدان المصرية، وخصوصًا عواصم المحافظات.



## ختم القرآن

يحرص المصريون على إتمام قراءة القرآن على مدار أيام وليالي شهر رمضان، وذلك بأن يقرأوا كل يوم جزءاً من أجزاءه الثلاثين، ويفضل البعض ختم تلاوته قبل اليوم الثلاثين، تحسباً لأن يكون الشهر تسعة وعشرين يوماً فقط، وقد يتلى بصورة منفردة أو جماعية، أو من خلال مشرفين دارسين لفنون التلاوة والتجويد، وهناك مصادر تاريخية تشير إلى عراقه هذا التقليد لدى المصريين، وأنه كان يحظى باهتمام خاص. ففى العصر المملوكي كان ينظم احتفال موكبي يعد خصيصاً بمناسبة ختم القرآن، حيث كان يتم إنشاد القصائد، ثم يجتمع المؤذنون ليكبروا جماعة في موضع ختم القرآن، ثم يؤتى بفرس أو بغلة ليركبها القارئ الذي تولى الختمة، حتى بيته، وأمامه القراء يقرءون والمؤذنون يكبرون والفقراء يذكرون. وقد يضيف البعض إلى ذلك ضرب الطبل والدف والأبواق<sup>(٣٩)</sup>.

ويحكى د. محمد رجب البيومي أنه عند الخاتمة كان لابد أن «توزع النفحة وهى قطع صغيرة من الحلوي، يتبرع بإحضارها أحد الذاكرين طيلة شهر رمضان لتوزع على الذاكرين تذكيراً بطعام أهل الجنة، ومنهم من يحتفظ بها كعلاج روحي للشفاء إذا نزل به داء، لأن جو الذكر والخشوع قد خلج عليها في اعتقاده ما يجعلها بعض أسباب الشفاء»<sup>(٤٠)</sup>.

## الهوامش

- (١) د. سمية حسن محمد إبراهيم: العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧، ص ٣٣ - ٣٤.
- (٢) دعاء صالح.
- (٣) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ٢٠٠٨/٩/١.
- (٤) المرجع السابق.
- (٥) نفسه.
- (٦) أحمد سليم: عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائي.
- (٧) أحمد سليم: حكايات رمضان سيناوية، الأهرام العربي، ع ٦٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.
- (٨) أحمد سليم: عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، مرجع سابق.
- (٩) محمد رجب السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوتل للنشر والخدمات الطباعة - دمشق، سورية ٢٠٠٢م.
- (١٠) الموقع الإلكتروني لمكتبة الإسكندرية، والهيئة العامة للاستعلامات.
- (١١) د. نعمات أحمد فؤاد: القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.
- (١٢) محمد رجب السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق.
- (١٣) أحمد حسين الطهاوي: صور رمضان في القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩.
- (١٤) د. أحمد السيد الصاوي: رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٤٩.
- (١٥) يقصد بتعبير المشكارات تلك الزجاجات أو القناديل التي كانت توضع فيها المصابيح، وقد استمد هذا الاسم من الآية الكريمة التي شاع وردها عليها ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْقَلِ ذَرَّةٍ فِي زُبُجَةٍ زُجَاجَةٍ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا

شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً بِكَادُ زَيْتِنَاهُمَا يَبْقَى، وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ ﴿ سورة النور الآية ٤٣٥ ﴾، وكانت هذه الآية القرآنية ترد عادة على المشكاوات حتى كلمة (يوقد). ومن نافلة القول إن نذكر أن كلمة مشكاة تعني في العربية «دخلت في جدار» يوضع فيها المصباح ولا تعني بحال من الأحوال وحدة الإضاءة كما يتضح من سياق الآية الكريمة، ولكن جرى العرف على تسمية هذه المصابيح بالمشكاوات ولرب خطأ شائع كان أفضل من صحيح مهجور. وتشبه المشكاة في شكلها العام الزهرية، فهي ذات بدن متفتح ينساب إلى أسفل وينتهي بقاعدة ولها رقبة على هيئة قمع متسع. وبداخل المشكاة كان يوضع إناء صغير به الزيت والفئيل الذي يوقد للإضاءة عند صلاة المغرب من كل يوم، ويقوم خادم المسجد بذلك العمل عن طريق إنزال المشكاوات من سلاسلها عند الفجر وإطفاء القناديل ثم يعيد تعليقها بعد الإضاءة عند المغرب، وكان بناء الجوامع من السلاطين والأمراء يوقنون الأوقاف من أراض وعقارات للإنفاق من ريعها على المساجد، وكان زيت قناديل المشكاوات من ضمن ما ينص على الالتزام بشرائه في وثائق الوقف وعادة يوضع فيها زيت الزيتون أو زيت الشيرج (السمسم). ولا تختلف المشكاوات عن غيرها من مصنوعات الزجاج الإسلامي الذي كان يصنع بنفس الطريقة القديمة التي تتمثل في صهر الرمل (أو أكسيد السليكون) بعد خلطه بنسب معينة من الحجر الجيري (كربونات الكالسيوم) بالإضافة إلى نسب من كربونات الصوديوم وأكاسيد أخرى، ويشكل الزجاج بعد ذلك بواسطة النفخ تمهيداً لعملية الزخرفة. وقد استخدمت في زخرفة المشكاوات طريقة التذهيب والطلاء بالمينا وذلك عبر مزاحل فنية متعددة، إذ كان الصناع يضعون الزخارف المذهبة على «التحفة» بواسطة الريشة وذلك عند رسم الخطوط الخارجية، وبالفرشاة في المساحات الكبيرة. وبعد أن تحرق المشكاة في الفرن المرة الأولى يحدد موضوع الرسم باللون الأحمر ثم يطل بالمينا المختلفة الألوان، وهذه المينا يختلف قوامها حسب موضوع الرسم وبالتالي درجة لمعانها. وكان طلاء المينا نصف الشفاف يتكون من ذائب الرصاص ثم يلون بالأكاسيد المعدنية: بالأخضر من أكسيد الحديد، والأصفر من حامض الأنثيمون، والأبيض، وهو معتم تماماً، من أكسيد القصدير. أما المينا الزرقاء والتي لعبت دوراً مهماً في زخرفة المشكاوات، فكانت تصنع من مسحوق اللازورد مع زجاج لا لون له. أما الموضوعات الزخرفية التي كانت تزين أبدان المشكاوات بألوان المينا المتعددة والخطوط المذهبة، فقد خلت من الرسوم الأدمية والحيوانية، واقتصرت على الزخارف الكتابية ورسوم النباتات والأزهار والأشكال الهندسية المتعددة. ولا يخرج عن هذه القاعدة سوى بضع مشكاوات صنعت لبعض سلاطين المماليك من آل قلاوون، واستخدمت في زخارفها رسوم (البط). (د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان)

(١٦) د. أحمد السيد الصاوي: رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٥٣ - ٥٥.

(١٧) المرجع السابق.

- (١٨) راجع: حسن عبد الوهاب، رمضان، مرجع سابق، ص ٣٦.
- (١٩) د. نعات أحمد فؤاد: القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١١٢-١١١.
- (٢٠) د. أحمد السيد الصاوي: رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.
- (٢١) جمال الغيطاني: ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٥٤-٥٦.
- (٢٢) المرجع السابق، ص ٥٤-٥٦.
- (٢٣) الكخيا أو الكتخندا: أمين الوالي أو وكيله.
- (٢٤) محمد الجهيني: أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: حي باب البحر، القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠، ط ١، ص ١٥٢-١٥٦.
- (٢٥) الترجيلة مشتقة من اللفظ «النارجيل» الاسم الذي يطلق على ثمر جوز الهند، يمكن القول إن ترجمته الحرفية تعني «الجوزة»، وهو الاسم الذي تعرف به الترجيلة الشعبية في مصر، لأنها كانت مكونة فعلاً من ثمرة جوز هند مفرغة، وتثقب مرتين، ثقب يوضع فوق الحجر، وثقب تنفذ من خلاله أنبوبة خشبية يتم من خلالها استنشاق الدخان الذي يمر خلال الماء الموضوع في الجوزة نفسها.
- وصف الرحالة والعالم الدانمركي كارستين نيبور «الجوزة» المصرية، التي لم تتغير ملامحها حتى أوائل هذا القرن، وعندما ارتفعت أسعار ثمار الجوز فاستبدل به كوز صفيح فارغ، أو زجاجي، وهذا أبسط الأشكال الشعبية للترجيلة، ويدخن بواسطته المعسل، وهو الدخان المزوج بالمعسل، ويعرف في المقاهي المصرية باسم «البوري» أو «المصري».
- يقول كارستين نيبور: إن العامة يدخنون الجوزة للتدفئة أيضاً، ولكن الترجيلة الأنيقة التي تستبدل فيها الجوزة ببرطمان زجاجي فإن كارستين نيبور يطلق عليها «الترجيلة الفارسية»، ويقول: إن أثرياء فارس يتخذون هذه الترجيلة وكثيراً ما تكون مصنوعة من الفضة أو النحاس، وتوجد في خان الخليلي الآن نرجيلات من النحاس المنقوش، يمكن أن يدخن منها عدة أشخاص في وقت واحد، عن طريق عدة ليات تخرج منها.
- ومثل هذه النرجيلات تستخدم في بعض بلدان الجزيرة العربية خاصة اليمن والسعودية، ويقول نيبور: إن شيراز كانت مشهورة بصناعة النرجيلات الزجاجية الأنيقة، وأحياناً كانت توضع فيها زهور مختلفة الألوان مثبتة من الداخل، والنرجيلات الفارسية كانت منتشرة في الهند أيضاً حتى القرن الماضي، غير أن إدوارد لين يقدم إلينا وصفاً أدق للترجيلة في مصر (جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٢١).

(٢٦) الشيشة كلمة فارسية تعني زجاج، وهو الاسم الذي تعرف به الترجيلة الآن في مصر، وهذا الاسم نتيجة للوعاء الزجاجي الذي يملأ بالماء إلى قدر معين ليمر الدخان من خلاله، ويقول إدوارد لين: إن التدخين يتم من خلال أنبوبة طويلة لينة «تسمى لي».

ويغسل التبناك عدة مرات بالماء، ثم يقطع ويوضع في حجر الشبك وهو رطب، ويوضع عليه جمرتان أو ثلاث، ويقول لين: إن للتبناك عطراً لطيفاً مقبولاً، لكن شدة استنشاق الدخان في هذا النوع من التدخين يضر الرئة الضعيفة. إن الوصف الذي كتبه إدوارد لين منذ قرابة مائة وخمسين عاماً لم يتغير كثيراً حتى الآن، ولكن الذي تغير هو شكل الترجيلة، ونوعية الدخان، حتى الخمسينيات كان هناك أنواع متعددة من التبناك، عجمي، ولاذقاني (نسبة إلى اللاذقية) وأزميلي، وهندي، ويمني، وعدني، ولكن الآن تنقسم الشيشة في مصر إلى نوعين رئيسيين، عجمي وهو نوع خاص من الدخان مصدره إيران أو تركيا، ويوضع بكمية أكبر فوق الحجر ويلف بورقة تبناك صحيحة لم تقطع بعد أن تبل بالماء. وتشبه الشيشة العجمي مثيلاتها في دمشق وبغداد وإستانبول، لكن نوعية التبناك الذي يصل إلى مقاهي القاهرة أهدأ، ولهذا فإن الترجيلة العجمي يعتبر دخانها قاسياً ويحتاج إلى صدر قوي لتحمله، أما النوع الثاني فهو الشيشة «الحمي»، وكمية الدخان في الحجر هنا أقل، ونوعية الدخان أهدأ، وهذا هو النوع الأكثر انتشاراً الآن (جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٦-٧).

(٢٧) جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٦-٧.

(٢٨) المرجع السابق، ص ٩-١٥.

(٢٩) نفسه، ص ٩-١٥.

(٣٠) محمد الصاوي وحنان شافعي وصفاء عبدالرازق: أقدم وأهم طقوس رمضان في الحسين.. قهوة الدراويش والريس سيد إمام، جريدة البديل ٢٧/٠٩/٢٠٠٨

(٣١) دينا حسن: مقاهي الإسكندرية.. ثقافة اليونان ومصر في عناق عذب عريق، البيان، عن دار الإعلام العربية، ٠٦ يناير ٢٠١٣.

(٣٢) المرجع السابق.

(٣٣) نفسه.

(٣٤) نفسه.

(٣٥) نفسه.

(٣٦) وليد متصر: [www.portsaidhistory.com](http://www.portsaidhistory.com)

(٣٧) عمرو على بركات: معجزة البدرى فرغلى على قهوة «سبارة» للدعاية الانتخابية، جريدة القاهرة

٢٣-١٠-٢٠١٢

(٣٨) راجع: أهداف العمل الثقافى، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨م.

(٣٩) عبد الحميد حواس: وداعاً رمضان... أهلاً بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد

٩، ٢٣٩، نوفمبر ٢٠٠٤.

(٤٠) محمد رجب البيومى، حلقات الذكر فى شهر رمضان، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٣م.



## قرّاء ومنشدون في رمضان

- الشيخ محمد رفعت
- الشيخ سيد النقشبندی



## قرآء ومنشدون في رمضان

يحرص الصائمون في شهر رمضان على تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه مرتلا بصوت المقرئين، الذين ارتبط بعضهم بشهر رمضان بشكل خاص، وصار أحد علاماته، على نحو ما نجد من ارتباط وجداني مميز بين الصائمين وبين صوتي الشيخ محمد رفعت والمبتهل العظيم سيد النقشبندی، خصوصًا بعد دخول عصر الإذاعة، التي كانت سببًا في شهرة الكثير منهم.

وقد دأبت البيوت المصرية المسورة على إحياء ليالي رمضان بالاستماع إلى القرآن الكريم مرتلا بأصوات مشاهير القراء، كما كانت هذه السهرات الرمضانية تحرص على استضافة منشد أو مبتهل.

وكان العديد من المسلمين يحرصون على إحياء ليالي شهر رمضان بإقامة حلقات الذكر في المساجد والزوايا، حيث كان يتحلق أهل الذكر حول مصباح كبير تغطيه ملاءة بيضاء تخفيه، بحيث لا يظهر غير ضوء شفاف أبيض، وهنا يغني منشد<sup>(١)</sup> الذكر ألوانًا من الشعر الصوفي يدور حول الحب الإلهي والخمر الروحية، ومن اشتهروا في أوائل القرن العشرين بأناشيد التصوف في حلقات الذكر، المتصوف «عبد الغني النابلسي» الذي ولد في دمشق وكثرت إقامته في القاهرة حتى غلبت على شعره الصبغة المصرية، ومن أشعاره التي كان يتغني بها المنشد في الأذكار «أنشودة الساقى»، ومطلعها: ساقى ياساقى اسقني.. من خمرة الباقي واكشف لي عن قيد إطلاقي.. آه يا ساقيوهنا يتنقل الذاكرون وهم يرددون اسم الجلالة «الله» مع تحريك البدن ذات اليمين وذات اليسار حتى يصلوا إلى مرحلة النشوة والوجد وحتى يبلغوا ذروة الوجد<sup>(٢)</sup>.

أما عن سهرات رمضان القرآنية في العصر الحديث، فيقول شيخ الصحفيين الراحل «حافظ محمود»: كان ترتيب هذه الليالي يبدأ بأن يقف المقرئ بباب البيت ليؤذن أذان

المغرب، ثم تمتد مائدة الإفطار للكل، ثم يؤدون صلاة المغرب، ثم يؤذن المقرئ بباب البيت لصلاة العشاء، ثم يؤم الزوار لصلاة العشاء والتراويح، ثم تبدأ قراءة القرآن إلى وقت السحور. وإذا كانت هذه بعض معالم سهرات رمضان في بيوت الكبراء، فقد كان أفضل ما في هذه المعالم وهو تلاوة القرآن، يتم في بيوت الله جميعاً، حيث كانت الجماهير تسهر الليل بطوله في ساحات المساجد الكبرى للاستماع إلى مشاهير المقرئين. وعن ترتيب سهرات رمضان القرآنية في بعض القرى المصرية يشير د. محمد رجب البيومي<sup>(٣)</sup>، أنها كانت تبدأ بقراءة أجزاء القرآن، حيث يأتي صندوق من بيت شيخ الفقهاء يضم ثلاثين جزءاً، هي جميع أجزاء القرآن، ثم توزع الأجزاء على الجالسين فيقرأ كل إنسان ما بيده من كتاب الله، حتى إذا فرغوا من ذلك كان كتاب الله قد قرئ جميعه، وتجتمع الأجزاء لتوضع في الصندوق كعهدنا السابق، ثم يأتي قارئ حسن الصوت، فيفتح المجلس بقراءة ما تيسر من آيات الله، وفق اختيار دقيق لآيات الترغيب والترهيب مما ينقل السامعين إلى العالم الروحي، فإذا انتهى من قراءته، ابتدأ الذكر الصامت. لقد كان المتبع أن تقام الحلقات في هذا الشهر الكريم كل ليلة، فهي من الأمسيات الدينية التي لا تقل مكانة عن دروس الوعظ في المساجد بعد العصر، وبعد المغرب، بل إن بعض هذه الدروس في المساجد الكبيرة، تخلق جواً من الانتعاش الروحي، فينهض السامعون فجأة لينتظموا في حلقة الذكر تهليلاً وتسييحاً. إضافة إلى ذلك دأبت الحكومة على إقامة سرادقات رمضانية يتردد عليها الجماهير خصيصاً للاستماع لمشاهير المقرئين، من ضيوف تلك السرادقات، فاعترافاً بجلال الشهر الكريم ومكانته في نفوس المصريين؛ استطاعت الحكومة المصرية إبان اشتغال أحداث ثورة ١٩١٩م، أن تتوصل إلى اتفاق مع سلطات الاحتلال الإنجليزي، قضى بالتيسر على المسلمين في تلك الأيام: ففي ٢٨ مايو ١٩١٩م، أعلنت الصحف أن الحكومة أبرمت اتفاقاً مع السلطة العسكرية «لإزالة القيود وزيادة التسهيلات للمسلمين في التفرغ أثناء الشهر إلى إحياء لياليه بقراءة القرآن والاستماع لآيات الذكر الحكيم، وصدر بيان جاء فيه: إن الأوامر المؤكدة قد صدرت إلى رؤساء المناطق العسكرية المختلفة، بعدم التضييق على المسلمين في استعمالهم لأنوار مساكنهم، وعدم التعرض لهم أثناء تنقلاتهم وخروجهم للتراور خارج بيوتهم»<sup>(٤)</sup>.

وفي عهد الملك فاروق كانت الحكومة تصدر توصيتها لأصحاب المحلات والبيوت المجهزة بأجهزة الراديو بإذاعة القرآن الكريم، وكان الملك يبدأ بنفسه أولاً فكانت

القصور الملكية تستخدم مكبرات الصوت لإذاعة القرآن الكريم طوال أيام شهر رمضان - ليس هذا فحسب - فقد كانت محافظة القاهرة في عهد الملك فاروق تقيم سرادقات في الميادين والمنتزهات العامة لتلاوة القرآن الكريم والتواشيح والعضات الدينية طوال الليل بعد صلاة القيام ومن أمثلة ذلك ميدان قصر عابدين ومنتزه ميدان صلاح الدين ومنتزه فم الخليج، ومن الغريب أن الملك كان يتابع مدى التزام الشعب بتعليماته، وكان يطلب من محافظ القاهرة وحكمدار العاصمة أن يوافياه بكشوف أسماء الذين قاموا بتحقيق الرغبة الملكية السامية في إعداد منازلهم لتلاوة القرآن وفي التوسعة على الفقراء<sup>(٤)</sup>.

وفي مدينة القاهرة وحتى أوائل السبعينيات من القرن العشرين، كانت الحكومة المصرية تقيم سرادقًا كبيرًا بساحة قصر عابدين، يتعاقب عليه مشاهير القراء المصريين كل ليلة، لتلاوة القرآن، وكان الناس يفتدون إليهم من كافة أنحاء البلاد، وفي بعض الليالي كان بعض وزراء مصر يحضرون إلى هذا السرادق ليشاركوا الناس الاستماع إلى القرآن الكريم، وعند عودتهم وانصرفهم كانوا ينثرون النقود المعدنية في الشوارع المؤدية إلى السرادق، من فنتي خمسة وعشرة مليات، فيتهج الأطفال ويعم السرور.

ومن بين المقرئين والمنشدین الذين شاركوا في إحياء ليالي رمضان، يبرز صوتا القارئ الشيخ محمد رفعت والمبتهل سيد النقشبندی اللذين يمثلان علامة فارقة، في أجواء هذا الشهر، بحيث صار صوتاهما أحد الملامح الأساسية في شهر رمضان، ويشكلان معًا ما يمكن أن يطلق عليه «جناح الصائم» اللذين يخلق بهما في فضاءات الكون، دون أن يمس هذا من مكانة المقرئين الأجلاء الآخرين، الذين خدموا هذا المجال بما جباهم به الله من أصوات فريدة.



## الشيخ / محمد رفعت

(١٨٨٢-١٩٥٠م)

قيارة الساء

يعد الشيخ «محمد رفعت» واحداً من أبرز ملامح شهر رمضان الكريم في القرن العشرين، فقد ارتبطت بصوته أسماع وأفئدة الملايين في العالم، كان صوته الأسر ينطلق من الإذاعة وهو يتلو آيات الذكر الحكيم، فيأتي وكأنه يتوج صيام اليوم، ويصل به إلى أقصى ربي الخشوع والسكينة والألفة والتواصل مع الكون والسباحة في أغواره. وُلد محمد رفعت، واسمه مركب، في حي «المغربلين» بالدرب الأحمر بالقاهرة يوم الإثنين (٩-٥-١٨٨٢)، وتشير معظم المصادر التي تناولت حياة الشيخ رفعت أن والده كان ضابطاً في البوليس، وترقى من درجة جندي - آنذاك - حتى وصل إلى رتبة ضابط، لكن حفيدته السيدة «هناء حسين محمد رفعت» صححت هذه المعلومة وذكرت أن والده كان يعمل تاجرًا.

ولد «محمد رفعت» مبصرًا، إلا أنه أصيب بمرض كُفَّ فيه بصره، وهناك قصة لذلك، فقد قابلته امرأة، وقالت عن الطفل: إنه ابن ملوك - عيناه تقولان ذلك، وفي اليوم التالي استيقظ الابن وهو يصرخ من شدة الألم في عينيه، ولم يلبث أن فقد بصره. وذهب به والده إلى طبيب أجري له جراحة فقد على إثرها البصر، وهو في الخامسة من عمره وهنا اتجه به والده إلى نور كتاب الله، وألحقه بكتاب مسجد فاضل باشا ب «درب الجمايز»، فأتهم حفظ القرآن وتجويده قبل العاشرة، لدرجة أنه راجع والده حين كان يقرأ إحدى الآيات، وكان والده يمشى ويرتل والطفل على كتفه، وهنا أنزل محمود

رفعت ابنه محمداً ولطمه على وجهه، وعاد الأب إلى منزله غاضباً ليفتح المصحف ويجد ابنه على حق في الآية التي صححها له<sup>(٦)</sup>.

أدركت الوفاة والده، فوجد رفعت نفسه عائلاً لأسرته، ولجأ إلى القرآن الكريم يعتصم به، ولا يرتزق منه، وأصبح يرتل القرآن الكريم في المآتم ليوفر لقمة العيش لأمه وأخويه وخالته التي كانت تعيش معهم، حتى عُين في سن الخامسة عشرة قارئاً للسورة بمسجد فاضل باشا، فذاع بصيته، وكانت ساحة المسجد والطرق تضيق بالمصلين ليستمعوا إلى الصوت الملائكي، وكانت تحدث حالات من الوجد والإغماء من شدة التأثر بصوته الفريد، وظلَّ يقرأ القرآن ويرتله في هذا المسجد قرابة الثلاثين عاماً؛ وفاءً منه للمسجد الذي بدأ فيه. لم يكتفِ الشيخ محمد رفعت بموهبته الصوتية الفذة، ومشاعره المرهفة في قراءة القرآن، بل عمق هذا بدراسة علم القراءات وبعض التفاسير، واهتم بشراء الكتب، ودراسة الموسيقى الرفيعة والمقامات الموسيقية، فدرس موسيقي «بتهوفن»، و«موتسارت»، و«فاجنر»، وكان يحتفظ بالعديد من الأوبريتات والسيمفونيات العالمية في مكتبته، وتعلم العزف على آلة العود.

وكانت الإذاعة الأهلية قد عرضت عليه أن يسجل الأغاني المأخوذة من الشعر القديم المحترم، ووافق محمد رفعت شريطة عدم ذكر اسمه، فغنى «أراك عصي الدمع» و«حقك أنت المنى والطلب» و«سلوا قلبي»، لكنه اشترط عدم إذاعة اسمه أو الإفصاح عنه، وبعد إذاعة إحدى الأغنيات التي سجلها تعرف عبد الوهاب على صوته. وقد عمل الشيخ رفعت قبل ذلك لجمال صوته منشداً للمدائح النبوية، كما أنه كان صديقاً لمحمد عبد الوهاب وزكريا أحمد وصالح عبد الحفي ونجيب الريحاني وبيديع خيرى لدرجة أن عبد الوهاب قال إنه عندما كان طفلاً واستمع إلى صوت الشيخ رفعت يرتل القرآن بعد صلاة الفجر كانت البلابل والعصافير وعناقيد الكروانات تسبح كجوقة في خلفية صوته.

ومع قرب افتتاح «الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية» (٣١ مايو عام ١٩٣٤) عرض عليه سعيد لطفى باشا، مستشار الإذاعة، أن يفتح الإذاعة بصوته، وهنا ثار الشيخ رفعت وغضب وقال: إن كلام الله وقار نزل من السماء لا يليق بمقامه أن تذاع إلى جانبه الأغاني الخليعة التي تقدمها الإذاعة.



ومع إلحاح الإذاعة عليه، لجأ الشيخ رفعت إلى الشيخ السمالوطي، أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، ليقول له إنه بعد الإذاعة الأهلية أنشأوا إذاعة يريدونني أن أقرأ القرآن فيها، وقد قلت لهم: إن القرآن لم يخلق ليرتل أمام الميكروفونات الصماء، فقال له السمالوطي: إن قراءة القرآن حلال في الإذاعة، وأخذ الشيخ رفعت يلح في سؤاله ويؤكد له السمالوطي أكثر من مرة أنها حلال، وعليه أن يذهب إلى الإذاعة ويقرأ القرآن، فأعاد رفعت الكرة قائلاً: إنه سيقرأ القرآن والناس سيستمعون إليه في المقاهي والحانات وصلات القمار، فقال له السمالوطي أنت ستتلو القرآن في مكان طاهر. أليس كذلك؟ فقال له: نعم. فقال له: لا تخش شيئاً، لكن الشيخ رفعت امتلك ضميراً لا تأخذه سنة واحدة، فذهب إلى شيخ الأزهر نفسه - الشيخ الظواهري - فقال له: «أعرف ما جئت تسأل عنه يا شيخ رفعت، وتعال معي وأمسك الشيخ الظواهري بيد الشيخ رفعت وجعله يتحسس جهازاً في ركن بالبيت إنه الراديو أجل يا شيخ رفعت لقد جئت به لأستمع لك»<sup>(٧)</sup>.

وعندما أفتحت الإذاعة المصرية الخميس (٣١-٥-١٩٣٤) كان الشيخ أول من افتتحها بصوته العذب، وقرأ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا».

وقد جاء صوت الشيخ رفعت من الإذاعة المصرية ندياً خاشعاً، وكأنه يروي آذاناً وقلوباً عطشى إلى سماع آيات القرآن، وكأنها تُقرأ لأول مرة، فلمع اسم الشيخ، وعشقت الملايين صوته، بل أسلم البعض عندما سمع هذا الصوت الجميل. ففي ذات يوم التقى «علي خليل» شيخ الإذاعيين، وكان بصحبته ضابط طيار إنجليزي - بالشيخ رفعت، فأخبره «علي خليل» أن هذا الضابط سمع صوته في «كندا»، فجاء إلى القاهرة ليرى الشيخ رفعت، ثم أسلم هذا الضابط بعد ذلك. لكن الشيخ رفعت لم يكن مستريحاً لتلاوة القرآن في الإذاعة، حيث كانت تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزي، لدرجة أنه تم منع الرجل من أن يشرب قهوته داخل الاستديو، رغم أنه يظل ساعة كاملة على الهواء يقرأ. كما أن هناك أحد الإنجليز حاول منعه من الصلاة داخل الاستوديو قائلاً له: «الإذاعة ليست جامعاً لتصلي فيه».

والغريب أن الشيخ رفعت ظل يقرأ للإذاعة دون أن تسجل له، لذا حين مرض الشيخ لم تجد الإذاعة شيئاً تقدمه له، إلا أنه كان هناك أحد الباشوات ويدعى زكريا مهران، كان

كلما استمع لصوت الشيخ رفعت قام بتسجيله دون أن يعرف الشيخ رفعت، حيث لم تكن هناك أية علاقة بينهما، ذلك لأن محمد رفعت كان يرفض التسجيل، لذا تعب أولاده محمد محمد رفعت، الابن الأكبر، وأحمد محمد رفعت وحسين محمد رفعت في جمع هذه التسجيلات، التي كان زكريا باشا مهران قد نقلها إلى موطنه الأصلي في القوصية - محافظة أسيوط - وحين ذهبوا إليه قال لهم: هذا ما أملكه من تسجيلات الشيخ رفعت وقد بلغ عددها ٢٧٨ أسطوانة تضم ١٩ سورة مدتها ٢١ ساعة.

ورغم الأموال العديدة التي عرضت على الشيخ رفعت في حياته فإنه كان يرفض رفضاً باتاً التكسب أو السعي وراء المادة<sup>(٨)</sup>، فقد تنافست إذاعات العالم الكبرى، مثل: إذاعة برلين، ولندن، وباريس، أثناء الحرب العالمية الثانية؛ لتستهل افتتاحها وبرامجها العربية بصوت الشيخ محمد رفعت؛ لتكسب الكثير من المستمعين، إلا أنه لم يكن يعبأ بالمال والثراء، وأبى أن يتكسب بالقرآن، كما عرض عليه سنة ١٩٣٥ أن يذهب للهند مقابل (١٥) ألف جنيه مصري، فاعتذر، فوسط نظام حيدر آباد الخارجية المصرية، وضاعفوا المبلغ إلى (٤٥) ألف جنيه، فأصرَّ الشيخ على اعتذاره، وصاح فيه غاضباً: «أنا لا أبحث عن المال أبداً، فإن الدنيا كلها عرض زائل». ولم يسافر رفعت إلا إلى المسجد النبوي الشريف.

كما عرض عليه المطرب «محمد عبد الوهاب» أن يسجّل له القرآن الكريم كاملاً مقابل أي أجر يطلبه، فاعتذر الشيخ، خوفاً من أن يمسَّ أسطوانة القرآن سكران أو جُنُب. اجتمع في صوت الشيخ رفعت كل مميزات الحنجرة العربية من الأنغام والأوتار الصوتية الخلاقة، فضلاً عن استيعابه المتصل لمعاني القرآن الكريم، وتمثيله إياها للناس كأنها يلمسونها بالأيدي ويرونها بالأعين، فلا نحس في نبرات صوته شيئاً من الخلخلة أو الخروج عن مجرى النغم<sup>(٨)</sup>. «وكان يقرأ من جميع النغمات والطبقات، وبالتدرج على الأصول المرعية في الأداء، فكان يبدأ بالبياتي، فالحجاز، فالنهاوند، ثم الرست، ثم السيكا، والرمل والجهاركاه»<sup>(٩)</sup>.

امتاز محمد رفعت بأنه كان عفيف النفس، زاهداً في الحياة، وكأنه جاء من رحم الغيب لخدمة القرآن، فلم يكن طامعاً في المال لا هماً خلفه، وإنما كان ذا مبدأ ونفس كريمة، فكانت مقولته: «إن سادن القرآن لا يمكن أبداً أن يهان أو يدان»، ضابطة لمسار حياته<sup>(١٠)</sup>.

وليس شك أن الشيخ «محمد رفعت» عليه رحمة الله كان المبع نجوم رمضان.. وقد يحسب أبناء هذا الجيل الناشئون من الاستماع إلى أشرطة الشيخ رفعت، أنه كان بلا منافس وهذا غير صحيح، فقد كان له منافس خطير في مسجد السيدة زينب الذي يقع على بعد مئات الأمتار من المسجد الذي يقرأ فيه الشيخ رفعت.. هذا المنافس هو المرحوم الشيخ «ندا».. ولم يكن صوت الشيخ ندا في حلاوة صوت الشيخ رفعت، لكن صوته كان يمتاز بقوة خارقة. كان إذا رفع صوته من صحن المسجد الزينبي سمعه الناس في الشوارع المجاورة بلا ميكروفون<sup>(١)</sup>.

«ومع تمتع الشيخ بحس مرهف ومشاعر فياضة، فقد كان - أيضًا - إنسانًا في أعماقه، يمتزّ وجدانه هزًا عنيفًا في المواقف الإنسانية، وتفيض روحه بمشاعر جياشة لا تجد تعبيرًا عن نفسها إلا في دموع خاشعات تغسل ما بالنفس من أحزان؛ فقد حدث أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه المرضى، وكان في لحظاته الأخيرة، وعند انصرافه أمسك صديقه بيده ووضعها على كتف طفلة صغيرة، وقال له: «ثري، من سيتولي تربية هذه الصغيرة التي ستصبح غداً يتيمة؟»، فلم يتكلم محمد رفعت، وفي اليوم التالي كان يتلو القرآن في أحد السراقات، وعندما تلا سورة الضحى، ووصل إلى الآية الكريمة: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، ارتفع صوته بالبكاء وانهمرت الدموع من عينيه كأنها سيل؛ لأنه تذكر وصية صديقه، ثم خصص مبلغًا من المال لهذه الفتاة حتى كبرت وتزوجت. وعُرف عنه العطف والرحمة، فكان يجالس الفقراء والبسطاء، وبلغت رحمته أنه كان لا ينام حتى يطمئن على فرسه، ويطعمه ويسقيه، ويوصي أولاده برعايته، وهو إحساس خرج من قلب مليء بالشفقة والشفافية والصفاء، فجاءت نغماته منسجمة مع نغمات الكون من حوله. كان منزله متدي ثقافيًا وأدبيًا وفنيًا، حيث ربطته صداقة قوية بمحمد عبد الوهاب، الذي كان يحرص على قضاء أغلب سهراته في منزل الشيخ بالسيدة زينب، وكثيرًا ما كانت تضم هذه الجلسات أعلام الموسيقى والفن، وكان الشيخ يغني لهم بصوته الرخيم الجميل قصائد كثيرة، منها: «أراك عصي الدمع»، أما عبد الوهاب فكان يجلس بالقرب منه في خشوع وتبتل، وتدور بينهما حوارات ومناقشات حول أعلام الموسيقى العالمية. كان بكاءً بطبعه، يقرأ على الهواء مرتين أسبوعيًا من خلال الإذاعة (يومي الثلاثاء والجمعة) مدة (٤٥) دقيقة في كل مرة، والدموع تنهمر من عينيه. وقد شاء الله أن يصاب الشيخ محمد رفعت بعدة أمراض لاحقته وجعلته يلزم الفراش،

وعندما يشفي يعاود القراءة، حتى أصيب بمرض الفُواق (الزغطة) الذي منعه من تلاوة القرآن، بل ومن الكلام أيضًا؛ حيث تعرّض في السنوات الثمانية الأخيرة من عمره لورم في الأحبال الصوتية، منع الصوت الملائكي النقي من الخروج، ومنذ ذلك الوقت حُرّم الناس من صوته، فيما عدا ثلاثة أشرطة، كانت الإذاعة المصرية سجلتها قبل اشتداد المرض عليه، ثم توالى الأمراض عليه، فأصيب بضغط الدم، والتهاب رئوي حاد، وكانت أزمة الفُواق (الزغطة) تستمر معه ساعات. ويروي كمال النجمي اللحظات الأخيرة لصوته بقوله: في سنة ١٩٤٣، رأيت مشهداً مبكياً من مأساة القارئ العبقري محمد رفعت صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن غنائى في عصرنا يعتمد على بديهة الارتجال. رأيت مأساته في لحظات رهيبة تشبه الحلم المرعب، وقد أحاط به مئات المستمعين، وكانت عادتي أن أقصد يوم الجمعة مبكراً إلى مسجد فاضل باشا بالجمايز لأجد مكاناً قريباً من الشيخ، فقد كان صوته على تعدد مقاماته واكتماله صغير الحجم لا يستوعب دقة نبراته إلا القريبون من مجلسه. وفي المرة الأخيرة التي سمعت فيها الشيخ كان يتلو سورة الكهف في المسجد كعادته فقاوم الفراق أو «الزغطة» التي غص بها حلقة، وقرأ ما سمحت به نوباتها المتكررة ثم سيطرت «الزغطة» على الموقف وملأت حلق الشيخ وحبس صوته تماماً، حتى الشيخ العظيم رأسه، جريح القلب لا يدرى ما يصنع. ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فيها سائل أحمر يبدو أنه دواء وصفه له بعض الأطباء، فأطاعه صوته في آيتين أو ثلاث ثم قهره الداء وتوقف حائراً لبعض الوقت ثم غادر مجلسه تاركاً إياه لشيخ آخر. في تلك اللحظة المأسوية انفجر الناس في المسجد بالبكاء، وعلا نحيب المقرئين الشبان الذين كانوا يلتفون حول الشيخ رفعت كل أسبوع ليتعلموا طريقته وصناعته، وتحول الموقف إلى مآتم رهيب للصوت العبقري الذي ضاع.

وهنا نادى الكاتب أحمد الصاوى محمد، بعمل اكتاب شارك فيه مواطنون من مختلف الأديان وقسم ليسهموا في نفقات علاجه، لكن أبناءه رفضوا قبول الاكتاب الذي وصل إلى خمسين ألف جنيه، فزاد إكبار الناس وإجلالهم له، وظل الشيخ رفعت طريح الفراش ٩ سنوات مررداً أراد الله أن يمنعني. ولا زاد لقضائه. الحمد لله (١٣)،

وفضّل بيع بيته الذي كان يسكن فيه في حي «البغالة» بالسيدة زينب، وقطعة أرض أخرى؛ لينفق على مرضه. عندئذ توسط الشيخ «أبو العينين شعيشع» لدي «الدسوقي أباطة» وزير الأوقاف آنذاك، فقرّر له معاشاً شهرياً.

كما ذهب زكريا مهران إلى الإذاعة وقال إنه على استعداد لأن يهديهم التسجيلات التي لديه شريطة أن يخصصوا معاشاً شهرياً للشيخ رفعت<sup>(١٣)</sup>.

و شاء الله أن تكون وفاة الشيخ محمد رفعت في يوم الإثنين ٩ مايو ١٩٥٠ م، في نفس اليوم الذي وُلد فيه، عن ثمانية وستين عامًا قضاها في رحاب القرآن الكريم.



قال عنه الأديب «محمد السيد المويلحي» في مجلة الرسالة: «سيد قراء هذا الزمن، موسيقي بفطرته وطبيعته، إنه يزجي إلى نفوسنا أرفع أنواعها وأقدس وأزهي ألوانها، وإنه بصوته فقط يأسرنا ويسحرنا دون أن يحتاج إلى أوركسترا». ووصف الموسيقار «محمد عبد الوهاب» صوت الشيخ محمد رفعت بأنه ملائكي يأتي من السماء لأول مرة، وسئل الكاتب الكبير «محمود السعدني» عن سر تفرد الشيخ محمد رفعت فقال: كان ممتلئاً تصديقاً وإيماناً بما يقرأ. أما الأستاذ «علي خليل» شيخ الإذاعيين فيقول عنه: «إنه كان هادئ النفس، تحس وأنت جالس معه أن الرجل مستمتع بحياته، وكأنه في جنة الخلد، كان كياناً ملائكيًا، تري في وجهه الصفاء والنقاء والطمأنينة والإيمان الخالص للخالق، وكأنه ليس من أهل الأرض». وبعته الإذاعة المصرية عند وفاته إلى المستمعين بقولها: «أيها المسلمون، فقدنا اليوم عظمًا من أعلام الإسلام». أما الإذاعة السورية فجاء النعي على لسان المفتي؛ حيث قال: «لقد مات المقرئ الذي وهب صوته للإسلام»<sup>(١٤)</sup>.



## الشيخ / سيد النقشبندي

(١٩٢٠-١٩٧٦م)

إمام المداحين

إذا كان الناس في شهر رمضان قد ارتبطوا وجدانًا بصوت الشيخ محمد رفعت، فإن المبتهل الشيخ سيد النقشبندي يمثل الجناح الثاني للشجوة الرمضاني، فقد ارتبط الصائمون بصوته الخاشع وهو يرفعه مبتهلاً ومادحاً ومناجياً، بحيث صار علامة مميزة ودالة على شهر رمضان الكريم، لدرجة أن سماع صوته في أي من أوقات العام يحيل الإنسان على الفور إلى أجواء رمضان، وتحديدًا عند سماع واحد من الأدعية الأربعة: «مولاي» و«أقول أمّتي» و«يارب» و«لا إله إلا الله»، التي جمعت بين كلمات الشاعر عبد الفتاح مصطفى وألحان بليغ حمدي وبلغ تألق الشيخ النقشبندي فيها ذروته.

«ولد الشيخ سيد محمد النقشبندي في قرية (دميرة) مركز طلخا بمحافظة الدقهلية عام ١٩٢٠م، ثم انتقل وهو طفل بصحبة والدته إلى مدينة طهطا بمحافظة سوهاج وهناك تربى تربية دينية، وأتم حفظ القرآن الكريم وتفقه في الدين وهو في سن مبكرة، وفي الخامسة والعشرين من عمره رحل إلى طنطا حيث استقر بها.

بدأ حياته قارئاً للقرآن ومؤدياً للأغاني في الموالد، ثم منشداً دينياً، على أن شهرته انطلقت - رحمه الله -، عرفته الإذاعات الدينية والعربية من خلال إحيائه إحدى الليالي الختامية لمولد الإمام الحسين رضي الله عنه، وكانت بدعوة من صديقه الحميم الحاج «سيد محمد محمد» من القاهرة، فلبى الشيخ النقشبندي الدعوة وأقام حفلاً ترنم فيه

بصوته وشدا بمدح الرسول الكريم ﷺ وابتهالاته الدينية المميزة في ساحة مسجد سيدنا الحسين وأدهش مستمعيه فذاع صيته وتناقلته الإذاعات عبر موجاتها.

سعت إليه الشهرة في عام ١٩٦٧ وبدأت الإذاعة في عمل برامج دينية له، إضافة إلى تقديم الابتهالات الدينية بصوته.

ترك الشيخ النقشبندي تراثاً إسلامياً كبيراً وضحياً من الابتهالات والأناشيد والموشحات الدينية، وكان قارئاً للقرآن الكريم بطريقة مختلفة عن بقية قراء عصره، وإن كانت شهرته كمداح للرسول صلى الله عليه وسلم ومبتهل ديني هي الصفة التي اقترنت به.

ورغم عدم دراسته للموسيقى إلا أنه كان يجيد السيطرة على النغمة الموسيقية والتمكن منها، «فقد كان له أسلوب خاص يعتمد على طبقاته الصوتية الواسعة في استعراض صوته في منطقة الجوابات في أثناء الإلقاء»<sup>(١٥)</sup>. حيث كان ينتقل مباشرة للجواب دون الالتزام بالطبقة الموسيقية، مرتكزاً على صوته العريض، الذي كان يساعده على الوصول إلى الجواب بليونته، ثم ينتقل منه إلى جواب الجواب وهكذا، بما جعله صاحب مدرسة متفردة في الأداء.

ورغم أنه كان قارئاً للقرآن فإن براعته في أداء الابتهالات جعلت منه مبتهلاً متميزاً في المقام الأول.

قدم الشيخ الابتهالات والأناشيد والتواشيح الدينية في معظم الدول الإسلامية والعربية بدعوة من هذه الدول وحكامها، إذ زار أبا ظبي وسوريا والأردن وإيران والمغرب العربي والسعودية واليمن ودول الخليج العربي وإندونيسيا، كما زار معظم الدول الإفريقية والآسيوية، وحصل النقشبندي على العديد من الأوسمة والنياشين من مختلف الدول التي زارها. كما غنى بعض قصائد السيدة «أم كلثوم» في حفل أقيم بمدينة أسبوط عام ١٩٤٤، وكان مديرها وقتذاك الشاعر «عزيز أباطة».

وفي الرابع عشر من فبراير عام ١٩٧٦م توفي الشيخ السيد النقشبندي عن ٥٦ عاماً، عقب انتهائه من تسجيل بعض الابتهالات والتواشيح، وكان ذلك بمبنى التلفزيون المصري، وبعد وفاته بنحو ثلاثة أعوام كرمه الرئيس الراحل السادات عام ١٩٧٩م



ومنحه وسام الدولة من الدرجة الأولى. وقد كرمته محافظة الغربية التي عاش ودفن بها بإطلاق اسمه على أكبر شوارع مدينة طنطا، كما لقبه كبار الكُتَّاب بألقاب عدة، منها: الصوت الخاشع، الكروان الرباني، قيثاره السماء، وإمام المداحين.

## الهوامش

- (١) الأنشودة الدينية ترنيمة أو تسيحة مخصصة أصلاً لذكر الخالق أو مديح الأنبياء والأولياء والقديسين. (حسني الحريري، محمد الشيخاني: الإنشاد الديني، الإنسكلوبيديا العربية، مرجع إلكتروني).. ويرتبط فن الإنشاد الديني ارتباطاً وثيقاً بفن السماع الصوفي النابع من خلال طرائقهم الإنشادية داخل حلقات الذكر، الذي أصبح بمرور الوقت فناً مستقلاً بذاته وأشكاله الأربعة «الذكر، الابتهاج، التواشيح والتعطير» أى قراءة السيرة النبوية العطرة. (أحمد حامد الجمال: أربعين عاماً على رحيل فارس الإنشاد والتلاوة «طه الفشنى»، جريدة المصرى اليوم).
- (٢) راجع: عزة بدر، رمضان عبر الزمان، مجلة صباح الخير، ٧ / ١٢ / ١٩٩٩، ص ٤٣.
- (٣) محمد رجب البيومي، حلقات الذكر في شهر رمضان، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٣ م.
- (٤) بالإحالة إلى جريدة ٢٤ ساعة، ع ٤٢، ٢٦-٩-٢٠٠٧ م.
- (٥) محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.
- (٦) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.
- (٧) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.
- (٨) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.
- (٩) خيرى محمد عامر: مشايخ في محراب الفن، هيئة قصور الثقافة، ٦٠٠٢، ص ١١٧.
- (١٠) خيرى محمد عامر: مشايخ في محراب الفن، هيئة قصور الثقافة، ٦٠٠٢، ص ١١٧.
- (١١) حافظ محمود: المعارك في الصحافة والسياسة.
- (١٢) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.

(١٣) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٢٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.

(١٤) انظر: قيثارة السماء «الشيخ محمد رفعت»، إصدارات صندوق التنمية الثقافية.

(١٥) راجع: خيرى محمد عامر، مشايخ في محراب الفن، مرجع سابق.



## أعمال البر في رمضان

- وقفيات شهر رمضان
- الموائد والولائم الخيرية في رمضان
- السبيل



## وقفيات شهر رمضان

حرص العديد من أغنياء المسلمين على تخصيص ريع أو قافهم للإنفاق على فقراء المسلمين، خلال شهر رمضان بشكل خاص، ويشير «د. إبراهيم البيومي غانم» في دراسته المعنونة: «تقاليد نظام الوقف في رمضان»<sup>(١)</sup>، أنه: ابتداءً من العهد الأموي ظهرت علاقة مباشرة بين الوقف وصوم رمضان في الممارسة الاجتماعية؛ إذ أخذ الواقفون يهتمون بتخصيص جزء من ريع ووقفياتهم أو للإنفاق من هذا الريع لتمكين غير القادرين على صوم الشهر الكريم، بما في ذلك من توفير لطعام الفطور أو السحور. إلا أن هذا الشكل قد اتخذ مظاهر متعددة في العصور التالية للعصر الأموي.

وتعرض في دراسته لأنماط التوظيف الاجتماعي للوقف في رمضان، حيث «تكشف لنا وثائق الأوقاف - التي سجلت وقائع الممارسة الاجتماعية لنظام الوقف على مر التاريخ - عن أن «شهر رمضان» قد حظى باهتمام كثير من الواقفين على اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية، وتباين أوضاعهم الاقتصادية، كما تكشف تلك الوثائق أيضًا عن أن المبعث الرئيسي لاهتمامهم بهذا الشهر هو كونه شهر أداء فريضة الصوم، فضلاً عن أنه موسم حافل بكثير من المناسبات، ففيه أنزل القرآن، وفيه ليلة القدر، وفيه الحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء. وبالرغم من تعدد صيغ تخصيص ريع الوقف وتنوع مجالات إنفاقه في رمضان، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن تخصيص شيء من الريع لإنفاقه في هذا الشهر لم يكن مقصوراً فقط على ما له صلة بالصيام؛ كتوفير فطور الصائمين أو سحورهم، وإنما اشتمل على أغراض أخرى هي من أبواب البر والمنافع العامة التي يستحب الإنفاق عليها في المواسم والأعياد بصفة خاصة، وفي الأحوال العادية بصفة عامة، ولكن العناية بها في رمضان بالذات لها مغزاها المرتبط بأفضليته التي سبقت الإشارة إليها».

وانتهى إلى أنه «يمكن تصنيف صيغ التوظيف الاجتماعي للوقف في رمضان في ثلاثة أنواع رئيسية» هي كالآتي:

#### ١- نمط التحويلات النقدية

وهو أن ينص الواقف على تخصيص مبالغ نقدية من ريع وقفه لإنفاقها خلال شهر رمضان المبارك؛ على الفقراء والمساكين وذوي الخصاصة، ومثال ذلك ما نص عليه محمد باشا سليمان أبو النجا في حجة وقفه - بمصر - التي يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م - وهو أن يصرف للفقراء والمساكين من ريع الوقف ٧ جنيهاً (يومياً) على مدار أيام شهر رمضان و ٩٠ جنيهاً في آخر يوم من رمضان سنوياً.

#### ٢- نمط المساعدات العينية

وهو أن ينص الواقف على الصرف من ريع وقفه لشراء بعض السلع والحاجات - كالأطعمة والأشربة والملابس - وتوزيعها خلال شهر رمضان على فئات متنوعة من عامة الناس، مع إعطاء أولوية الاستحقاق لكبار السن والعاجزين عن الكسب والضعفاء والأيتام ومقيمي الشعائر في المساجد والتكايا والرباطات، والمشايخ الملازمين للمساجد، وللمساكين، وحتى للسجناء.

ويقول د. غانم: إنه وبالتأمل في تفاصيل ما نص عليه بعض الواقفين من شروط خاصة بالإنفاق في رمضان يتبين لنا مدى الحرص على تقديم مساعدات جيدة كماً ونوعاً، لتلك الفئات في هذه المناسبة، وقد تفاوتت إسهامات الواقفين في هذا المجال، كل حسب مقدرته الاقتصادية، ومكانته الاجتماعية ورغبته في فعل الخيرات، والأمثلة على ذلك كثيرة من الوقفيات القديمة ومن الأحدث نسبياً، وفيما يلي بعض نماذج منها تبين أصناف المساعدات من الأطعمة والأغذية المختلفة:

- من أوقاف مصر في العصر المملوكي، ما ورد في حجة وقف السلطان حسن، وهو أن «يصرف في كل يوم من أيام شهر رمضان ثمن عشرة قناطير من لحم الضأن، وثمان أربعين قنطاراً من خبز القرصة، وثمان حب الرمان، وأرزاً وعسلًا، وحبوبًا وإيزارًا، وتوابل، وأجرة من يتولى طبخ ذلك وتفرقته، وثمان غير ذلك مما يحتاج إليه من الآلات



التي يطبخ بها، فيطبخ ذلك في كل يوم من أيام الشهر المذكور، زيادة على ما هو مرتب في ليالي الجمع».

### ٣- نمط الدعم العيني للمؤسسات المدنية

وفي مقدمتها المدارس ومكاتب السبيل، والأربطة، والخنقاوات، والتكايا والملاجئ. ومن أمثلة المدارس يورد مثال «مدرسة الحديث النبوي التي أسسها «خاير بك» سنة ٩٠٨ هـ في عهد السلطان الغوري بمصر، وجعلها ملحقة بمسجده، وخصصها لتعليم الحديث الشريف يوميًا خلال شهور رجب وشعبان ورمضان، على أن يعطي (معلومًا) لقارئ يقرأ الحديث يوميًا طوال الشهور الثلاثة من صحيح مسلم».

ومدرسة الأمير صرغتمش - بالقاهرة - الذي نص في وثيقة وقفه عليها أن يرتب مزملاتي مهمته جلب الماء من السبيل الموجود في المدرسة يوميًا، نهارًا في أيام الفطر، وليلاً في رمضان، ويشترط في المزملاتي أن يكون خيرًا، متدينًا، يتمتع بصحة جيدة، ويصرف للمدرس في كل شهر ثلاثمائة درهم نقرة، ومن الزيت والطيب خمسة أرتال، ومن الصابون خمسة أرتال، كما يصرف في رمضان - علاوة على ما سبق - خمسة أرتال سكر.

وكذلك مدرسة الأميرة فاطمة بنت الخديو إسماعيل، التي أنشأتها ووقفتها بمدينة المنصورة - بمصر - ووقفت عليها ما يكفي للإنفاق على تعليم البنين والبنات فيها، واختصت شهر رمضان بأن اشترطت «شراء كساوي مئة وعشرين تلميذًا وتلميذة، من ذلك ستون تلميذًا ذكرًا وستون تلميذة أنثى بشرط أن يكون المائة والعشرون المذكورون من المسلمين الفقراء، وتكون كسوة كل واحد من الستين تلميذًا مشتملة على بنطلون وزكته وصداري من الجوخ الوسط، وطربوش، وقميص ولباس بفتة، وجزمة وشراب، ورابطة ياقة، وتكون كسوة كل واحدة من الستين تلميذة الإناث مشتملة على فستان من الحرير الوسط، وقميص من البفتة الشاش، ولباس من القماش الدبولان، وجزمة وشراب بشرط ألا تقل قيمة كل كسوة من مائة والعشرين المذكورة عن جنهين اثنين مصريين.

-حسب أسعار بداية القرن العشرين - وأن يكون إعطاء الكساوي المذكورة للتلامذة والتلميذات على الوجه المسطور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من كل سنة لكل واحد منهم كسوته بيده، في محفل (محضرة) نائب عن ناظر الوقف وناظر المدرسة والمدرسون بها كما يشتري كساوي لموظفي المدرسة جميعًا، بحيث يشتري لكل موظف مسلم بها كسوة تعادل ملبوسه المعتاد، وتعطى له كسوته في الوقت، الذي يعطى فيه للتلاميذ والتلميذات ، أي في ليلة السابع والعشرين من رمضان.

أما عن الخانقاوات والأربطة والتكايا والملاجي، وجميعها كانت من المؤسسات الاجتماعية المدنية، التي أنشأها الأوقاف، ومولتها بما تحتاج إليه من مصروفات ونفقات على مدار السنة، فقد أولاهم الواقفون اهتمامًا زائدًا على ذلك في شهر رمضان بالذات؛ وحتى تتمكن من التوسعة على المستفيدين منها وهم من الفقراء والعجزة وكبار السن المنقطعين.

والأمثلة على هذه المؤسسات - كما يقول د. غانم - كثيرة أيضًا، ونشير هنا فقط إلى مثالين:

الأول: ما شرطه «يبرس الجاشنكير» (الملوكي) في وقفته على الرباط الذي أنشأه، وهو أن يوزع في ليالي الجمع من شهر رمضان نصف رطل مصري من الحلوى على الصوفية والفقراء بالرباط، وكذلك في ليلة ختم القرآن في التاسع والعشرين من كل رمضان .. على أن يضاعف نصيب شيخ الخانقاه وشيخ الرباط .. وأن تكون الحلوى عجمية معمولة من الدقيق الطيب المستخرج من القمح والعسل المحلى بالسكر والخشخاش وماء الزعفران واللوز.

والثاني: ما نص عليه «إسماعيل بك رفعت» في وقفته - التي أنشأها بالقاهرة - بتاريخ ١٦ جمادى الأولى (١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م) وهو أن النسوة العجائز الفقيرات المسلمات العجائز عن الكسب، الخاليات من الأزواج اللاتي يقمن في الرباط الذي أنشأه بباب الخلق - بالقاهرة - «تعطى كل واحدة في شهر رمضان من كل سنة اثني عشر ذراعًا من العبك. (نوع من القماش) وستة أذرع من الشاش وحرده بلدي».

## الموائد والوائم الخيرية في رمضان

منذ حض الإسلام على الإنفاق في الخير وأعمال البر والإحسان إلى الفقراء والمساكين واليتامى وعابري السبيل، وجعل في أموال المسورين نصيبًا معلومًا للمحتاجين؛ وقد تعددت صنوف وأشكال هذا الإنفاق وتشعبت طرقه؛ ما بين إنفاق نقدي وعيني، أو إيقاف الأثرياء لبعض ممتلكاتهم للإنفاق منها على وجوه البر والإحسان في هذا الشهر، حتى أن البعض على الرغم من سعة ثرائه لم يكن يحول عليه الحول إلا وخزائنه خاوية، وليس لديه مال يستحق عليه زكاة، نظرًا لما ينفقه طيلة العام من أموال في الخير؛ وأبرز مثال على هؤلاء: الإمام «الليث بن سعد» (٩٣-١٧٥هـ / ٧١٢-٧٩١م) فقيه أهل مصر، الذي كان قد ورث عن أبيه أرضًا خصبة شاسعة بقريته قلقشندة (إحدى قري مركز طوخ بمحافظة القليوبية) وكانت له أراض كذلك بناحية بور سعيد (حاليًا) والجيزة؛ ومع ذلك كان ينفق كل ماله على الفقراء والمحتاجين الذين كان يطعم في اليوم الواحد ثلاثمائة منهم، وعلى العلماء وطالبي العلم، وحين أصابه عطاء الحكام لم يزد ذلك إلا زيادة في الإنفاق وتوسعة على الفقراء.

كما اشتهر العالم والأديب «الصاحب بن عباد» (٣٢٦-٣٨٥هـ) بالجوود والكرم خصوصًا في هذا الشهر الكريم. قال أبو الحسين محمد بن الحسين النحوي: كان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر كائنًا من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده! وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها. وكانت صلوات الصاحب بن عباد وصدقاته في هذا الشهر الجليل تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة كاملة<sup>(٢)</sup>.

وكان «لؤلؤ الحاجب» أحد قواد صلاح الدين، من أكثر الناس سخاء في شهر الصيام، فقد رووا عنه أنه في رمضان كان يوزع كل يوم من أيامه اثني عشر ألف رغيفاً مع قدور الطعام، فإذا حلّ شهر رمضان ضاعف ذلك وأشرف بنفسه على توزيع صدقاته من الظهر في كل يوم إلى نحو صلاة العشاء، وكان يضع ثلاثة مراكب، طول كل مركب أحد عشر ذراعاً، مملوءة بالطعام ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم مشدود الوسط وكأنه راعي غنم وفي يده مغرفة وهو يصلح صفوف الفقراء، ويقرب إليهم الطعام ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ثم بالصبيان.. وكانوا لا يتزاحمون لعلمهم أن الخير يعمهم، فإن فرغ من إطعام الفقراء بسط سباطاً فخماً للأغنياء»<sup>(٣)</sup>.

#### موائد الخير من العصر الطولوني إلى الفاطمي

وعلى مدار التاريخ فاز شهر رمضان بالنصيب الأكبر من إغداق الأغنياء على الفقراء من الناس، مما أغرى الحكام بمنافستهم في هذه السمة وتباريهم فيها.

وتتضمن رواية «قطر الندى» لمؤلفها «محمد سعيد العريان» تصويراً للموائد ابن طولون إبان ولايته على مصر، التي كان يتناول طعام الإفطار عليها أصفياؤه ومعاونوه، ولا يكتفى الأمير بإطعامهم ما لذ وطاب، وإنما يعطيهم حق عيالهم مما تبقى من طعام، وكان ذلك يتكرر كل يوم في رمضان حتى كثرت التكاليف، وبلغت نفقات مطبخ الأمير في اليوم ألف دينار، ومع ذلك أمر صاحب صدقاته ألا يقبض يده عن البر بأحد»<sup>(٤)</sup>.

كما بدأ ولاة العصر الإخشيدي يأمرن بأسمطة الطعام لإفطار الفقراء في شهر رمضان، وهي السمة التي انتهزها الحكام الفاطميون لاستمالة الناس إليهم في سبيل نشر الدعوة الفاطمية واكتساب تعاطفهم معها، فقد كانوا يستثمرون المناسبات الاجتماعية في الإغداق على المصريين ليتمكنوا من قلوبهم، وتوسعوا في هذا المضمار، خصوصاً في شهر رمضان، فقد خصص «العزیز بالله» قاعة في «قصر الذهب» لإقامة موائد الإفطار، التي كانت تستمر من الرابع إلى السادس والعشرين منه.. صحيح أن المدعو الأول لهذه الموائد كان العلماء والأمرء، لكن الفقراء كان لهم نصيب أيضاً؛ إذ كان الطعام يقدم

إليهم بعد أن يفرغ السادة من إفطارهم. كما كان الخليفة «العزیز بالله» يقيم - كذلك - مائدة كبيرة في جامع عمرو بن العاص طيلة شهور: رجب وشعبان ورمضان، ويقدم الطعام لكل من يفتد إلى المسجد. وأقام كذلك طعامًا في الجامع الأزهر مباحًا لمن يحضر في شهور رمضان<sup>(٥)</sup>.

وجرت العادة لدى الحكام الفاطميين على مهادة الأمراء ومن سواهم من أصحاب المناصب في أول يوم من أيام شهر رمضان، لكل واحد منهم طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق آخر فيه حلوى وبوسطه صرة من ذهب! فيعم ذلك سائر أهل الدولة، ويقال لذلك غرة رمضان<sup>(٦)</sup>.

وكان في القصر الشرقي الكبير قاعة أطلق عليها قصر الذهب، أنشأها العزیز بالله، ثم جدها الخليفة المستنصر بالله، وقد وضع فيها سرير الملك فكان الخلفاء يتخذونها لجلسهم وأعدوها لإقامة ولائم الإفطار في شهر رمضان.

وكان يدعي لهذه الولائم ابتداء من اليوم الرابع من الشهر إلى السادس والعشرين منه العلماء والأمراء «فإذا جاء وقت الغروب، مدت الموائد في هذه القاعة وأحليت بالأزهار، ونسقت عليها أنواع المأكولات والحلوى على هيئة قصور وتماثيل، ويتصدر المائدة الوزير أو ولده أو أخوه فإذا انتهت المائدة وزعت الأطعمة على الفقراء والمساكين وربما خص الرجل ما يكفي جماعة من الناس»، وقد كان يبلغ ما ينفق في شهر رمضان لمدة ٢٧ يومًا قرابة ثلاثة آلاف دينار.

ولم تكن العناية التي يوجهها الفاطميون في أسمطة العيدين بأقل منها في الأسمطة الأخرى، فقد كان يقام يوم عيد الفطر سباطان أحدهما بعد صلاة الفجر والثاني بعد صلاة العيد، وكانت الأطعمة من الوفرة بحيث كان ما يتبقى منها تأخذها العامة الذين كان يسمح لهم بحمله وبيعه، فقد كانت توضع على السباط إحدى وعشرون جفنة<sup>(٧)</sup> في كل منها واحد وعشرون خروفاً وثلاثمائة وخمسون من الطير ما بين دجاج وحمائم وصحان في كل منها سبع دجاجات وفتائر وحلوى، وهذا يذكرنا بتلك الولائم التي كانت تقام في حفلات ختان أبناء السلاطين العثمانيين؛ حيث كانت الموائد عبارة عن طبال خشبية، وهناك ولائم لكبار الضيوف وأخرى للذين هم أقل في المرتبة، ويقف

الخدم العديدون لتقديم الأطعمة للضيوف وكانت تهيئ الأطعمة والأشربة لهذه  
الولائم<sup>(٨)</sup>.

### الموائد في العصر المملوكي

اهتم سلاطين المماليك بالتوسع في البر والإحسان طوال الشهر المبارك.. فالسلطان  
برقوق «٧٨٤هـ-٨٠١هـ» اعتاد طوال أيام ملكه أن يذبح في كل يوم من أيام رمضان  
خمسة وعشرين بقرة يتصدق بلحومها، بالإضافة إلى الخبز والأطعمة على أهل المساجد  
والخوانق والروابط والسجون؛ بحيث ينخص كل فرد رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة،  
وسار على سنته من أتي بعده من السلاطين فأكثروا من ذبح الأبقار وتوزيع لحومها.

وكان الملك الظاهر «بيبرس البندقداري» يرتب في أول شهر رمضان بمصر والقاهرة  
مطابخ لأنواع الأطعمة لتوزيعها على الفقراء والمساكين.

وفي دولتي المماليك البرجية والبحرية؛ كان يوزع على الفقهاء والعلماء توسعة في  
شهر رمضان لأولادهم، كما كان هناك تقليد طريف وهو إعداد أحمال من السكر  
والمكسرات ولحم الضأن لتوزيعها على الفقراء في شهر رمضان، تحت إشراف المحتسب  
وناظر الدولة.

كذلك دأب سلاطين المماليك على عتق ثلاثين رقبة بعدد أيام الشهر الكريم،  
بالإضافة إلى كافة أنواع التوسعة على العلماء، حيث تصرف لهم رواتب إضافية في شهر  
رمضان، خاصة ما يصرف من السكر، وقد بلغت كمية السكر المنصرفة في إحدى  
سنوات عصر السلطان الناصر «محمد بن قلاوون» سنة (٧٤٥هـ) ثلاثة آلاف قنطار،  
قيمتها ثلاثون ألف دينار.

وحسبما يقول «شوقي عبد القوي حبيب» في مقال له عن الاحتفالات الرمضانية:  
«كان شهر رمضان من المناسبات العظيمة لسلاطين المماليك، لإظهار تقواهم وورعهم،  
فكان منهم من يوزع الطعام على الفقراء، واعتاد البعض منهم عتق رقبة أو أكثر كما  
كان يفعل السابقون منهم، كما عمد بعضهم إلى التصدق بخمس وعشرين بقرة يوميًا

وآلاف الأربعة والحم الضأن، حيث يوزع للصدقات على الجوامع والزوايا، بالإضافة إلى منح كل زاوية ألف درهم فضة، كما كان من عادة سلاطين المماليك الإفراج عن بعض المسجونين والإنعام على المدينين بشيء يخفف عنهم ديونهم ويصالح عنهم الغرماء، وكانوا يقدمون على فعل أشياء كثيرة شبيهة بذلك.

وحاكى أمراء المماليك سلاطينهم في الإكثار من الصدقات والإحسان، خاصة في شهر رمضان، من ذلك أنه عرف عن الأمير «طشتمر» حرصه على الإكثار من ذبح البقر والغنم في ليالي رمضان، وكذلك فعل السلطان برقوق قبل أن يصبح سلطاناً.

### الموائد في العصر العثماني

يقول «عبد الرحمن الجبرتي» بأن أهل مصر لهم سنن وطرائق في مكارم الأخلاق لا توجد في غيرهم، ويشير أنه في كل بيت من بيوت الأعيان العثمانية كان يوجد مطبخان، أحدهما أسفل رجالي، والثاني في الحريم. وفي هذه البيوت «كان السهاط يمد مبدولاً للناس ولا يمنعون من يريد الدخول.. وكانت لهم عادات وصدقات في المواسم الدينية خاصة في ليالي رمضان، يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ويمثلون من ذلك قصاعاً كثيرة، ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين، ويجمع في كل بيت الكثير من الفقراء، ويفرقون عليهم الخبز ويأكلون حتى يشبعوا، ويعطونهم بعد ذلك دراهم، ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم، خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية وسائر الحلوي!».

أما الأمير «عبد الرحمن كتحدا» الذي اشتهر بالزيادة التي أجراها على الجامع الأزهر وتعمير مشهد السيدة نفيسة ومسجدها، وباني مشهد السيد زينب ومشهد السيدة سكينة ومشهد السيدة عائشة والسيدة فاطمة والسيدة رقية والجامع ومشهد أبي السعود الجارحي ومسجد شرف الدين الكردي بالحسينية، ومجدد المدارس المنصوري. وأوقف عليهم الأوقاف؛ فمن سلوكه - كتحدا- مع الفقراء أنه كان يرتب «للعريان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط، ويفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء في كل سنة فيأتون إلى داره أفواجا

في أيام معلومة ويعودون مسرورين بتلك الكساوي، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الإجراءات الطولونية يرتدون بها وقت التسييح في ليالي الشتاء وكذلك يفرق جملة من الخبر المحلاوي والبر الصعيدي والملايات والأخلاف والبوايج القيصري على النساء الفقيرات والأرامل. أما في شهر رمضان؛ فكان يخرج عند بيته في وقت الإفطار «عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقي بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين ويفرق عليهم النقيب هب اللحم النضيج، فيعطي لكل فقير جعنة وحصته في يده، وعندما يفرغون من الأكل يعطي لكل واحد منهم رغيفين ونصف فضة برسوم سحوره إلى غير ذلك، كما قام بضم ثلاث قري من بلاد الأرز بناحية رشيد وهي «تفينة وديبي وحصه كتامة» لوقفها وجعل إيرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمقطعين، وزاد في طعام المجاورين بالأزهر.

ومن سلكوا هذا المسلك أيضًا خلال العصر العثماني، التاجر الحاج «عمر بن عبد الوهاب الطرابلسي» الذي كان منزله مأوي الوافدين من كل جهة ويقوم بواجب إكرامهم وكان من عادته أنه لا يأكل مع الضيوف قط، إنما يخدم عليهم ما داموا يأكلون ثم يأكل مع الخدم. وكان إذا قرب شهر رمضان، وفد عليه كثير من مجاوري رواق الشوام بالأزهر وغيره فيقيمون عنده حتى ينقضي شهر الصوم في الإكرام، ثم يصلهم بعد ذلك بنفقة وكساوي ويعودون من عنده مجبورين.

وكذلك «محمد أفندي الودني» المعروف بناظر المهات، الذي أنشأ مكتبًا لإقراء الأطفال ورتب تدريسيًا في أحد المساجد وقرر فيه السيد أحمد الطحاوي الحنفي ومعه عشرة من الطلبة ورتب لهم ألف عثماني تصرف لهم من الروزنامة وللأطفال وكسوتهم خلاف ذلك.

وكان يشتري في عيد الأضحى جواميس وكباشًا يذبح منها ويفرق على الفقراء والموظفين، ويرسل إلى أصحابه عدة أكباش في عيد الأضحى إلى بيوتهم على قدر مقاديرهم ويرسل في كل ليلة من ليالي رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم إلى الفقراء بالجامع الأزهر.

وقد استوقفت هذه المظاهر المستشرق الإنجليزي «إدوار لين» وقدم وصفًا لما كانت تسلكه بيوت الأثرياء في رمضان، إذ كان يوضع كرسي عليه صينية قبيل الغروب في



غرفة الاستقبال بمنازل الطبقتين العليا والوسطى، ويوضع عليها صحاف عديدة تحوي أصنافاً مختلفة من المرطبات والمسكرات والبلح والتين ويجلسون في انتظار الوافدين عليهم على غير انتظار.

الموائد في العصر الحديث

خلال النصف الأول من القرن العشرين اشتهر الملك فاروق بمآدب الإفطار التي كان يأمر بإقامتها في الملجأ العباسي، ومدرسة الرمل الثانوية بالإسكندرية، وفي مطعم الشعب بالقاهرة، فقد أولى الملك فاروق مساحة كبيرة من اهتمامه للولائم والموائد الرمضانية، التي تراوح الغرض منها ما بين، الدعاية السياسية، وإطعام المساكين.

ففى اليوم الثامن من أكتوبر عام ١٩٤٠، الموافق السادس من رمضان عام ١٣٥٩ هـ وبينما الحرب العالمية الثانية دائرة؛ زفت جريدة مصر لصاحبها قيصر وصموئيل المنقبادى؛ خبر المآدب الملكية التي تفضل بها صاحب الجلالة الملك فاروق، وأمر بإقامتها على نفقة الجيب الملكى الخاص للفقراء في مصر والأقاليم خلال شهر رمضان، حيث رأى جلالته أن يكون الفقراء ضيوفاً على جلالته وأمر بأن يستقبل المحافظون والمديون هؤلاء المحرومين ويحويينهم باسم جلالته بكل العطف، وأن تسمى هذه الدعوات إفطار جلالة الملك للفقراء، وأشارت الجريدة أنه بناء على ذلك قد قام «أحمد حسنين باشا» بمكتبه سراى عابدين بالاجتماع بالمديرين والمحافظين للاتفاق معهم على تنظيم هذه الدعوات والطريقة التي تكفل دعوة أكبر عدد ممكن من هؤلاء الفقراء لتناول الطعام، وقد قوبل هذا العطف الملكى على الفقراء والمعوزين بالدعاء لجلالته، وتحدد يوم الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع طول شهر رمضان لاستضافتهم بمطاعم الشعب بالقاهرة. وكانت سعادة محافظ العاصمة يطوف بتلك المطاعم ليتفقد بنفسه إعداد الطعام وكان يرافقه صاحب العزة وكيل المحافظة والصاغ أحمد حسان والأستاذ جرجس منقاريوس رئيس حسابات المحافظة.

وتابعت الجريدة تنفيذ الأمر الملكى في المحافظات وسجلت قيام صاحب السعادة بدوى بك خليفة مدير الغربية بإعداد مأدبة فاخرة لإفطار الفقراء بملجأ الأميرة فوية في طنطا، يتناول عليها الطعام ٥٠٠ شخص، وكان سعاداته يمر على كل شخص يجلس

على المائدة ليسأله عما يريد. وفي قليبوب قام الأستاذ زين العابدين مأمور مركز قليبوب  
بالتخاذ التدابير اللازمة لإعداد الطعام لـ ٨٠٠ فقير؛ حيث أفرد لهم مكاناً كبيراً مزينا  
بصورة جلالة الملك ومكلا بالأنوار، وكان الطعام مؤلفاً من الخضر والأرز واللحم  
والمهلبية والحلويات، إضافة إلى توزيع الطعام على أكثر من مائة عائلة في منازلهم، وقبل  
مدفع الإفطار كان فؤاد بك شيرين مدير القليوبية يرافقه بعض موظفي المديرية يطوفون  
على الموائد لتحية الجالسين عليها، فكانوا يقابلون ذلك بالدعاء لجلالة الملك، وكان  
يشارك مدير المديرية حضرات رجال الإدارة والبوليس ورجال المجلس ومحمد بك  
الشواربي عمدة البندر، الذي أخذ على نفسه توزيع تذاكر الدعوة بنفسه وموالة إعداد  
الطعام، بإشراف طبيب المركز، وكان مأمور المركز يوزع البلح والسجائر بيده، كما  
وزعت عليهم القهوة وأخذت للجميع صورة فوتوغرافية. وفي الصعيد كانت تحدث  
أمور مماثلة تنفيذاً للتعليمات الملكية، حيث خصصت في مدرسة الفيوم الثانوية الأميرية  
أمكنة إعداد مائدة إفطار تكفى لإطعام ٥٠٠ شخص تحت إشراف محافظ الفيوم. وفي  
تلك الأيام حدثت سيول عنيفة جارفة دمرت مناطق عديدة من جنوب الوادي، خاصة  
في قنا وأسوان وما جاورهما، مما أدى إلى زيادة عناية أجهزة الحكومة بإنقاذ أهالي القرى  
المتضررة من السيول وإعادة الخطوط الحديدية والطرق التي دمرت ومواساة ومساعدة  
المتضررين، وتنفيذ الأمر الملكي بإطعام فقراء تلك البلاد.

ولم تنس الحكومة أولياء أمور التلاميذ في تلك الظروف العصيبة.. ظروف الحرب  
العالمية الثانية- فقررت في السابع من رمضان/ ٩ أكتوبر ١٩٤٠ م تقسيط المصروفات  
الدراسية على ٦ أقسام تدفع في اليوم الثاني من شهور: أكتوبر، ونوفمبر، ويناير،  
وفبراير، وإبريل، ومايو.

وتابعت جريدة مصر بعناية أخبار السراي الملكية «قصر عابدين».. وما يتم به من  
مآذب.. وهي خمس مآذب تقام خلال شهر رمضان.. ويحضرها جلاله الملك وكبار  
الشخصيات، حيث ذكرت في عددها الصادر ٨ أكتوبر ١٩٤٠ (السادس من رمضان  
١٣٥٩ هـ) وقائع المأدبة الأولى بالتفصيل، حيث قال المحرر: «أقيمت اليوم في قصر  
عابدين العامر مأدبة إفطار، حضرها حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد  
عبد المنعم - وسعادة سفير إيران - وحضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء -

وحضرتا صاحب المقام الرفيع محمد شريف صبي باشا - وعلى ماهر باشا - وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر - وحضرات أصحاب المعالي الوزراء .. وحضرات أصحاب المعالي الحائزين لرتبة الامتياز، وحضرات أصحاب السعادة والفضيلة والعزة رئيس لجنة قضايا الحكومة ورئيس ووكيل المستشارى محكمة النقض والإبرام - ورئيس المحكمة العليا الشرعية - والنائب العمومى - مفتى الديار المصرية - ونقيب الأشراف - وحضرة صاحب السماحة شيخ الطرق الصوفية - وحضرات أصحاب الفضيلة نائب أعضاء المحكمة العليا الشرعية والمستشارين الملكيين، وحضرة الأفوكاتو العمومى لدى محكمة النقض والإبرام، وحضرة صاحب العزة محافظ القاهرة - وحضرات كبار موظفى الأزهر والمعاهد الدينية، ومفتى وزارة الأوقاف ونقيب المحامين الشرعيين، وكبار أعيان القاهرة، وكبار موظفى القصر الملكى».

واستطرد المحرر قائلاً: « وفى الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة والعشرين مساءً تحرك الركاب العالى الملكى من قصر عابدين العامر، وفى المعية السنية حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى شيخ الجامع الأزهر، قاصداً إلى مجلس الرفاعى للاستماع إلى الحديث الدينى الذى ألقاه فضيلة الأستاذ الأكبر، ثم غادر جلالته المسجد مودعاً بمثل ما استقبل به من الحفاوة والتكريم، عائداً فى سلامة الله إلى قصر عابدين.

وفى يوم الإثنين ١٤ أكتوبر عام ١٩٤٠ (١٢ رمضان ١٣٥٩ هـ) أقيمت بقصر عابدين مأدبة الإفطار الملكية الثانية وقد دعى إليها عدد أقل من الشخصيات بالمقارنة بما تم دعوته فى المأدبة الأولى، ومن تلك الشخصيات صاحب المجد النبيل عباس حليم - وصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وصاحب العزة رئيس مجلس الشيوخ... ورئيس مجلس النواب، وصاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا، ولفيف من رجال الأدب والمال والأعمال وكبار الأعيان... إلخ.

ثم توجه جلاله الملك بعد ذلك فى تمام الساعة التاسعة إلى مسجد محمد على بالقلعة ليشهد جلالته الاحتفال بإحياء ذكرى محمد على باشا - رأس الأسرة الملكية الكريمة - وألقى صاحب العزة عبد الله عفيفى بك بين يدي جلاله كلمة مناسبة .

وفى يوم ١٧ أكتوبر ١٩٤٠ أقيمت مأدبة الإفطار الملكية الثالثة بقصر عابدين العامر حيث دعى إليها كبار ضباط الجيش المصرى.

أما المأدبة الملكية الرابعة فقد دعى إليها مدير و العموم - وأعيان محافظة الإسكندرية - وبعض كبار الموظفين - وكبار رجال القضاء والمستشارين، وفي تمام الساعة التاسعة مساءً قصد جلاله الملك إلى مسجد السيدة عائشة رضى الله عنها؛ حيث استمع إلى الحديث الديني لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر.

وفي اليوم السادس والعشرين من رمضان أقيمت المأدبة الملكية الخامسة والأخيرة وهى خاتمة المآدب، وحضرها جلاله الملك، ودعى إليها كبار رجال الدولة وأعيان القاهرة والأقاليم ممن لم يحضروا المآدب السابقة، وفي الساعة الثامنة مساءً توجه جلاله الملك إلى مسجد الفتح ليرأس الاحتفال بليله القدر ويستمع للكلمة التى ألقاها بين يدي جلالته صاحب العزة الأستاذ عبد الله عفيفى بك، أمام الحضرة الملكية، فى موضوع ليلة « القدر ونزول القرآن »<sup>(١١)</sup>.

وفي رمضان الذى أهل على المملكة المصرية فى عام ١٣٦٠ هـ تابعت مجلة «المصور» فى عددها الصادر فى الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٤١ فى مقالة بعنوان [مولانا استقبال أصحاب السعادة والأفندية أيضاً] - تابعت - وقائع دعوة جلاله الملك فاروق لرجال القصور والخاصة الملكية لمائدة إفطار رمضانية، فى قصر عابدين.

قالت مجلة المصور: كان كبار رجال القصر ممن يحظون بشرف المآدب الملكية فى رمضان، وكان البروتوكول مقصوداً على أصحاب المعالي والسعادة والعزة، وتفضل جلالته بإقامة مأدبة عائلية فى قاعة المآدب الكبرى بقصر عابدين نال شرف حضورها أربعائة موظف من أكبر درجة، أى من أصحاب المعالي فنازلاً إلى الأفندية وموظفي الدرجة التاسعة، وقد شملهم جلاله الملك جميعاً بعطفه الكريم. وسمع جلالته بالتيشير على صغار الموظفين بأن يحضر جميع المدعوين بالثياب العادية الغامقة.

وكانت مأدبة فاخرة قدم فيها شراب البرتقال والسجائر ثم تلاهما الأصناف الآتية: حساء ساخن بالخضر، حبل بلدي بالخلطة، وفاصوليا بالدجاج، وديك رومي فاخر بالبوظاس وأرز مع لبن زبادي، وحلاوة بالقشدة وخشاف وفواكه وقهوة. وقد أكل الموظفون هنيئاً مريئاً ونعموا بالعطف السامي، والرعاية الكريمة. وأردف المصور:

كانت هذه المأدبة مظهرًا جميلاً وقدوة حسنة للرؤساء فيما يجب أن يكون بينهم وبين مرءوسيهم كباراً وصغاراً من عطف وتعاون ورعاية وجو عائلي.

ولم يشأ صاحب الجلالة أن يجرم من هذا العطف جميع من يتشرفون بخدمة السراي، فظفر الخدم والسائقون والجنائنية بنفس الطعام الذي أكل منه الملك<sup>(١١)</sup>.

وفي عددها الصادر بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٥٠ الموافق الثامن من رمضان ١٣٧١ هـ نقلت المصور تفاصيل الاحتفال بأول أيام رمضان في قصر رأس التين بالإسكندرية، فقد بدأ الوزراء والكبراء ورجال الدولة يقدون على القصر في أول أيام الصوم، يستمعون إلى القرآن الكريم، وهو يذاع من القصر كل عام.

وقد أقيم سرادق على مقربة من القصر لاستقبال الذين يريدون أن يستمعوا إلى الذكر الحكيم، وقد ذهب سرب من السيدات إلى السرادق، رغبة في الاستماع إلى القرآن، ولكن قيل لهن إن التقاليد لا تعرف ذلك، فاكتمن بالجلوس على الحشائش قريباً من السرادق، وبعد لحظات أقبل فريق من جنود الجيش المصري المعسكرين في ثكنات مصطفى باشا، على هيئة «طواير»، ثم اتخذوا أماكنهم داخل السرادق، ويتسع السرادق لخمسة آلاف شخص ويمتلئ كل ليلة بأبناء الشعب من مختلف الطبقات.

وقد أمر جلالته الملك بإقامة مأدبة إفطار ملكية، دعا إليها الأمراء والوزراء ورجال الأزهر والسلك السياسي المسلمين ورؤساء ووفود جامعة الدول العربية، وأقيم سرادق كبير في حديقة القصر على قرب من «السلامك»، ثم تفضل جلالته الملك فصافح مدعويه بيده الكريمة، بعد أن حياهم وهو يدخل السرادق بقوله: «كل عام وأنتم بخير»، وقد سمح لأعضاء وفود جامعة الدول بأن يشهدوا المائدة بملابسهم العادية، فكانت مفاجأة كريمة لهم. وفجأة انقلب الجو وهب نسيم بارد من البحر، وكان بعض المدعويين يرتدون ملابس الصيف الخفيفة، فأحسوا بهذا التغيير فأسرعوا بعد الإفطار ينشدون شيئاً من الدفء.

وإذ أذن المؤذن أدير على الحاضرين «شراب الورد» ووضع النحاس باشا بضع قطرات من الدواء في كوب، وقد تمنى له الحاضرون الشفاء.

وبعد أن انتهى المدعوون من تناول الإفطار، وقف جلالة الملك، وقال لضيوفه: «كل عام وأنتم بخير، وأرجو أن تشعروا بأنكم في بيوتكم».. وانصرف جلالته وأخذ الحاضرون يتناولون القهوة والسيجار، وقد أمَّ الأمير عبد الكريم الخطابي بعض المدعوين، وأمَّ الشيخ أبو العيون غيرهم في ركن آخر من أركان السرادق.

ولم ينس رجال القصر أولئك الذين ساروا في خدمة كبار المدعوين وهم سائقو السيارات، وأقيمت لهم مائدة أخرى، يتناولون عليها الطعام ثم انتقلوا إلى السرادق، حيث يستمعون إلى آيات الذكر الحكيم<sup>(١٢)</sup>.



وما زال الاهتمام بإفطار عابري السبيل يشغل حيزًا كبيرًا من اهتمام المصريين، على اختلاف طبقاتهم، ففي القرى ذات الجذور والملاح العربية بمحافظة أسوان مازالت عادة تجمع أصحاب المنازل الواقعة على الطرق الرئيسية يحمل كل صاحب بيت ( صينية طعام ) يستضيفون عليها العابرين وركاب السيارات المسافرين<sup>(١٣)</sup>.

وفي قنا إذا تصادف رمضان مع موسم محصول الطماطم فإن تجار الطماطم يقيمون مآذب الإفطار الجماعي للمسافرين على الطريق ويشاركونهم إياه<sup>(١٤)</sup>.

ويحرص أبناء البادية في سيناء على فتح المقاعد والدواوين للإفطار الجماعي طول شهر رمضان كنوع من التكافل الاجتماعي؛ حيث يصطحب كل رجل أطفاله لتعويدهم على ذلك، ولا يبقى في المنزل سوى السيدات والفتيات والشيوخ كبار السن فيتناول الجميع الإفطار معًا، أما الضيف فيكون له اهتمام خاص، حيث تترك له مائدة مستقلة تسمى «طبلية الضيف». وقبل الإفطار بساعة تجذب أبناء القبيلة على طول طريق السفر الممتد من العريش إلى القنطرة يجلسون أمام الطريق وهم يشعلون النار ليراهم القادم من بعيد ثم يستوقفونه لإجباره على الإفطار معهم بالديوان البدوي العام، وغالبًا ما تحتوي الطبلية على مختلف أنواع الطعام ومن العادات ألا يسأل الضيف عن اسمه أو عمله أو حتى ديانته أو جنسيته فهو ضيف فقط<sup>(١٥)</sup>.

ويسبق إعداد الإفطار إشعال النيران والمواقد المتوجهة حتى يقبل عليها السائرون أو من يكون تائها في الصحراء ثم تستخدم في إعداد الشاي والقهوة بعد ذلك.

ويحرص كل فرد من أفراد القبيلة طول رمضان على إحضار إفطاره ويضع كل منهم الأطباق التي أحضرها على مائدة كبيرة حتى يتناول الغني طعام الفقير ويتناول الفقير طعام الغني. وعند أذان المغرب يقومون للصلاة بعد توزيع التمر والمياه والعصائر، ثم يقبلون على المائدة فيأكل كل فرد من جميع الأطباق الموجودة دون فارق.

ويبدأ تجهيز مجلس الإفطار عقب صلاة العصر إذ يتوافد جميع رجال وشباب وأطفال القبيلة ويبدءون للتجهيز للإفطار وإعداد الشاي والقهوة حتى يحين موعد أذان المغرب<sup>(١١)</sup>.

وبعد الإفطار تترك المائدة ولا يرفع عنها الطعام حتى بعد صلاة التراويح تحسباً لوصول أي ضيف أو عابر سبيل أو مار على الطريق ولم يفطر<sup>(١٢)</sup>.  
موائد الرحمن

لا يكاد المتجول بمعظم المدن المصرية في أيام رمضان من زماننا الحالي، خصوصاً في العواصم؛ أن ينزل عينيه عن لافتة تعلن عن وجود مائدة الرحمن إلا ويفاجأ بأخري. في العصور السابقة كان أصحاب الموائد معلومين للناس، أما موائد العصر الحالي فالفقراء لا يعرفون عنها أكثر من مكان إقامتها، حسبها تشير اللافتات. في موائد وسط البلد - على سبيل المثال - يجلس المحتاجون إلى ترايزة كبيرة مستطيلة، هي عبارة عن مجموعة من الترايزات الصغيرة المرصوفة إلى جوار بعضها البعض، بانتظار لحظة الإفطار.. التي ما إن تحين، حتى يهرع القائمون على أمر المائدة إلى تقديم الطعام للناس.

هذا النوع من الموائد يحترم إلى حد كبير آدمية الإنسان وعوزه فيقدم له الطعام بطريقة لافتة بالإنسان، دون ضغط نفسي عليه، أما الطعام فغالباً ما يكون قد أعد في ناحية قريبة من المائدة، محل مغلق - مثلاً - يؤجر خصيصاً لهذه المناسبة، أو في نهاية زقاق أو مدخل بيت.

وعن القائمين على أمر الموائد فهم - غالبًا - أناس يستأجرون لهذه المناسبة فيما بين طهارة وجاهات ومقدمي طعام ويشرف عليهم شخص محدد هو المسئول عن نوعية الطعام الذي يطبخ يوميًا وكمياته.

ولم يعد صاحب المائدة أو مقيمها فردًا واحدًا، بل هناك العديد من الموائد التي يشترك في الإنفاق عليها أكثر من ممول، خصوصًا التجار الذين تجمعهم رابطة الجوار والمصالح المالية، في الأحياء التجارية المهمة.

أما موائد الجوامع فإن الطعام في أغلب الحالات يعد خارجها، ويأتي به المسئولون عنه إلى الجامع لتوزيعه فقط وقت الإفطار. وفي قليل من الحالات يعد الطعام داخل الجامع نفسه، خصوصًا الجوامع الكبرى التي تتمتع بمساحات كبيرة غير مستغلة. وفي بعض الجوامع الحديثة الواسعة يعد الطعام ويقدم في ساحته وملحقاتها، محققين بذلك صون كرامة المحتاجين والرحمة بعوزهم.

أما عن موائد أشهر جوامع المحروسة، وهو جامع «الحسين» فما إن يرفع الأذان حتى تجرد صحن الجامع قد تحول إلى مائدة كبيرة، لذا يحرص خادمو الجامع على تخصيص جزء محدد منه لتناول الطعام فيه، حتى لا تمتد مخلفات الطعام إلى أماكن الصلاة.

وعلى حين يجتمع الرجال والنساء معًا على مائدة واحدة إلى جوار بعضهم البعض في موائد الشوارع؛ فإن موائد الجوامع تحرص على تخصيص مكان للسيدات وآخر للرجال.

أغلب هذه الموائد تتكون قائمة طعامه من طبق أرز وصنف من الخضار المطبوخ وقطعة لحم متوسطة الحجم أو قطعتين صغيرتين، وحين لا يتوافر الأرز فإن (المكرونه) تكون هي البديل. وهناك بعض الموائد تخرج عن المألوف وتقدم وجبة عبارة عن كوب زيادي وقرصة أو رغيف فينو ويضع حبات من التمر.

ومن الأمور الجديرة بالتأمل خلال تقديم الطعام وتناوله، السلوكيات التي تمارس سواء من قبل القائمين على أمر هذه الموائد أو المتفاعلين منها، إذ يوجد صنف من رواد هذه الموائد لا تكفيه الوجبة المقررة، فيلجأ للتحويل على مقدم الطعام ليحصل على وجبة إضافية أو قطعة لحم أخرى، ومن هنا تنشأ العديد من المشكلات التي تنتهي في كثير



من الأحيان بمشاجرة بين المستول عن المائدة وبين الناس، إحدي هذه المشاجرات -  
بجامع الحسين - وصل ذات مرة إلى حد العنف وإطلاق اللكمات العنيفة من قبل مقدم  
الطعام إلى أحد طالبيه الذي كان يطلب وجبة لشيخ مسن لم يستطع أن يتقدم بنفسه  
للحصول على الطعام.

ولأن يوم الأحد هو عطلة القاهرة، فإن بعض الموائد تحتجب بالتالي يوم الأحد ليقع  
الفقراء وعابرو السبيل الذين يعلمون بمكان المائدة في أزمة ويصبح عليهم أن يبحثوا  
عن مائدة أخرى، وهو ما يشير إلى أن الغرض الأساسي من هذه الموائد هو إطعام صنف  
معين من الناس، وهم العاملين بالمحال التجارية والورش، وليس عموم المحتاجين،  
كما أن الموائد لم تعد مقصورة على الفقراء أو المحتاجين، لقد تغير هذا المفهوم نفسه كما  
تغيرت أحوال المصريين الاقتصادية واختلفت معايير الفقر والغني، فقد بات يلجأ إليها  
عابرو السبيل الذين اضطرتهم ظروفهم للتواجد خارج المنزل في هذه الساعة إما لشراء  
حاجات العيد أو التسوق ولا يجدون حرجاً من الجلوس إلى هذه الموائد، خصوصاً مع  
الارتفاع الشديد في أسعار الطعام بمحلات المأكولات الجاهزة خلال شهر رمضان،  
وما يثير التأمل هو أن أغلب هذه الموائد معلومة الأماكن للمعدمين الذين يضمنون  
وجبة إفطار مقبولة إلى حد كبير طول الشهر الكريم، ويتخلصون فيها من هم التفكير  
في لقمة يقتاتون بها، لذا تتسم نوعية المترددين على معظم هذه الموائد بالثبات ومن ثم  
تنشأ بينهم بوادر علاقات اجتماعية، فثلاثون يوماً من التلاقي الجسدي المتواصل كفيلاً  
بتلاقي الأرواح.

## السبيل

السبيل وحدة معمارية كانت تلحق بأحد أركان المسجد للشرب وإرواء السابلة، وفي  
أغلب الأحيان، كان يعلوه مكان لتحفيظ الأطفال القرآن يعرف بالكتّاب، ثم أصبحت  
هذه الأبنية بعد ذلك منفصلة، كما هو الحال في كثير من أسبلة القاهرة واستانبول. وقد  
اهتم سلاطين المماليك وأمراؤهم بإنشاء أسبلة للناس وأحواض السقي للحيوان في  
مختلف مواضع القاهرة<sup>(١٨)</sup>.

كان السبيل يعمل عن طريق رفع الماء من بيارة الصهريج بواسطة دلو ويُصب في حوض مرتفع وينساب منه الماء خلال مجار من الرصاص إلى حوض آخر موجود أعلى لوح الشذروان (السلسيل)، حيث ينساب الماء على سطحه المتموج متجهًا إلى أسفل ليتجمع في حوض أسفل السلسيل، ليتقل إلى أحواض الشرب في واجهة السبيل؛ حيث توجد كيزان وطاسات الشرب ليُشرب المارة الماء العذب البارد المزوج بهاء الورد.

وكانت سعة صهريج كل سبيل من الماء هي التي تتحكم في تحديد أيام وساعات عمله طول السنة، فكانت كمية الماء المستهلكة يوميًا مقننة ومحسوبة بحيث يغطي مخزون الصهريج من الماء الاستهلاك لمدة سنة أو نصف سنة حسب ما يحدده المنشئ طبقًا لقدرته المالية وما تدره الأوقاف التي أوقفها للصرف من ريعها على تشغيل السبيل<sup>(١٩)</sup>.

وكانت أغلب الأسبلة تعمل طول النهار وكل يوم على مدار السنة، وكان بعضها يفتح شبابيكه لتزويد المارة بهاء الشرب من الصباح حتى العصر، وبعضها يعمل من الظهر حتى العصر ووقت الحر الشديد فقط، وأسبلة تعمل في فصل الصيف فقط بناء رغبة منشئها من الظهر إلى العصر. أما في شهر رمضان فكانت الأسبلة تعمل من وقت الغروب حتى الفجر، والقليل منها كان يعمل من وقت المغرب حتى صلاة التراويح<sup>(٢٠)</sup>.

وكان يقوم بتشغيل السبيل وإدارته وتقديم الخدمة به بطريقة منظمة مجموعة من الأفراد حسب شروط تحددها وثيقة الوقف، وكان على رأسهم ناظر الوقف الذي يقوم بإدارة أوقاف الواقف ويرعى مصالحها ويقوم بتعميرها وتنميتها وتحصيل الإيرادات وأنفاقها حسب شروط الواقف. أما الموظف الرئيسي في تشغيل السبيل فهو المزملاقي، وكان عليه فتح وغلق السبيل في الأوقات التي حددها الواقف، ونقل الماء من الصهريج وصبه في أحواض المزملة، وتفريق الماء على المارة وإنارة السبيل من الداخل والخارج خصوصًا في شهر رمضان، وحفظ أدوات السبيل وحرصتها وتظيفها يوميًا، والرش أمام السبيل، وتظيف حجرة التسييل وتخفيف الأحواض في نهاية كل فترة عمل استعدادًا للفترة التالية وذلك حرصًا على الصحة العامة.

وفي العصر العثماني تطورت وظيفة المزملاقي وأصبح له معاون أو أكثر يطلق عليه اسم «السَّيْلَجِي» يقوم برفع الماء من الصهريج وملء الأحواض، وأصبح المزملاقي يعمل على شبك التسيل فقط ومزج الماء بهاء الورد والإشراف العام على خدمات السيل.

كان يشترط في المزملاقي أن يكون سليم الجسم خاليًا من الأمراض وبصفة خاصة الجذام، وأن يكون رجلاً من أهل الخير والدين والصلاح نظيف الثياب والبدن، سالم من العاهات، قوى قادر على العمل، وأمين من أهل الثقة جميل الهيئة. واشترط فيه أن يُسهل الشرب على الناس ويعاملهم بالحسنى والرفق وإدخال الراحة عليهم. وكان المزملاقي يتقاضى مرتبًا شهريًا أو سنويًا يقدره الواقف حسب قدرته المالية، وفي العصر المملوكي كان يتقاضى إلى جانب مرتبه كمية من القمح تصل إلى إردب شهريًا إلى جانب أرطال من الخبز يوميًا، وفي العصر العثماني كان يُصرف له بدل نقدي ثمن جراية وكُسوة، وفي بعض الأحيان تصرف له الجراية عينية وتقدر بثلاثة أو أربعة أرغفة يوميًا زنة كل رغيف ½ رطل وهذا دليل على أن المزملاقي لم يكن يغادر عمله أثناء النهار وبصفة خاصة في وقت الظهر<sup>(٢١)</sup>.

ولا يزال بالقاهرة القليل من الأسبلة التي شيدها المماليك وأمرؤهم، وفيها ثلاثة أسبلة شيدت قبل القرن السابع عشر. أما ما شيده من الأسبلة في القرن ١٧ - فعددها ٣٣، وعدد ما شيده منها في القرن ١٨، ٣٣. وفي القرن ١٩ شيدها ١٣ فقط، ومن المحتمل أن ما شيده منها في أوائل القرن العشرين لا يزيد على أربعة. ويعتبر سبيل والده عباس بالصليبة أفخمها شيده في عام (١٨٦٧)<sup>(٢٢)</sup>.

إذا كان السبيل بشكله المعماري التقليدي قد اختفى من ديوان الحياة المصرية، فإن الناس مازالوا يستخدمون الاسم بإطلاقه على مبردات الماء التي يحرص الأغنياء أو الناذرون على إقامتها في الشوارع إرواء للسابلة، وهي ظاهرة متشرة في ربوع مصر كافة، وتؤدي نفس وظيفة السبيل القديمة، باستثناء أن السبيل القديم كان يراعى عند إنشائه تخصيص جانب منه لسقاية الدواب كما تقدم.

## الهوامش

- (١) نظرا لأهمية هذه الدراسة وتفردا فإننا نركز عليها بصورة أساسية في هذا الجزء، وقد نشرت الدراسة على شبكة الإنترنت، موقع إسلام أون لاين، تاريخ الدخول: ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٥.
- (٢) السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية.
- (٣) عزت السعدني: عزيزي لؤلؤ الحاجب، جريدة الأهرام، ٦-٩-٢٠٠٨.
- (٤) أحمد حسين الطماوى، صور رمضانية في القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩، أغسطس ٢٠١٠.
- (٥) حسن عبد الوهاب: رمضان
- (٦) السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية.
- (٧) الجفنة هي القصعة الكبيرة، والجمع (جفان).
- (٨) د. سمية حسن محمد إبراهيم، العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧، ص ٣٣-٣٤.
- (٩) وُلِد في ١١ فبراير ١٩٢٠، وتولى في ٦ مايو ١٩٣٦.
- (١٠) نبيل السمالوطي، شهر رمضان في جريدة «مصر» ومجلة «الراديو المصرى» عام ١٩٤٠، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩، أغسطس ٢٠١٠.
- (١١) عن: جريدة المصرى اليوم، الخميس ١٣ سبتمبر ٢٠٠٧ عدد ١١٨٧
- (١٢) المرجع السابق.
- (١٣) دعاء صالح، رمضان وآب اللهاب، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٤٠، سبتمبر ٢٠١٢.
- (١٤) دعاء صالح، رمضان وآب اللهاب، مرجع سابق.
- (١٥) أحمد سليم : حكايات رمضانية سيناوية، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢ / ٨ / ٢٠٠٩.

(١٦) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصري اليوم، ٢٠٠٨/٩/١.

(١٧) أحمد سليم: عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائي، بتصرف يسير.

(١٨) عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص ١٢١-١٢٩.

(١٩) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر. القاهرة: ١٩٨٠. حسنة نويصر: مجموعة سُبل قايتباي. ص ١٩. و محمود الحسيني: الأسبلة العثمانية. ص ٢٩٩-٣٢٢.

(٢٠) فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الثالث، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: إبريل نيسان ٢٠٠٤، ص ٢٣٠.

(٢١) المرجع السابق، ص ٢٣٤.

(٢٢) عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص ١٢١-١٢٩.



## آداب وفنون

- أغاني شهر رمضان في الإذاعة والسينما
- أغاني شهر رمضان الشعبية
- شهر رمضان في الأفلام السينمائية
- شهر رمضان في الأمثال الشعبية
- التوحيش
- شهر رمضان في ديوان الشعر العربي
- نثر رمضان
- شهر رمضان في ذاكرة الأدباء والكتّاب
- شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين
- القوما
- المسحراتى
- حالو يا حالو
- وحوى يا وحوى





## أغاني شهر رمضان في الإذاعة والسينما

منذ أنشئت الإذاعة المصرية عام ١٩٣٤م، وهي تحتفي بشهر رمضان احتفاءً خاصاً، سواء بنقل الاحتفالات الدينية، التي تقام في المساجد والسرادات، أو بتقديم البرامج والمسلسلات الدينية، والأوبريتات والصور الغنائية، وقد احتلت الأغنية نصيباً كبيراً من هذا الاهتمام، فقدمت على مدار عمرها عشرات الأغاني المتعلقة بهذا الشهر، ورغم أنه لا يوجد إحصاء دقيق لهذه الأغاني، أو ثبت بنصوصها فإن هناك العديد منها حظي بشهرة واسعة، وأصبحت واحدة من التقاليد والارتباطات الرمضانية الراسخة، التي تحيل المستمع فور انطلاقها إلى الأجواء الرمضانية.

ولم يقتصر تقديم الأغاني الرمضانية على الإذاعة وحدها، إنما امتد مجالها - كذلك - إلى الأفلام السينمائية التي قامت بتوظيف العديد من هذه الأغاني داخل أحداثها، للتعبير عما يمثله هذا الشهر لجمهور المصريين على مختلف أحداثه ومظاهره الاحتفالية.

وقد استلهمت بعض هذه الأغنيات نصوصاً وموتيفات شعبية شهيرة قامت عليها، مثل: «وحوي يا وحوي» و«حاليو يا حالو»، اللتين استلهمتا مرات عديدة، إضافة إلى بعض أغاني السحير، التي وظفت عبارات شعبية شهيرة وراسخة كان يستخدمها المسحرون. ويمكن تقسيم هذه الأغاني إلى أقسام أربعة رئيسية، هي: أغاني استقبال الشهر، أغاني الاحتفال به وإحياء ليليه، أغاني السحير، ورابعاً: أغاني الوداع، أو ما يمكن أن يطلق عليها أغاني التوحيش. وندرج هنا نصوص عدد من أشهر هذه الأغاني سواء التي أنتجتها الإذاعة، أو قدمت في سياق الأفلام.



أولاً: من أغاني الاستقبال

## وحوي يا وحوي

غناء وتلحين: أحمد شريف وسميرة وصفي، كلمات: حسين حلمي المانسترلي.  
أذيعت الساعة ٢٠، ٨ ق مساء الثلاثاء ١١ رمضان ١٣٥٨ هـ / ٢٤ / ١٠ / ١٩٣٩،  
وأعاد أحمد شريف تسجيلها بصوته منفردًا وأذيعت يوم الجمعة الموافق  
٢٦ / ٩ / ١٩٤١، وأعاد أحمد عبد القادر تقديمها للمرة الثالثة وهو التسجيل المنشور  
الآن.

وحوي يا وحوي.. إياحه

رحت يا شعبان.. إياحه

وحوينا الدار..

جيت يا رمضان

وحوي يا وحوي.. إياحه



هل هلالك والبدر أهو بان

ياللا الغفار

شهر مبارك وبقي له زمان

ياللا الغفار  
ما أحلي نهارك بالخير مليون  
وحوي يا وحوي..  
إياحا  
رحت يا شعبان..  
إياحا  
وحوينا الدار..  
جيت يا رمضان  
وحوي يا وحوي..  
إياحا

\*\*

جيت بجمالك سققوا يا عيال  
يا للا الغفار  
ما أحلي صيامك فيه صحه وعال  
ياللا الغفار  
نفدي وصالك بالروح والمال  
وحوي يا وحوي..  
إياحا  
رحت يا شعبان..  
إياحا  
وحوينا الدار..

جيت يا رمضان  
وحوي يا وحوي..  
إياحا

\*\*\*

طول ما نشوفك قلبنا فرحان  
ياللا الغفار  
في الدار خيرك أشكال والوان  
يا للا الغفار  
بكره في عيدك نلبس فستان  
وحوي يا وحوي..  
إياحا  
رحت يا شعبان..  
إياحا  
وحوينا الدار..  
جيت يا رمضان  
وحوي يا وحوي..  
إياحا

\*\*\*

هاتي فانوسك يا أختي يا إحسان  
يا للا الغفار  
آه يا ننوسك في ليالي رمضان

يا لالا الغفار  
ماما تبوسك وباباكي كمان  
وحوي يا وحوي..  
إياحا  
رحت يا شعبان..  
إياحا  
وحوينا الدار..  
جيت يا رمضان  
وحوي يا وحوي..  
إياحا.

## ألف مرحب يا رمضان

أداء: فرقة من طالبات قسم الموسيقى بالمعهد العالي لمعلميات الفنون، تأليف: أحمد فؤاد شومان، ألحان: الأنسة/ إحسان محمد شفيق. أذيعت الساعة ٧, ٥٠ ق مساء الأربعاء ٨ رمضان ١٣٦٢ هـ الموافق ٨ / ٩ / ١٩٤٣ م.

يا ألف مرحب يا رمضان  
هليت وكل الكون فرحان  
ع المسلمين بالأنوار جيت  
وبالفرح ع الناس هليت  
يا شهر غالي يا شهر الصوم  
تعود لنا دايبا وتدوم  
شهر النبي شهر الأنوار  
شهر الهنا  
يا للا الغفار  
والرزق فيه أشكال وألوان  
يا ألف مرحب يا رمضان .

## أهلا رمضان

غناء: محمد فوزي والمجموعة

أهلا أهلا يا رمضان  
بعد الغيبه هلالك بان  
شهر عباده وزكا وصيام  
تحلي أيامه بذكر الله  
شهر البر على الإسلام  
جاي بالخير والسعد معاه  
وفرحنا بك بعد غيابك..  
يا رمضان  
مرحب مرحب والله زمان  
بعد الغيبه هلالك بان  
هل هلاله شهر النور  
عمره ما يخلف المواعيد  
شهر كريم و هنا و سرور  
بيهنينا وبعده العيد  
و ف أيامك يا رمضان  
يحلي صيامك يا رمضان  
جبت الخير أشكال و ألوان  
بعد الغيبه هلالك بان



كل منانا أيامه تطول  
وفي ليليه نسمع قرآن  
قيلى الشمع وبنى وقول  
ياهنا بشهر الإحسان  
وفرحنا بك بعد غيابك..  
يا رمضان  
يا مفضل عند الرحمن  
بعد الغيبه هلالك بان.

## مرحب شهر الصوم

غناء: عبد العزيز محمود.

مرحب شهر الصوم مرحب  
لياليك عادت بـ أمان  
بعد انتظارنا وشوقنا إليك  
جيت يا رمضان  
مرحب بقدمك يا رمضان  
ونعيش ونصومك يا رمضان  
بعد انتظارنا وشوقنا إليك  
جيت يا رمضان رمضان



زيك ما فيش بين الأيام  
كلك حسنات  
بيزيد معاك نور الإسلام  
فضل وبركات  
لياليك محلاها يا رمضان  
ويا محلا بهاها يا رمضان  
بعد انتظارنا وشوقنا إليك  
جيت يا رمضان



كل العباد فيك فرحانه  
بين صلا وصيام  
حتي العيون فيك سهرانه  
مش راضيه تنام  
ليل ويا نهار  
وكبار وصغار  
بعد انتظارنا وشوقنا إليك  
جيت يا رمضان

\*\*\*

ملاهم فيك بعد ما نطر شمع منور  
ماسكين فوانيس دا فانوس أحمر  
وفانوس أخضر  
يرقصوا ويغنوا  
يا رمضان  
فرحم واتهنوا  
يا رمضان  
بعد انتظارنا وشوقنا إليك  
جيت يا رمضان

\*\*\*

المؤمن يستني هلالك  
في حان وسعيه

وتروّح وتزید فی جلالک أيام العید  
فیها خیر وأمانی  
یا رمضان  
وتجینا من تانی  
یا رمضان  
بعد انتظارنا وشوقنا إلیک  
جیت یا رمضان  
مرحب شهر الصوم مرحب  
لیالیك عادت فی أمان  
بعد انتظارنا و شوقنا إلیک  
جیت یا رمضان  
مرحب بقدمک یا رمضان  
ونعیش و نصونک یا رمضان

## رمضان جانا

غناء: محمد عبد المطلب.

رمضان جانا..  
وفرحتا به..  
بعد غيابه..  
ويقاله زمان  
غنوا معانا.. شهر بطوله..  
هنوا وقولوا.. أهلا رمضان  
قولوا معانا.. أهلا رمضان  
رمضان جانا.. أهلا رمضان  
بتغيب علينا وتهجرنا..  
وقلوبنا معاك  
وفي السنة مرة تزورنا  
وينستاك  
من إمتي وإحنا بنحسب لك..  
ونوضب لك..  
ونرتب لك.. أهلا رمضان..  
رمضان جانا  
قولوا معانا.. أهلا رمضان

\*\*\*

يوم رؤيتك لما تحيينا.. زي العريسان ..  
نفرح وننصب لك زينه.. أشكال وألوان  
في الزفة نبقي نطبل لك..  
ونقسم لك..  
ونقول لك أهلا رمضان..  
رمضان جانا قولوا معانا..  
أهلا رمضان



يا مسحراتي دق لنا.. تحت الشباك  
سمعنا وافضل غني لنا.. للفجر معاك  
وحلقنا نعمل هليله  
تلاتين ليلة حلوة جميلة  
أهلا رمضان.. رمضان جانا  
قولوا معانا.. أهلا رمضان.

## افرحوا يا بنات

غناء: الثلاثي المرح.

افرحوا يا بنات ياله وهيصوا  
رمضان أهو نور فوانيسه  
يا حلاوة التين  
والقمر الدين  
وإكياس النقل وقراطيسه

\*\*\*

المغربية راح ناطر  
ساعة أدان الله أكبر  
ونعلي حسنا ونقول هيه  
ونجري ع البيت نتنطط  
وقلوبنا م الفرحة تزأطط  
ونقول لبعضنا رمضان جه

\*\*\*

فوانيسنا داياح تنور  
ونلف ف الحارة ندور  
علي القهاوي نغنيهم  
وهما يدونا العاده

ونشتري شمع زياده  
نولع الفوانيس بيهم

\*\*\*

بعد الفطار دوغري  
نحلي بكنافته وقطايفه تملي  
وكل يوم أفرحنا تزيد  
يفوت علينا قوام يجري  
ونقول له لسه عليك بدري  
يقول دا جي ورايا العيد



## آهوجه يا ولاد

غناء: الثلاثي المرح.

هَيَّصُوا يَا وِلَاد  
زَأَطَطُوا يَا وِلَاد  
فِي كُلِّ عَامٍ وَيَانَا مَعَاد  
وَعَمْرَهُ مَا بِيخْلَفُ لِي مَعَاد  
آهَوَجُهُ يَا وِلَاد..  
آهَوَجُهُ يَا وِلَاد

\*\*

جَبْتُ لَنَا مَعَاكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ  
مِ الصَّبِيحِ نَقُومُ وَنَحْضُرُ لَهُ  
بِالْقَمَرِ الدِّينِ وَبِلُحِ عَلَى تَيْنِ  
مِ الْمَغْرِبِ لِلْمَدْفَعِ وَاقْفِينِ

\*\*

قَالُوا فِيهِ  
وَحُوِي يَا وَحُوِي  
إِيَا حَا  
وَكِيمَانَ وَحُوِي  
إِيَا حَا  
جَيِينَا الْفَوَانِيْسَ أَحْمَرَ وَأَخْضَرَ

بعد ما نفطر راح نتحضر  
نملا جيونا بندق وزيب  
ونهادي بيهم كل حبيب

\*\*\*

قالوا فيه  
لولا الحبايب لولا جينا  
ياللا الغفار  
ولا تعبنا رجلينا  
ياللا الغفار

\*\*\*

آهو جه يا ولاد... آهو جه يا ولاد  
بعديك العيد وينفرح  
واللبس جديدح نعيد به  
كحك بسكر راح نفطر به  
والزكا بإيديناح نوديه

\*\*\*

قالوا فيه  
إدونا العاده  
الله يخليكو  
الفانوس طقطع  
الله يخليكو  
الشمعه خلصت  
الله يخليكو

## رمضان

غناء: محمد سلمان، كلمات: جليل البنداري، تلحين: عزت الجاهلي، من فيلم «الخير والشر»، إنتاج ١٩٤٦.

غنيت لك من قلبي  
وفرحت يا رمضان  
وقدومك مع حبي  
خلى الكون فرحان  
بكره نول أمانينا  
والأيام تصفى لنا  
والدنيا تهينا  
ولا شيء يشغل بالنا  
وتروق لي وأغنى لك  
وأقول أنا فرحان  
غنيت لك من قلبي  
وفرحت يا رمضان  
بتجينا ف مواعيدك  
وتزيل عنا هموم  
ولا تخلف يوم عيدك  
بعد الثلاثين يوم  
وبنلبس ونعيد والكون لك فرحان  
غنيت لك من قلبي  
وفرحت يا رمضان.

## هاتوا الفوانيس

غناء: محمد فوزي.

هاتوا الفوانيس يا ولاد..

هاتوا الفوانيس

ح نرف عريس يا ولاد..

ح نرف عريس

ح يكون فرحه ثلاثين ليله

ح نغني ونعمل هليله

وح نشبع من حلوياته

هاتوا الفوانيس يا ولاد..

هاتوا الفوانيس

\*\*\*

كل حبايه راح يعزمهم

متواعدين وياه..

ح يفطرهم ويسحرهم

والخير جايبه معاه

ح نغير ريقنا على خشافه

والقول راح يتاكل حاف

وكنافه وقطائف بيضا

يا ولاد والله ستكم بيضا

للمصاييم فيه حسناته  
هاتوا الفوانيس يا اولاد...  
هاتوا الفوانيس



م العشاراح تتلم صحابنا  
ونروح كل مكان ونغني  
علي نور فوانيسنا  
آه يا بنت السلطان  
ويا بخت اللي يصالح صاحبه  
ويسبق بالخير ويروح له  
إنشا الله ما يقطع لنا عاده  
ويعودوا عليكم في سعاده  
واللي يزكي له له جناته  
هاتوا الفوانيس يا اولاد...  
هاتوا الفوانيس



علي صوت الطبله يصحينا  
يناديننا بحنان  
قوم صلي على الهادي نبينا  
ياللا اصحي يا نعان  
ياصاييم قوم وحد ربك

میں غرہ یعزک و یحک  
وما تنسوش یا ولاد العید  
بعده ح یبجی بلبس جدید  
والی یصلی یشوف کراماته  
ہاتوا القوانیس یا ولاد..  
ہاتوا القوانیس.

## هلت ليالي

ألحان وغناء: فريد الأطرش، كلمات: بيرم التونسي. أذيعت يوم ٢٣ / ٥ / ١٩٥٥،  
الموافق الأول من شوال عام ١٣٧٤ هـ.

هلت ليالي حلوه وهنيه

ليالي رايحه وليالي جايه

ليالي حلوه نشتاقي إليها

وفيها ليله الله عليها

القدر فيها ...

الله أكبر

يوعدنا بيها ..

الله أكبر

يا رب توبه في العمر نوبه

وتكون قريبه تسعد آمالي

هلت ليالي ...

هلت ليالي .

## رمضان جانا

غناء: محمد منير

وحوي يا وحوي.. مرحب رمضان

رمضان جنة جت من الرحمن

شمعة بتكبر..

أيوحا

في فانوس أخضر

أيوحا

رمضان نور

وهلاله بيان دايبا فرحان

رمضان فرحة

أيوحا

شجرة وطارحه

أيوحا

اديني بلاحه

أيوحا

بيتك عمران بيا ميش رمضان

وحوي يا وحوي

مرحب رمضان



رمضان جنة جت من الرحمن  
اصحي يا نايم ربك دايم  
ده سحور برکه.. و خير للصايم  
شمعة بتکبر.. ایوحه  
في فانوس أخضر  
ایوحا  
رمضان نور  
وهلاله بیان دايم فرحان  
رمضان فرحة  
ایوحا  
شجرة و طارحه  
ایوحا  
اديني بلاحه  
ایوحا  
بيتك عمران ياميش رمضان  
شبابيك ألوان  
في حيطان و بيان  
زينة رمضان  
فرحان من قلبي زي زمان  
وحوي يا وحوي مرحب رمضان  
رمضان جنة جت من الرحمن.

## هلال رمضان

غناء: حماده هلال

لما تلاقى نجوم السماء مليانه إيمان  
واما تلاقى الخير والحب ف كل مكان  
واما تلاقى هلال نور في السماء فرحان  
يبقى بعوده رجوعك لنا يا رمضان  
حالو حالو  
عيال فرحانه بالقوانيس  
وحوى يا وحوى  
مسحراتيه وناس بتهيص  
والكل اتجمعوا  
في تراويحك يركعوا  
في المغرب يفطروا على الأذان  
لما تلاقى نجوم السماء مليانة إيمان  
واما تلاقى الخير والحب في كل مكان  
واما تلاقى هلال نور في السماء فرحان  
يبقى بعوده رجوعك لنا يا رمضان.

## ثانيًا: من الأغاني الاحتفالية

### رمضان

غناء وتلحين: محمد فوزي، نظم: محمد علي أحمد، من فيلم «بنت حظ»، إنتاج ١٩٤٨

يا ليليك محلاها	يا رمضان
والأنس معاها	يا رمضان
جمعت لي الخلان	وقلبي أنا فرحان
بعروستي الحيلة	سبحان من صور
دى ليلتنا جميلة	والشمع منور
وقرينا الفاتحة	إياحا
بالنور والفرحة	إياحا

لياليك محلاها

يا شهد نور وسلام	يا بهجة الإسلام
لياليك م الجنة	وأناح أدخل فيها
وافرح واتهنى	باسم الله عليها

والخير ف قدومك إياحا  
ونعيش ونصومك إياحا  
لياليك محلاها  
دى وردة ع الأغصان بحسنا الفتان  
خدها تفاحة بتقولى اقطعنى  
وعيون فضاحه والرمش قاتلنى  
م العين محروسه إياحا  
مبروك يا عروسه إياحا  
لياليك محلاها يا رمضان والأنس معاها يا رمضان

## فوانيس رمضان

غناء: الطفلة: هيام يونس، كلمات: فتحى قورة، تلحين: أحمد صبرة.. غنتها ضمن أحداث الفيلم السينمائي «قلبي على ولدي» من إخراج بركات عام ١٩٥٣م.

وحوي وحوي

إياحا

وكمان وحوي

إياحا

أهوفات شعبان وأهوجه رمضان

ارقصوا يا بنات وقولوا لي كمان

وحوي وحوي

إياحا

يا حلاوة وحوي

إياحا

بابا جاب لي فانوس أحمر واخضر

م السنه للسنة عمال يكبر

وانا جايه بغني وبتمخطر على قولة وحوي

يالليل يا عيني يا ليل يا نا يا وعدي

ندرن على يا ناس لاعزمكو يوم عندي

واعمل صينية كنافه واكلها أنا لوحدي

إياحا

يا سلام على وحوي

إياحا

الصايم بكره ح يتمتع ويطلق الفاطر ويفرقع  
ونقول له والشمع مولع دا خسارة فيك وحوي

إياحا

ارقصوا على وحوي

إياحا

لوما لغندي لوما جينا

ياللا الغفار

ولا تعبنا رجلينا

ياللا الغفار

الشمعه خلصت في ادينا

ياللا الغفار

صغيرين حنوا علينا

ياللا الغفار

أدونا العاده

ياللا خليكو

أيها الساده

ياللا خليكو

أدونا عماره والا سياره

ما تدونا      ربي يعطيكو  
ادونا العاده      يا للا خليكو

مش كتتو وانتو ادنا      ماسكين فانوس كده زيننا  
وبكره نبقي قدكو      وعيالكو تقول لنا  
وحوي يا وحوي

اياحا

وكمان وحوي

اياحا

نفطر ونصوم على ارواحه      ونقولك وحوي

اياحا

ارقصوا على وحوي

اياحا

اصحى يا نايم صحى النوم      دا احنا بقينا في شهر الصوم  
اصحى يا نايم صحى النوم      دا احنا بقينا في شهر الصوم  
يا للا يا نايم وانتي يا نايمه      اشمعنى انا م المغرب قايمه

طب على كده بسلامتك صايمه

من قبل ما تتولدي باصوم

اصحى يا نايم صح النوم      دا احنا بقينا في شهر الصوم  
يا للا يا نايم بكره صيام      شوف الساعه صبحت كام  
أصلي أنا فاطر

طيب نام .....      نام إن شا لله تنام ما تقوم

اصحى يا نايم صح النوم      دا احنا بقينا في شهر الصوم

## بشراك يا صايم

الحنان وأداء: محمد فوزي، كلمات: محمود بيرم التونسي. أذيعت الساعة ٦,٣٥ ق  
مساء السبت ٣ رمضان ١٣٧٥هـ - ١٤ / ٤ / ١٩٥٦ م.

بشراك يا صايم عند الله

لك أجر دايم عند الله

يا صايمين النبي قال الصيام جنه

فيها النعيم والثواب

يا رب نولنا

نفرح بنورها ..

الله الله

ونشوف قصورها ..

الله الله

للي يصوم فرحتين

الفرحه في الدنيا

ويا هناه من يفوز بالفرحه في التانيه

فرحه ودوام ..

الله الله

أجر الصيام ..

الله الله

بشراك .. بشراك يا صايم



## سبحة رمضان

غناء: الثلاثي المرح.

سبحة رمضان  
لولي ومرجان  
بتلاته وتلاتين حبايه  
منهم تلاتين.. أيام رمضان  
نور وهدايه  
وتلاته العيد  
ونقول ونعيد  
ذكر الرحمن آيه بأيه  
أيام رمضان رحمه وغفران  
ورضا الرحمن وحده كفايه



تسايح وصيام  
ياسلام ياسلام  
وخشوع للمولي وعباده  
دا صيام رمضان  
والصوم حرمان  
يدينا كمان صحه زياده

يا هنا الصايمين ..  
يا شقا الفاطرين  
يتحرموا من كل سعاده  
والخير بيزيد  
ويجينا العيد  
نلبس له جديد  
زي العاده  
أيام حلوه زي الغنوه  
الدنيا بحالها تغنيها  
لياليه أنغام زي الأنسام  
بتشف الروح وتصفىها  
وملايكة تطوف  
وعنينا تشوف  
أسرار المولي ومعانيها  
وياريت على طول  
أيامه تطول  
والعمر بحال نعيش فيها.

## وحوي يا وحوي

غناء: الثلاثي المرح.

وحوي يا وحوي...

أيوحا

وكمآن وحوي...

أيوحا

يا قمر طالع...

أيوحا

بفانوس والع...

أيوحا

إنت حبيبي...

أيوحا

املاي جيبي...

أيوحا

سكر أحمر...

أيوحا

وزيب أسمر...

أيوحا

وأنا أدعي لك

في يوم عيدك  
إمتي آجي لك  
ويا أموره  
أيوحا  
في المقصوره  
أيوحا  
زي الوردہ في البنوره  
إحنا جينا طلي... علينا  
بيتك عمران يياميش رمضان  
إدينا حفان  
رمضان غالي...  
أيوحا  
كله تسالي...  
أيوحا

\*\*\*

فيه الفرحة...  
أيوحا  
شجره طارحه...  
أيوحا  
طارحه بندق  
طارحه فستق في خشاف عايم

ويا مكارم لجل أنا صايم

وحوي يا وحوي...

أيوحا

وكمان وحوي...

أيوحا



رمضان من أول ليله...

يا للا الغفار

خلا لنا الدنيا جميله...

ياللا الغفار

وهلاله كل ما يكبر

نكبر وياه ونكبر

ليلة القدر يا ليلة النور

يا اللي كلك هنا وسرور

الموعود بيكي يتهنني

وينول كل ما يتمني

يارب بيها اوعدنا

من إحسانك واسعدنا

ياللا الغفار.

## حالو يا حالو

غناء: صباح

حالو يا حالو  
رمضان كريم يا حالو  
حل الكيس واديننا بقشيش  
لنروح ما نجيش يا حالو

\*\*\*

لياليك الحلوه الزينه  
ع الجمهوريه هلوا  
حالو يا حالو  
رمضان كريم يا حالو  
حل الكيس واديننا بقشيش  
لنروح ما نجيش يا حالو

\*\*\*

عادت وبلادتي بخير وسعاده  
وأيادي المجد شموع منقاده  
والرايه فوق قنالي  
منوره الليالي  
وأرضنا الحبيبه..

ما فيهاش إيد غريبه  
والمجد للعروبه  
طول السنين يا حالو  
حالو يا حالو  
رمضان كريم يا حالو  
حل الكيس واديننا بقشيش  
لنروح ما نجيش يا حالو

\*\*

عادت وبلاد دي الغالية...  
بقت حاجه تانيه  
بتقول الكلمة ترن.. ف كل الدنيا  
وف كل يوم جهادنا...  
يزيد أنوار بلدنا  
وأرضنا الحبيبة...  
ما فيهاش إيد غريبه  
والمجد للعروبه...  
طول السنين يا حالو  
حالو يا حالو  
رمضان كريم يا حالو  
حل الكيس واديننا بقشيش  
لنروح ما نجيش يا حالو

\*\*

عقبال ما تجينا.. يا رمضان  
ف العام الجاي.. يا رمضان  
ونغني معاك على دق الطبله  
وف وسط الناس



يا روضة للعباده..  
الخير معاك زياده  
وأرضنا الحبيبه...  
ما فيهاش إيد غريبه  
والمجد للعروبه...  
طول السنين يا حالو.



## خيرات رمضان

صورة غنائية، من تأليف: محمود إسماعيل جاد، موسيقي وألحان: سيد إسماعيل،  
غناء: سعاد مكاوي، صلاح عبد الحميد، سيد إسماعيل، أمال حسين، أحمد عبد الله،  
والمجموعة.

شهر الهدي والصيام والفضل والإحسان  
نور هلاله فرحنا في كل مكان  
وكل قلب انسعد ويُدعي للمولي  
وقاض على الجميع واتمني في رمضان

\*\*\*

ياللا يا نعمات إنتي وبركات  
هاتوا الفوانيس ونقول وحوي  
غنوا لرمضان شهر الخيرات  
ونفوت ع الناس ونقول وحوي  
رمضان آهو هل علينا  
شرف وحوينا الدار  
وفرحنا واتهنينا  
بالزينة والأنوار  
غنوا يا ولاد حتنا  
ما خلاص تمت فرحتنا  
إدونا ياناس إدونا

م التين والقمر الدين

وأنتم لو فرحتونا

ح تكونوا م الفايزين

\*\*\*

زي اللوز ولذيذ يا مدمس

شغل إيديا وزيه مفيش

خد لك منه بقرش وغمس

فول متنقي عليه تحايش

قبل ما تجبر مني الإدره

هات مواعينك واملا إطباق

فول مبروك من رب القدره

صحن يكفي عشر تنفار

حبه نقاوه لذيد يا مدمس

\*\*\*

كنافه وقطايف

مين يندهلي مين ويأكل ولاده...

يا بخت الصايمين

خد دوق الكنافه وإن جالك رخيص

معجونه بنضافها تفضل وهيص

باللوز المقشر... والسكر مكرر

هي والقطايف ...

مين يندهلي مين  
خد رطلين وهادي ... أحبابك يا صايم  
دا قطايف الليله دي ...  
حترزین الولايم

\*\*\*

لبن زيادي صابح  
ونادي حليب  
وقشطه كريم ياهادي

\*\*\*

الله حي  
واحد باقي  
دايم حي  
هو العاطي  
رازق حي  
رب القدره عظيم وهاب  
هو العالم بالأحوال  
راعي الكون غفور تواب  
في ملكوته كريم متعال  
اسمه الغالي  
دايم حي  
هو العالي رازق حي  
اذكر اسمه في كل مكان

صلي وسبح يرضي عليك  
طهر قلبك للرحمن  
تلقي الرزق ح يملأ إيديك  
ربك عالي دائم حي  
اسمه الغالي رازق حي

## يا بركة رمضان

غناء: محمد رشدي

يا بركة رمضان..

خليكي في الدار

هلي علينا..

وخلي دارنا عمار

يا بركة رمضان...

خليكي م العام للعام

عايشه معانا

يا بركة رمضان..

إحنا قلوبنا بتسعد بيكي

جايه الخير دايا وياكي

والدنيا بتسعد بلقاكي

يا بركة رمضان

محلاكي.. نورك بيضوي

ف ليا لينا أرواحنا م الشوق حاضناكي

يا معيه من ربنا لينا مع رمضان

دايا بنشوفك

والرحمه شاي لها ف كفوفك

يا بركة رمضان..

خليكي في الدار

هل علينا..

وخلي دارنا عمار.

## شهر الصيام

غناء: نجاة الصغيرة، كلمات: عبد المنعم السباعي، وتلحين: أحمد عبد القادر

كريم يا شهر الصيام  
والصبر والبركات  
كريم يا شهر السلام  
في الأرض والسماوات  
كريم يا شهر الهنا  
يا اللي بقالك سنه  
غايب بعيد عنا  
يا كريم  
يا كريم يا شهر الصيام  
يا رحمه من الرحمن  
فيك نور القرآن  
ع الأرض م الجنه  
يا مفرح المحروم  
بالبر يوم ورا يوم  
يا ما ف هواك غني  
يا دنيا كلك عجب  
فيكي الزمن ألوان

أيام تحيب الهنا  
وأيام تحيب حرمان  
وأيام نشوف الفرح ...  
نور على الألوان  
يا شهر فيك الرضا...  
والتوبة والغفران  
يا شهر فيك الكرم  
ياجنة للي انحرم



## شوفوار رمضان

غناء: هدى سلطان والأطفال، كلمات: محمد علي، وألحان: محمد ضياء الدين  
«الكبير».

المطربة: يا ولاد حارتنا

الأطفال: إيه

المطربة: اتلموا اتلموا

الأطفال: ياه ياه

المطربة: شوفوار رمضان

شوفوا خفة دمه

بر وتقوى

مدفع يضرب

طبله ف عز الليل

على حسها أحباب يتلموا

هاتوا الفوانيس بيضا ولامعه

وف كل فانوس ولعوا شمعته

النور هيلم سكتنا

و الشر يطلع من بيتنا

و كل مهموم يترك همه

يا ولاد حارتنا

الأطفال: إيه

المطربة: اتلموا اتلموا

أدوا فروض الصلاة و الصوم

احسن و زكي عن مالك

و اللي تجود بيه يقالك..

منا وإلينا عايد الينا

شوفوا رمضان خفة دمه

بر و تقوى... فرحه

مدفع يضرب

رمضان يا شهر الخير يا كريم

تسعد فقير و تمنى يتيم

وتلم روايح من الجنة

وان كنت رايح هتجيلنا

وهتلاقينا مالين إيدينا

نلقاك صغار و كبار يتلموا

يا ولاد حارتنا اتلموا اتلموا.

## شهر رمضان

غناء: تامر حسني

تيجو نصوص شهر رمضان  
زي ما وصانا ربنا  
صوم وصلاة ونقرا القرآن  
ونقيم الليل كلنا  
ونزكي ونندي العلابة  
فيه ناس كثير أوي محتاجه  
ونحس بيهم ويدهمو عنهم  
انت ادعي وربنا يدريك الحاجة  
عايزين طول الشهر ده  
نلم شمل العيلة  
نفضل على طول بالشكل ده  
نسأل على بعض كل ليلة  
ونصالح الزعلانين  
ونحس بالمحتاجين  
دول برضو أهلنا  
كلنا عايزين بر رمضان  
نفضل زي ما حنا

صوم وصلاة وقرآن وإيمان

ح نلاقي الدنيا أحلى

مين عارف نهايته إمتى

مين عارف نهايته فين

يارب ارزقنا انت

يارب ارزقنا انت

## ثالثاً: من أغاني التسخير

### حلقة من المسحراتي

ألحان وغناء: كارم محمود ، كلمات: أحمد نجيم

يا روح من فوق نازل هايم  
يقول للصاحي وللنايم  
ما فيش دايم غير الدايم  
روايح هبه م الجنه  
يا عز اللي ح يتهنى  
دا انا طمعان وباتمني  
أشوف نورها وأطول خيرها  
و أطوف ف الضل مع طيرها  
ومين ح يفوز غير الصايم

\*\*\*

يا مدبولي

يا عبد الله

يا بخته من بنى وعلا  
وشاف نوره بيتجلى  
ونام ساعه  
وقام ساعه  
وقال دي الدنيا خداعه  
ما فيش دايم غير الدايم  
يا عم أمين  
يا عم حسين  
صلاة الزين  
صلاة الزين  
دموع العين على الخدين  
وأنا قلبي يصلي له  
وع البازه يغني له

\*\*\*

يا حاجة اصحي وصحيهم  
دا صوم رمضان ح يهديهم  
وح يبارك لكم فيهم  
وح يورهم السكه  
وفين نمشي على مكه  
ومن زارها رجع غانم.

## المسحراتي

غناء: عبده السروجي.

يا مؤمنين بالله

يا موحدين بالله

قوموا كفايه نوم

هي الحياه كام يوم

وبالصلاه والصوم...

يرضي علينا الله

يا مؤمنين بالله

يا صايمين رمضان

باب السما مفتوح لطالب الغفران

وربنا ف علاه

ح يدي للي دعاه

يا موحدين بالله

يا ابو السعود..

يارشاد

يا حاج عز الدين..

يا إمام

يا عم فؤاد..

يا مصطفى

يا أمين  
قوموا اسجدوا لله  
وسبحوا لله



يا مؤمنين بالله  
نادوا على التائبين  
باب الرضا مفتوح  
م الفجر للصائمين  
واللي يعود لله  
يبقي ف أمان في حماه  
يا مؤمنين بالله  
يا عم عبد العال..  
يا خليل  
يا أبو منصور..  
يا أبو العينين  
يا جلال..  
يا غريب  
يا حاج سرور  
قوموا اسجدوا لله  
وسبحوا لله





يا مؤمنين بالله  
الرب رب قلوب  
باب الهدى مفتوح  
للصائم اللي يتوب  
ويا فرحته يا هناء  
ح ينول رضا مولاه  
يا موحدين بالله  
يا حاج مرسي.. يا عيد  
يا أحمد.. يا عم حجاب  
يا أبو إسماعيل.. يا سعيد  
يا زيد.. يا أبو غلاب  
قوموا اسجدوا لله  
وسبحوا لله

## المسحراتي

غناء: ثريا حلمي، كلمات: عبد العزيز سلام.

يا عباد الله..

وحدوا الله

قوم وحد ربك واستغفر

وقت الاستغفار والطلب من الله

واتسحر عشان ما تجعش

اصحى يا نايم

وجّد الدايم

قوم ياسعادة الباشا السابق

خد موعظة من صوم بوابك

أنا من أعلى سطوح البيت

لجل تصوم في اليوم اللاحق

صوتي بيعلا ويصحىكم

ولا تطرد محروم من بابك

دا أنا ويا رمضان هليت

اصحى يا نايم

وحد الدايم

والخير هل معانا عليكم

ياساكين فوق سطوح البيت  
أنا من تحت البيت بناديكم  
قوموا اصحوا والفرول أبو زيت  
ع الطلبة مستنيكم  
اصحي يا نايم  
وحد الدايم  
م الصبح بالطلبة باطل  
اصحي يانعسان قوم اتسحر  
نومك ثقيل ولا بتعمل  
أطرش رمضان علشان تفطر  
اصحي يا نايم وحد الدايم  
ع الشباك يا سي حمدي بانقر  
مادام الطلبة ما بتصحيكش.



رابعًا: من أغاني الوداع

لسه بدري

غناء: شريفة فاضل.

تم البدر بدري

والأيام بتجري

والله لسه بدري

يا شهر الصيام

\*\*

حيانا هلالك

ردينا التحية

سهانا جمالك بالطلعه البهية

وفرحة سلامك ووداعة أيامك

\*\*

يا ضيف وقته غالي

وخطوه عزيزه

حبك حب عالي

في الروح والغريزه  
أيامك قليله  
والشوق مش قليل  
والغيبه طويله  
ع الصبر الجميل  
لسه بدري حبه  
يتملي الأحبه



بتحلى ف يتيمك  
ويتلمح دموعه  
وتسره بقدمك  
وتنور شموعه  
ويترك وداعك  
فوق الأرض عيد  
يا ألف مرحب  
والله لسه بدري  
يا شهر الصيام.

## الكحك

غناء وتلحين: محمد فوزى، نظم: صالح جودت، من فيلم «بنت حظ»، إنتاج ١٩٤٨

بعوده فى الليالى البيض نغنى لك يا كحك العيد

دى ليلتك أجمل المواعيد

وأقول له م الهوى دبنا

أغنى وأسمعه يقول لى

ميعادك فرحة فى قلوبنا

أما أملى طلعتك يالى

بعودة فى الليالى البيض

نغنى لك يا كحك العيد

بعودة فى الليالى البيض

دى ليلتك أجمل المواعيد

المغنى: بعودة والسنة الجيه فلسطين وعيد يبقى سعيد

وفرحتنا وعيد العيد

دى تبقى فرحة الدنيا

بعودة فى الليالى البيض

نغنى لك يا كحك العيد

بعودة فى الليالى البيض

دى ليلتك أجمل المواعيد

وبالمنام الأعادى يروق

بعودة ومصر متحدة

ونتهنى بعهد فاروق

وتتحقق لنا الوحدة

بعودة فى الليالى البيض

نغنى لك يا كحك العيد

بعودة فى الليالى البيض

دى ليلتك أجمل المواعيد

إضافة إلى ما سبق توجد العديد من الأغاني والصور الغنائية الأخرى التي لم نستطع العثور على نصوصها أو تبيينها كاملة بوضوح من خلال التسجيلات المتاحة، منها:

- ديالوج المسحراقي.. كلمات: محمد إسماعيل، لحن: أحمد شريف، غناء: أحمد شريف وسميرة وصفي.

- أغنية «على نور الفوانيس»، كلمات: فتحي قورة، ألحان: عبد الحميد توفيق زكي، غناء: المطربة عصمت عبد العليم.. أذيعت الساعة ٤٠، ٥ عصر يوم الاثنين ١٤ رمضان ١٣٧٠هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٥١م.

- أغنية «قيدوا الفوانيس»، كلمات: يوسف عز الدين، ألحان: فؤاد حلمي، غناء: هند علام.. أذيعت بعد مغرب السبت ١٠ رمضان ١٣٧٥هـ، الموافق ٢١ أبريل ١٩٥٦م.

- أغنية «قيدوا الفوانيس»، غناء شافية أحمد.

- أغنية «آنست يا رمضان»، كلمات محمود بيرم التونسي، تلحين وغناء أحمد عبد القادر.

- أغنية «هليت يا شهر النور»، غناء عباس البليدي.

- أغنية «نورت يا رمضان»، كلمات سعد الدين المصري، ألحان حسن أبو النجا، غناء حورية حسن.

- أغنية «هل هلالك»، كلمات: محمد كمال بدر، غناء وألحان: سيد مكايي.



## أغاني شهر رمضان الشعبية

الأغنية الشعبية واحدة من أهم فروع الأدب الشعبي، التي تمتاز بقدرتها السريعة على الانتقال والذيع والانتشار، وقد قدمت القرينة الشعبية عددا من الأغاني المرتبطة بشهر رمضان، التي يرتبط بها الأطفال بشكل خاص، بعض هذه الأغاني يؤدي من دون حركات، وبعضها يصاحب الألعاب، وصنف ثالث منها يؤديه الأطفال وهم ممسكون بفوانيسهم ويدورون بها في الشوارع والحارات في الأماسى الرمضانية، كما منها ما يؤديه البنات فقط، ومنها ما يؤديه الصبيان، ومنها ما هو مشترك بينهما.

ونورد هنا عددا من نصوص هذه الأغاني، على أنه لا بد من ملاحظة أن النص الشعبي يتسم بالمرونة مما يجعله عرضة للحذف والإضافة والتعديل والتبديل، حسب المكان الذي يؤدي فيه، وطبيعته الاجتماعية، بأعرافه وتقاليده، وحسب طبيعة المؤدي، بل وحسب حالته النفسية، لذا سوف يلحظ القارئ وجود صيغ عديدة للنص الواحد.

## من أغاني الاستقبال

- ١ -

رمضان يا منور

نورت واديننا

يا أحلى م السكر

حلوة ليالينا

نلعب ونتمخطر

ونقول أغانينا

حالو يا حالو

رمضان كريم يا حالو

الصايمين يا حالو

بعد ما فطروا حلوا

حلوا بالهننا..

عقبال كل سنة

- ٢ -

يا رمضان يا أبو شخيلة

أول سحورك الليلة

يا رمضان يا أبو صحن جديد

آخر سحورك ليلة العيد

يا رمضان يا عود كبريت  
يا حابس كل العفاريت<sup>(٢١)</sup>.

وهناك نص ثان لهذه الأغنية، يقول:

يا رمضان يا ابن الحاجه

يا مولودع المخده

يا رمضان يا ابن سكينه

يا مولودع السكينه

يا رمضان يا ابن حفيظه

يا مولودع الترايبزه

يا رمضان يا ابن نجيه

يا مولودع الطليله.

## من الأغاني الاحتفالية<sup>(٣)</sup>

- ١ -

علي عليه .. ياللي  
ضرب الزُميره .. ياللي  
وضربها حربي .. ياللي  
نطت في قلبي .. ياللي  
قلبي رصاص .. ياللي  
أحمد رصاص .. ياللي  
رصاص على مين .. ياللي  
علي شاهين .. ياللي  
وشاهين ما مات .. ياللي  
خلف بنات .. ياللي  
خلفهم متعه .. ياللي  
وجابهم تسعه .. ياللي  
وتحت النصبه .. ياللي

\*\*

فاطمة قاعدة على مكتبها  
بتخيط بدلة دخلتها  
يارب تم فرحتها  
بنت العزيز الغالي  
لوما حوينا لوما جينا ..

يا للا الغفار  
ولا تعبنا رجلينا ..  
يا للا الغفار  
يحل كيسه ويدينا ..  
يا للا الغفار  
يدينا ياما يدينا ..  
يا للا الغفار  
يدينا ميتين ريال ..  
يا للا الغفار  
نروح بيهم على بر الشام ..  
يا للا الغفار  
نجيب رنيثي وميثي ..  
يا للا الغفار  
نجيب زئيبي العصفور ..  
يا للا الغفار  
اللي يكاكي فوق السور ..  
يا للا الغفار  
ادونا العادة ..  
يا للا الغفار  
لبده وقلادة ..  
يا للا يخليكو

الفانوس طقطع..

يا للا يخليكو

والشمعة خلصت..

يا للا يخليكو

-٢-

وحوي وحوي..

إياحا

وكمآن وحوي ..

إياحا

بنت السلطان ..

إياحا

لابسه قفطان ..

إياحا

بالأخضري ..

إياحا

بالأصفري ..

إياحا

يالموني ..

إياحا

يادوا عيوني ..

- ٢٨٤ -

إياحا

يارب خليلي سي عثمان

خاللي ننته سي عثمان

لولا سي عثمان لولا جينا ..

يا للا الغفار

ولا تعبنا رجلينا ..

يا للا الغفار

يحل كيسه ودينا ..

يا للا الغفار

يدينا ياما يدينا ..

يا للا الغفار

يدينا ميتين ريال ..

يا للا الغفار

نروح بيهم على بر الشام ..

يا للا الغفار

وهناك نص ثان لهذه لأغنية، يقول:

وحوي يا وحوي ..

إياحا

بنت السلطان ..

إياحا

لابسه قفطان..

إياحا

بجلايته ..

إياحا

ياللا نجيب له..

إياحا

ونص ثالث لها، تقول كلماته:

لولا البيت ده ما جينا ..

يا للا الغفار

ولا وقفنا ولا حوينا..

يا للا الغفار

حل الكيس واديننا..

يا للا الغفار

تدينا ما تدينا..

يا للا الغفار

تدينا ميتين جنيه ..

يا للا الغفار

ميتين جنيه ما يكفونا..

يا للا الغفار

ولا يودونا على بر الشام..



يا للا الغفار  
نجيب الخوخ ويا الرمان..  
يا للا الغفار  
ونجيب زعاعة العصفور..  
يا للا الغفار  
اللي تنادي ع الجسور..  
يا للا الغفار<sup>(٤)</sup>

ونص رابع، يقول:

إدونا العاده  
لبده وزيادة  
الفانوس طقطع  
والعيال ناموا  
ناموا ما ناموا  
بعدها صاموا  
وإدونا العادة  
لبده وزيادة<sup>(٥)</sup>.



## شهر رمضان في الأمثال الشعبية

المثل الشعبي هو حكم على موقف ما، تبلغ فيه حكمة الناس ورؤيتهم للأمور مبلغا دقيقا، فهو خلاصة ونتاج خبرات طويلة ومكتر لها.

وهناك عدة أمثال ترتبط بشهر رمضان وصومه، يذكر منها:  
\* يصوم يصوم ويفطر على بصله.

يفسره أحمد باشا تيمور بقوله: أي صام ثم فطر على شيء زهيد لا يغني عن الجوع، كما يضرب لمن يمتنع عن شيء مدة ثم يقع في أردأ أنواعه.

\* اللي ما يصوم ويصلي رزقه يولي.

يقصده به أن البركة تذهب عن أرزاق من لا يصومون ولا يصلون، ويحض على إتيان فروض الله وطاعته.

\* ما تعيبوا يا قوم إلا على الصلا والصوم

يضرب للدقة في أداء الفروض، والحث على أدائها بإخلاص.

صلى وصام لأمر كان فإذا قضى الأمر لا صلى ولا صام.

يضرب لمن يأتي فروض الله لغرض دنيوي، فإذا تحقق تركها وعاد سيرته الأولى.

\* صامت يوم واتمخطرت للعيد .

يضرب لمن يعمل عملا هينا، ويطلب جزاء أعلى مما يستحقه.

\* اللي يكذب نهار الوقفة يسود وشه نهار العيد

المقصود أن كل كذب لا بد في النهاية من انكشافه.

\* هانت الزلاية حتى أكلها بنو وائل. (انظر: الزلاية)

\* اتصدقوا ترزقوا

يحفز على الحرص على إتيان الصدقات والإكثار منها، وأن هذا المسلك سيعود بالنفع الوفير على صاحبه، وفي الحديث الشريف: «ما نقص مال من صدقة، بل تزده».

\* اللي يخرج منه زكه عنه

أي كل ما يخرج المرء في سبيل الله فهو زكاة عنه ورحمة له.

\* يا مزكي حالك يبكي

يطلق على الفقير المعدم الذي يحرص على إخراج الزكاة، بينما هو في حقيقة الأمر يستحق العطف عليه.

\* ما بان مني زكاه عني.

المقصود به أن مقدار ما يخرج المرء من زكاة أو صدقة أو أى إحسان إن هو إلا تعبير عن حاله.

\* يا مزكى على أهل بره زكى على أهل جوه

يضرب فيمن ينفق على البعيدين عنه ويشملهم بعطفه، في الوقت الذى يحتاج أهله وأقربائه إلى رعايته.

\* كل حنة بتحط زكاها

انظر: ما بان مني زكاه عني.

\* اللي يتسحر مع العيال يصبح فاطر

يضرب للحث على أخذ الأمور بجدية وعدم التهاون فيها، وإتيان الأشياء في مواضعها الصحيحة.

\* اللي اتسحر اتسحر واللي ما اتسحر طلع عليه الفجر .

يحفز على أداء الأشياء في أوانها حتى لا يداهم الوقت، وقد أورده «الأبشيهي» في كتابه «المستطرف» بلفظ: صام سنه وفطر على بصله.

\* جيت أبيع الحنة كترت الأحزان ورحت أعمل مسحراتي قالوا راح رمضان

\* عملوك مسحراتي قال فرغ رمضان.

يضربان فيمن يشتغل بأمر فينتهي المقصود منه حين اشتغاله به، وهم يقصدون بذلك سبب الحظ وغيره.

\* لو كان دي الطهي على دي النهي لا رمضان خالص ولا العيد جي

يضرِب للاهتمام بالشئ دون مبالغة أو تقصير والتعامل مع الأمور بهمة.

\* بعد العيد ما يتفتلش كحك.

يضرِب للتحفيز على إتيان الأشياء في مواعيدها وعدم تأجيلها.



## التوحيش (وداع رمضان)

في العشرة الأخيرة من رمضان، يصبح التحسر على انقضاء الشهر الكريم موضوعاً غالباً في العديد من المظاهر، خاصة في الإنشاد، ويطلق على موضوع فراق رمضان وذكر فضائله مصطلح «التوحيش»، حيث إن معظم الأقوال والقصائد التي يجري إنشادها تبدأ - عادة - بالمطلع: لا أوحش الله منك.

ولا يقوم بهذا التوحيش المنشدون المحترفون فحسب، وإنما يمتد - أيضاً - حتى يكاد يغمر العالم الليلي للمجتمع المحلي، إذ يقوم المسحر بتغيير موضوعات أدائه أثناء جولاته إلى «التوحيش»، كما يملأ المؤذنون المنشدون فضاء الحي بتوحيشهم الذي يواصلونه منذ الإمساك وحتى إقامة أذان الفجر؛ ولهذا أصبح موضوع التوحيش وأساليب إنشاده مجالاً للتجويد والتنوع والتنمية سواء في نظم عباراته أو في موسيقي أدائه. وصار أحد مجالات التقاطع الذي تلتقي فيه الثقافة الشعبية بالثقافة الرسمية، وأبرز مظاهر ذلك الالتقاء أن معظم المنظومات التي تتردد في التوحيش كانت من الشعر الفصيح، كما أن موسيقي أدائها تتأسس على تقاليد الموسيقى العربية التقليدية<sup>(٨)</sup>.

وفي صوت ملؤه الأسي والحزن كان المسحرون يرددون عبارات التوحيش، التي تحمل حزن الناس على انقضاء الشهر المبارك وإحساسهم بالوحشة في غيابه، وافتقادهم لأجوائه العامرة بالخشوع والمحبة والتواصل، من أشهر هذه النصوص:

لا أوحش الله منك يا شهر الصيام

لا أوحش الله منك يا شهر القيام

لا أوحش الله منك يا شهر الولايم

لا أوحش الله منك يا شهر العزائم

لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود<sup>(٩)</sup>.

ويلاحظ أن معظم المجتمعات الشعبية لم تكتف بإنشاد التوحيش مظهرًا لتوديع رمضان، وإنما أضافت إلى هذا مظاهر احتفالية أخرى. ففي واحة باريس، وهي من الواحات الخارجة بالوادي الجديد، كان الأهالي يقيمون مأدبة وداعية، وبعد أداء صلاة العشاء ثم التراويح الجماعيتين، يتحلقون في جانب المسجد للإنشاد الاحتفالي، وإن كانوا يطلقون عليه «تراويح». وكان من محفوظهم الذي يتواترون إنشاده:

شهر الصيام مفضل تفضيلاً

نويت من بعد المقام رحيلاً

قد كنت شهراً طيباً ومباركاً

ومبشراً بالعفو من مولانا

بالله يا شهر الهنا ما تنسانا

لا أوحش الرحمن منك.

بينما كان الصبية في قرية منديشة، وهي إحدى الواحات البحرية، يقيمون مأدبة إفطار جماعية وداعية استمرارا لتقليد يسمونه «الضهور»، يتناول الأولاد فيه وجبات مشتركة. أما في هذه المناسبة الوداعية، فإن الصبية يقيمون قبة صغيرة من الطوب بحيث تتسع لوضع ما جلبوه من طعام داخلها. ثم يشرعون في الدوران حول القبة منشدين:

يا رمضان يا شريف

يا لا بس التوب النضيف

لا إله إلا الله يا جنوده

القطعة خطفت الفروجه

وبعد الدوران والإنشاد يجلسون لتناول طعامهم. وعموماً، كان للأطفال والصبية دورهم المتميز في الاحتفالات بتوديع رمضان وإنشادها. وكما قاموا بدوراتهم الليلية



منشدين لاستقبال الشهر داعين لحمايته ووقايته: وحوي يا وحوي، ويا رمضان هيب  
هيب.. كل سنة وأنت طيب، ويا رمضان يا بو شخيلة.. أول سحورك الليلة.

فإن الأولاد يدورون أيضا هاتفين في وداع الشهر الكريم:

يا رمضان يا بو صحن نحاس

يا داير في بلاد الناس

سقت عليك أبو العباس

تخليك عندنا الليلة.

كما أنهم ينعونه متأسفين:

يا رمضان يا ابن الحاجة

يا ميت على المخدة

يا رمضان يا ابن عيشة

يا ميت على العريشة<sup>(١٠)</sup>.



## شهر رمضان في ديوان الشعر العربي

لم يكن شهر رمضان بكل ما يتضمنه من معان دينية وروحية بالمناسبة التي يغفلها الأدب العربي شعرا ونثرا، ولذلك نجد الأدباء والشعراء يحتفلون برمضان ويحسنون استقباله من خلال إظهار آثار الشهر الكريم على عادات الناس وسلوكياتهم والاحتفال بالانتصارات التي حدثت خلال الشهر، باعتباره شهرا للهداية والنصر والكرم والجود وحسن الخلق، وقد هجا الشعراء من يرتكب المعاصي في رمضان، وإن كان بعض الشعراء ممن كان يثقل عليهم الصوم قد هجوا رمضان في بداية حياتهم مثل: ابن الرومي وأبي نواس، ثم قالوا فيه شعرا جميلا عندما طعنوا في السن، فكان رمضان ملهما للأدباء المسلمين من العرب وغير العرب<sup>(١١)</sup>.

ولشهر رمضان في ديوان الشعر العربي - قديمه وحديثه - آثار أدبية حافلة، تشمل على منظومة من الشعر والنثر، توقفت عند رمضان: المعنى والدلالة، والرمز والإيحاء، وعنت بمواكبة هذا الحدث الإسلامي المتجدد في استقباله والحفاوة به، والإفاضة في نفحاته الروحية وآثاره الاجتماعية، وتصوير ما يقترن به من بهجة وفرح وزينة، في دائرة واسعة امتلأت بالأذكار والأدعية والابتهالات والرسائل والتهاني، ولم تخل من صور الدعابة والفكاهة، والأسى لفراقه وتوديعه، والتعبير عن ازدحام النفس بما خلفه من خير عميم وبركة قائمة<sup>(١٢)</sup>.

هكذا لم يكن لأي مبدع إزاء ما يعايشه من أجواء شهر رمضان الشفيفة، الحاملة، إلا أن يبتهل اللحظة، ويطلق لروحه التحليق شعرا، إن فرحا باستقباله، أو معددا لفضائله، أو مناجيا لطيفه، وسابحا في أغواره. فهذا هو الشهر الذي يقول عنه أمير الشعراء «أحمد شوقي» (١٢٨٥ - ١٣٥١ هـ / ١٨٦٨ - ١٩٣٢ م):

أنت مهر الشهور والحسن والإشراق  
نير الوجود منذ صباح

\* في استقبال شهر رمضان والتهويله

يؤهل الشاعر الأندلسي «ابن دراج القسطلي» (٣٤٧-٤٢١ هـ / ٩٥٨-١٠٣٠ م)  
النفوس لاستقبال شهر رمضان، قائلا:

فلئن غنمت هناك أمثال الدُّمي  
فهنا بيوت المسك فاغنم وانتهب  
تحفا للشعبان جلا لك وجهه  
عوضا من الورد الذي أهدي رجب  
فاقبل هديته فقد وافى بها  
قدرا إلى أمد الصيام إذا وجب  
واستوف بهجتها وطيب نسيمها  
فإذا دنا رمضان فاسجد واقرب  
وكتب مهنتاً بحلول الشهر الكريم:

وَيُهَيِّئُكَ شَهْرٌ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ شَاهِدٌ  
بِأَنَّكَ بَرٌّ لِلصَّيَامِ وَوَصُولُ  
فَوَقَّيْتَ اجْرَ الصَّابِرِينَ وَلَا عَدَا  
مَسَاعِيكَ فَوْزٌ عَاجِلٌ وَقَبُولُ

ويقول الشاعر «ابن حمديس الصقلي» (٤٤٧-٥٢٧ هـ / ١٠٥٣-١١٣٣ م):

قُلْتُ وَالنَّاسُ يَرْقُبُونَ هِلَالَ  
يُشْبِهُ الصَّبَّ مِنْ تَحَافَةِ جِسْمِهِ  
مَنْ يَكُنْ صَائِئًا فَذَا رَمَضَانَ  
حَطَّ بِالنُّورِ لِلوَرَى أَوَّلَ اسْمِهِ

وهنا الصقلي قدوم الشهر الفضيل بقوله أيضاً:

صُمَّتْ لِهِنَّ صَوْمٌ خَرَقِي هُمَامٍ  
مُفِطَّرُ الْكَفَايَا بِالْعَطَايَا الْجِسَامِ  
أَطْلَعَ اللَّهُ لِلصَّيَامِ هِلَالَ  
وَلَنَا مِنْ عُلَاكَ بَدْرٌ تَمَامٌ<sup>(١٣)</sup>

وللشاعر الصوفي الأندلسي «ابن الصباغ الجذامي»<sup>(١٤)</sup>:

هذا هلال الصوم من رمضان  
بالأفق بان فلا تكن بالواني  
وإفانك ضيفا فالتزم تعظيمه  
واجعل قرأه قراءة القرآن  
صمه وصنه واغتم أيامه  
واجبر ذما الضعفاء بالإحسان

واغسل به خطَ الخطايا جاهدا  
 لاغرو أن الدمع يمحو جريه  
 لله قوم أخلصوا فخلصوا  
 هجروا مضاجعهم وقاموا ليله  
 قاموا على قدم الوفاء وشمروا  
 ركبوا جياد العزم والتحفوا الضنا  
 وثبوا وللزفرات بين ضلوعهم  
 راضوا نفوسهم لخدمة ربهم  
 إن لم تكن منهم فحالفهم عسى  
 حالفهم والزم فديتك حبهم  
 يالهدف نفسي إن تخلفني الهوى  
 فلأنزفن مدامعي أسفا على  
 بهمول وابل دمك الهتان  
 بالخذسكبا ما جناه الجاني  
 من آفة الخسران والخذلان  
 وتوسلوا بالذل والإذعان  
 فيه الزيول لخدمة الديان  
 وحداهم حادي جوى الأشجان  
 لهب يشب بأدمع الأجفان  
 ولذلك فازوا منه بالرضوان  
 تجنى بجاههم رضا المنام  
 واجعله في دنياك فرض عيان  
 عن حلبة سبقت إلى الرحمان  
 عمر تولى في هوى وتوان

ويقول الشاعر المصري هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك (٥٤٥ - ٦٠٨ هـ

/ ١١٥٠ - ١٢١٢ م)

هِنَّ بِهَذَا الصَّوْمِ يَا خَيْرَ صَائِرٍ إِلَى كُلِّ مَا يَهْوَى وَيَا خَيْرَ صَائِمٍ  
 وَمَنْ صَامَ عَنْ كُلِّ الْفَوَاحِشِ عَمْرَهُ فَأَهْوَى شَيْءَ هَجْرِهِ لِلْمَطَاعِمِ  
 وَلِلشَّاعِرِ الْمَغْرِبِيِّ «حَدُونِ بْنِ الْحَاجِّ السَّلْمِيِّ» (١١٧٤ - ١٢٣٢ هـ / ١٧٦٠ -  
 ١٨١٧ م):

وإن أتى رمضان واصطفيت له  
 هذا زمانك مقبل ومبتسم  
 فاخلع ثياب الهوى وقم على قدم  
 بكل خير تلقه بمبتسم  
 وصنه عن كل ما يريده من حرم  
 ولتعكس النفس عكس الخيل باللجم

أما الشاعر العراقي «عبود الطريحي» (١٢٨٥-١٣٢٨ هـ) فيقول:

أقبل شهر رمضان قم واستعد      لصومه مع التقى والصلاح

شهر به الرحمة قد أنزلت      وكل خير للتقى فيه لاح

أحب لله بأن تكون      تلاوة القرآن عند الصباح

دع الملاهي عنك وادع به      دعا النهار ودعا الافتتاح

وللشاعر المصري «مصطفى صادق الرافعي» (١٢٨٩-١٣٥٦ هـ / ١٨٨١

-١٩٣٧ م):

فديتك زائرًا في كل عام      تُحيا بالسلامة والسلام

وتُقبل كالغمام يفيض حينًا      ويبقى بعده أثر الغمام

وكم في الناس من كلف مشوق      إليك، وكم شجيّ مُستهام

رمزت له بألحاظ الليالي      وقد عيَّ الزمان عن الكلام

ولم أرَ قبل حبك من حبيب      كفى العشاق لوعات الغرام

فلو تدري العوالم ما درينا      لحنّت للصلاة وللصيام

بني الإسلام هذا خير ضيف      إذا غشيّ الكريم ذرا الكرام

يلتمكمو على خير السجايا      ويجمعكم على الهمم العظام

وللشاعر السعودي ضياء الدين رجب (١٣٩٦-١٣٣٥ هـ / ١٩١٦-١٩٧٦ م):

يا هلا لا مباركًا ربك الله ربنا

أنت والله بشرنا أنت والله جنبنا

حين أقبلت أقبلت نفحات تظلنا

وتوارت غمام دجنها الدجن ليلنا

وتبدت سحائب للأمانى تقلنا

يا صفاء نحبّه ورجاء يحبّنا

وللشاعر السوري «خير الدين وانلي» (١٣٥٢-١٤٢٥ هـ / ١٩٣٣-٢٠٠٤ م):

رمضان أقبل يا أولي الألباب فاستقبلوه بعد طول غياب

عام مضي من عمرنا في غفلة فتنبّهوا فالعمر ظل سحاب

وتهبثوا لتصبّر ومشقة فأجور من صبروا بغير حساب

الله يجزي الصائمين لأنهم من أجله سخروا بكل صعاب

ويقول الشاعر التونسي محمد الناصر الصّدّام:

شهر أزاح عن الدنيا دياجيها فأشرق بعد إظلام لياليها

شهر به لاح نور الحق منتجا فاهتزت الأرض إجلالا وتنويها

الله كم أبرزت أحداثه قيا سمت ولما تزل تسمو معانيها

فيه تنزلت الآيات محكمة تنهي عن الشر والبغضاء نواهيها

إن الشعوب إذا أبنّاؤها صلحوا لبوا إلى صالح الأعمال داعيها

أما الشاعر «محمود حسن إسماعيل» (٢ يوليو ١٩١٠ - ٢٥ إبريل ١٩٧٧ م) فيقول

في قصيدته التي سماها (الله والزمن) وهي إحدى قصائد ديوانه (صوت من الله):

أضيف أنت حلّ على الأنام وأقسم أن يجيّا بالصيام؟

قطعت الدهر جوابا وفيّا يعود مزاره في كلّ عام

تُحْتِم، لا يجد حمالك ركن فكلّ الأرض مهدّ للخيام

نسخت شعائر الضيفان، لما قنعت من الضيافة بالمقام

ورحت تسنُّ للأجواد شرعا من الإحسانِ علويّ النظام

أعز من الشرابِ أو الطعامِ !  
تألق طيفها مثل الشهابِ ؟  
وكلُّ مُرجسٍ دنسِ الإهابِ  
فتلحقها بأحلامِ العذابِ  
وتوأدُّ تحت أجنحةِ الشبابِ  
إليك الياثسون من المتابِ  
ولو حُمِلت أوزار الترابِ  
فكننتَ ليلهم فلقاً مينا  
فتدفعها لبابِ المعوزينا  
إليك البؤسُ، فانقلبت رينا  
خطاك على حجارتهم معينا  
ومكسبها التراحمَ والحنينا  
فيخجل أن يردَّ السائلينا  
وتحتشع السرائرُ والقلوبُ  
فتهرعُ، أو تُقنعُ، أو تذوبُ  
ولو قتلت مشاعره العيوبُ  
فيصعقها مُهتدك الغضوبُ  
من النجوى، تكتّمه الغيوبُ  
فيكتتمُ العَوَايَةَ أو يتوبُ  
عييد نداءك العاتي الرهيبِ  
يعذبهم تلفتَ للطبيبِ

بأن الجود حرمانٌ وزهدٌ  
أشهرُ أنت أم رؤيا متابِ  
تمرغ في ظلالك كلِّ عاصِ  
فانت عُجْر الأثامِ .. تجري  
تراك شفيح توبتها، فتخزي  
وانت منارة الغفرانِ، يأوي  
ويعتد الله سؤالك مُستجابٌ  
وقفتَ خطاك عند البائسينا  
تساقُ إليك أمواج التحايا  
فكم آهات محرومِ حداها  
فانت مُفزع البُخالِ ... تجري  
وانت مُلقن الأيدي نداها  
يخافك كلُّ قارونٍ شحيح  
ومنذ تهلُّ ترهبك الذنوبُ  
وتفزعُ أن تُقابلك المعاصي  
ويُفصل أن يراك أخو هواها  
كانك فارسُ الأيام، تبدو  
كان بكفك البيضاء سراً  
مُجابه كلِّ غيانٍ عنيدي  
جعلت الناس في وقت المغيبِ  
كم ارتقبوا الأذانَ كأنَّ جرحاً



وأتلعت الرقاب بهم، فلاحوا  
عُتاةُ الإنسِ أنتِ نسختَ منهم  
فيا... من لقميةٍ وحفيفِ ماءٍ  
علامَ البغي والطغيانِ؟ إني  
تلقتُ للمآذنِ حالياتٍ  
تفوحُ مباخرُ النساكِ منها  
تلالاً حولها أطواقُ نورٍ  
كانتَ حـاملٌ وخيًّا إليها  
إذا صاح الأذانُ بها أرنتِ  
يذكرُ بالهدايةِ كلِّ ناسٍ  
وهذا المعجزُ العالِي الرَّحيمُ  
تلاه في سكونِ الليلِ تالٍ  
نداءً تفرغُ الأفلاكُ منه  
على سَمعِ الهداةِ يضرعُ عطرًا  
أصاخ الكونُ مسحورًا إليه  
تنزَّلُ فوقِ صدركَ من عُلاه  
سلامًا ناسكِ الزمنِ القويِّ  
حملتُ إليك أشواقِي وسرِّي  
تمائمي التعبُّدِ بالأغـاني  
أمربه على زمني غريبًا  
وأعزفُ للصباحِ والاماسي

كركبانٍ على بليدٍ غريب  
تذلُّلُ أوجِهٍ وضمْنى جُنوبِ  
يُقلِّبُ روحه فوق اللهبِ:  
كفرتُ بمنطقِ الدنيا العجيبِ!  
كحورياتِ خلدِ سافراتِ  
فتحسبُها غصونًا عاطراتِ  
سعينَ لعطره مُتجملاتِ  
وقفنَ لسخره مُتلهفاتِ  
بإلهامِ كموجِ البحرِ عاتِ  
ويوقظُ كلَّ غافٍ في الحياةِ  
أذانُ الله، والذكرُ الحكيمُ  
فكاد لهوله تهوي النجومُ  
ويخشعُ في مساريه السديمُ  
وتُقذِفُ منه للغاوي رجومُ  
وخرَّ لبأسه الأزلُ القديمُ  
بشيرُ الوحي، والدينُ القويمُ  
من القلبِ الحزينِ الشاعريِّ  
لتحملها إلى الأفقِ العليِّ  
على نغماتِ قيثارِ شقيِّ  
كطيرِ تاه في ظلمِ العشيِّ  
فيتنفضُ الغناءُ لكلِّ حيِّ

كأني ما ذرفتُ أسي زماني      ولا أفضى صدائي بأي شيء!  
 طلعتْ مُنورا فوق العبادِ      فأيقظُ من تشبَّتْ بالرقادِ  
 وقل للشرق: إن الكون يمشي      على سبيل مُغيَّبة الرشادِ  
 فخذُ لزمانك الزادَ المرجى      من الخلق القويم والاتحادِ  
 ولا يوقفك في التيار هؤلُ      فنار الهول... نورٌ للجهادِ  
 لقد ملتْ تقلبنا الليالي      على وضرِ التنعم والفسادِ  
 شدالك بالأذان خميلُ مصرِ      فقمْ وانشر صداهُ على البوادي

وفي مناجاة شهر رمضان، يقول الشاعر المصري أحمد نجيم (١٩١٤ - ١٩٧٨ م):

أنت في الدهر غرة وعلي الأبر      ض سلام وفي السماء دعاء  
 يتلقاك عند لقياك أهل الـ      سبر والمؤمنون والأصفياء  
 فلهم في النهار نجوي وتسبيح      ح وفي الليل أدمع ونداء  
 ليلة القدر عندهم فرحة العم      ر تدانت على سناها السماء  
 في انتظارك لنورها كل لي      ل يتمني الهدى ويدعو الرجاء  
 وتعيش الأرواح في فلق الأشوا      ق حتى يباح فيها اللقاء  
 فإذا الكون فرحة تغمر الخلد      ق إليه تبطل الأتقياء  
 وإذا الأرض في سلام وأمن      وإذا الفجر نشوة وصفاء  
 وكأني أرى الملائكة الأبـ      ررار فيها وحوهنا الأنبياء  
 نزلوا فوقها من الملاء الأعلـ      سي فأين الشقاء والأشقياء؟

أما الشاعرة علية الجعار (١٩٣٥ - ٢٠٠٣ م) فكانت من أكثر الشاعرات احتفاءً بشهر رمضان، وفي ديوانها (ابنة الإسلام) نجد مقطوعة شعرية بعنوان (رمضان) جاء فيها:

وإن هل بالنور شهر الصيام      يجود به الله في كل عام  
 وصمنا له طاعة في النهار      وقمنا له خشعاً في الظلام<sup>(١٥)</sup>

ويذكر الشاعر الكويتي «فاضل خلف» (ولد ١٩٢٧ م) أجداد المسلمين التي تحققت في هذا الشهر، فيقول:

بشير الفتح والنصر المصفي      أهل فزادنا حبا وزلفي  
هو الشهر المبارك فيه عزت      ديار العرب والإسلام صفا  
وعظمة الجدود فكان مجداً      وكان المجد قرآنا وسيفا  
فمنذ النصر في ساحات بدر      ودين الله فاح شذا وعرفا  
فعطرت في المسيرة كل أرض      وأهدي من غنائه وأوفي  
فيا شهر الصيام أفض علينا      ينابيع الهدى مددا وعطفا  
في فضائل شهر رمضان:

ويقول الشاعر «تميم بن المعز الفاطمي» (٣٣٧-٣٧٤هـ / ٩٤٨-٩٨٤ م)

لِيُهَيْتِكَ أَنَّ الصَّوْمَ فَرَضَ مُؤَكَّدٌ      مِنْ اللَّهِ مَفْرُوضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ  
وَإِنَّكَ مَفْرُوضُ الْمَحَبَّةِ مِثْلُهُ      عَلَيْنَا بِحَقِّ قُلْتِ لَا بِالتَّوَهُّمِ

وللشاعر السعودي «محمد على السنوسي» (ولد ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م):

رمضان يا شهر الضياءِ      الحرُّ من أسر الظلامِ  
أطلق بأضواء الهدى      أشر النفوس من الحطامِ  
وأيز بقدي الصفاءِ      رؤى الحياة من القتامِ  
وانضح عواطفنا تقى      واغمُر نوازعنا وثامِ  
رمضان يا أمل النفوسِ      الظامثاتِ إلى السلامِ  
يا شهر بل يا نهر ينهلُ      من غدوبته الأنامِ  
طافت بك الأرواحُ سابحةً      كأسراب الحمامِ  
بيضٌ يجللها التقى      نوراً ويصقلها الصيامِ

رفافةٌ كشذى الزهور	نقيةٌ كندى الغمام
شفافةٌ الإحساسِ قاتنةٌ	مهذبةٌ الكلام
عزّت على الأهواء وارتفعت	على دنيا الرغام
وسمت إلى النور الذي	غمَرَ الوجود به ابتسام
نورٌ من الفرقان يرفعها	إلى أسْمى مقام
آياته تُشفي السقام	ولفظه يُطفي الأوام
رمضانُ! معذرةٌ فإني	لا وراء ولا أمام
نمنا وأسرى المدلجون	وما عسى يجِدُ النيام
طال الطريق بنا وضلّ	وهدّ منكبنا الزحام
ولوى الطموح عنانه	وانقصد من يدنا الزمام
سخرت بنا الأهواء	وانطلقت تقهقه في عرام
وتخاذلت همم النفوسِ	فلا انطلاق ولا اقتحام
حالٌ يغصّ بها الكرام	شجىً وبتنهج اللنام
رمضانُ رُبَّ فمٍ تمثّع	عن شراب أو طعام
ظنّ الصيامَ عن الغذاء	هو الحقيقةُ في الصيام
وهوى على الأعراض ينهشها	ويقطعُ كالحسام
يا ليتهُ إذا صامَ صامَ	عن النائم والحرام
واسْتَناك إذ يستاكُ من	كذبٍ وزورٍ واجترام
وعن القيامِ لو أنه	فيما يحاوله استقام
رمضانُ! نجوى مخلصِ	للمسلمين وللسلام
تسمو بها الصلوات والدعوات	تضطررم اضطررام

الله جل جلاله      ذي البرّ والمننّ الجسام

أن يُلهم الله الهداة      الرشد في كل اعتزام

وللشاعر العراقي «ثابت كريم جاسم الربيعي» :

القلب صب والهوي رمضان      شهر به يتجسد الإيمان

شهر الفضائل إن أردت حسابها      لم يحصها جن ولا إنسان

شرع الملّيك الصوم فيه فريضة      تزكو بها الأرواح والأبدان

من صام محتسبًا وأخلص صومه      هو في الجنان يظله رضوان

شمس الهداية أشرقت ومحمد      كان البشير وأنزل القرآن

وللشاعر السعودي «عبدالرزاق رمضان الخالدي» :

قد جاء شهر الاعتكاف فكن به      في طاعة تعطي رفيع جنان

وتجنب الأثام والزم توبة      تقصيك عن هو وعن نسيان

خسى اللعين وصدفت أحزابه      بسلاسل من سطوة الديان

وإفاك شهرك شهر أرباب التقي      رمضانك الموسوم بالغفران

فاغنم لياليه وكرم يومه      بالصوم عن زور وعن بهتان

فاجهد وشمّر فيه ساعد كيسلا      عاجزًا تبع الهوي بأماني

شهر الرضا فيه الجنان تفتحت      أبوابها كرمًا لذي العرفان

لا تفتننك عن هداك ضلالة      تلهيك عن ذكر وعن قرآن

رمضان مدرسة ومشفى فالتمس      منه الشفاء ومنهج الرضوان

لا تجعل التقوي على أيامه وقفًا      وبعده تخوض في العصيان

\* في الحث على الالتزام بأداب الصيام، واستكناه روحانياته ووجوب إحيائه بالطاعة والترفع عن النقائص والإكثار من الجود والكرم فيه

يقول الفقيه والشاعر أبو بكر عطية الأندلسي:

إذا لم يكن في السمع مني تصاممٌ ... وفي بصري غُضٌّ وفي منطقي صمت  
فحظي إذاً من صومي الجوع والظما ... وإن قلت إني صمت يوماً فما صمت  
ويقول الشاعر البغدادي أبو إسحاق الصابي (٣١٣-٣٨٤هـ / ٩٢٥-٩٩٤م)

يا ذا الذي صام عن الطعام ليتك صمت عن الظلم  
هل ينفع الصوم امرؤ طالما أحشاؤه ملأني من الإثم

وللذين ادعوا أن رمضان شهر حرمان، يقول صاحب بن عباد (٣٢٦-٣٨٥هـ / ٩٣٨-٩٩٥م):

قد تعدّوا على الصيام وقالوا حرم الصب فيه حسن العوائد  
كذبوا فالصيام للمرء مهما كان مستيقظاً أتم الفوائد  
موقف بالنهار غير مريب واجتماع بالليل عند المساجد  
ويقول «أحمد شوقي»:

يا مديم الصوم في الشهر الكريم صم عن الغيبة يوماً والنميم  
ويقول أيضاً:

وصلّ صلاة من يرجو ويخشي وقبل الصوم صم عن كل فحشا  
ويقول الشاعر العراقي «معروف الرصافي» (١٢٩٤-١٣٦٤هـ / ١٨٧٧-١٩٤٥م)  
هاجياً الذين لا يرون في رمضان غير إمساك عن الطعام والشراب:

وأعجبى العالمين فني أكلول لفطنته بيظنته انهزام  
ولو أني استطعت صيام دهري لصمت فكان ديدني الصيام  
ولكنني لا أصوم صيام قوم تكاثر في فطورهم الطعام

إذا رمضان جاءهم أعدوا      مطاعم ليس يدركها انضمام  
وقالوا يا نهار لئن تجعنا      فإن الليل منك لنا انتقام  
وناموا متخمين على امتلاء      وقد يتجشثون وهم نيام  
فقل للصائمين أداء فرض      ألا ما هكذا فرض الصيام  
ويقول الشاعر مصطفى حمام (١٩٠٦-١٩٦٤ م):

حدثونا عن راحة القيد فيه      حدثونا عن نعمة الحرمان  
هو للناس قاهر دون قهر      وهو سلطانهم بلا سلطان  
قال: جوعوا نهاركم فاطاعوا      خشعا، يلهجون بالشكران  
إن أيامك الثلاثين تمضي      كلذيد الأحلام للوسنان  
كلما سرنى قدومك أشجا      نى نذير الفراق والهجران  
وستأتي بعد النوي ثم تأتي      يا تري هل لنا لقاء ثان؟

ولقد ذم بعض الشعراء ذلك الصنف من الموسرين البخلاء في رمضان، والذين لم يعودوا أنفسهم على الجود والكرم والعطاء، وفي هذا يقول الشاعر على الجارم (١٨٨١-١٩٤٩ م) الذي نزل ضيفا عند أحد البخلاء فهجاه بقوله:

أتى رمضان غير أن سراتنا      يزيدون صوما تضيق به النفس  
يصومون صوم المسلمين نهاره      وصوم النصارى حينما تغرب الشمس<sup>(١١)</sup>

وهناك العديد من الشعراء الماجنين، الذين اشتهروا بقصائدهم التهكمية على شهر رمضان، وأعربوا عن تمللهم منه - نظرا لما فيه من نبي عن أشياء كثيرة كانوا يأتونها، وعلى رأسها شرب الخمر - وترقبهم لانتهاه دورته حتى يؤوبوا إلى ما كانوا عليه.

### \* شكوى الشعراء من إجهاد الصيام

بين الشاعر المخضرم بشار بن برد (٩٦-١٦٨ هـ) شدة تعب من الصوم والجهد ونحول جسمه أيام رمضان فقال:

قُلْتُ لَشَهْرِ الصَّيَامِ أَنْحَلْتَ جِسْمِي      فَمَتَى يَا تَرَى طُلُوعَ الْهِلَالِ  
أَجْهَدِ الْآنَ كُلَّ جُهِدِكَ فِينَا      سَنَرَى مَا يَكُونُ فِي شَوَالٍ<sup>(١٧)</sup>

ومن المداعبات الشعرية اللطيفة قول الشاعر العباسي ابن الرومي ١٨ (٢٢١-٢٨٣ هـ / ٨٣٦-٨٩٦ م) وقد جاءه رمضان في هيب الصيف:

شهر الصيام مبارك      ما لم يكن في شهر آب  
خِفت العذاب فصمته      فوقعت في نفس العذاب

وأنشد الشاعر الموصل أبو الحسن بن السري الرقاء (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) في طول أيام الصيام:

إذا طَالَ شَهْرُ الصَّوْمِ قَصَّرْتُ طَوْلَهُ      بِحَمْرَاءَ يَحْكِي الْجَلَنَارَ أَحْمَرًا  
يُقَصِّرُ عُمَرَ اللَّيْلِ - إن طَالَ - شَرُّهَا      وَيَعْمَلُ فِي عُمْرِ النَّهَارِ خَمَارَهَا

\* في وداع شهر رمضان واستقبال عيد الفطر

يقول الشاعر العباسي ابن المعتز (٢٤٧- ٢٩٦ هـ / ٨٦١- ٩٠٨ م).

أهلاً بفطر قد أتاك هلاله      فالآن فاغد إلى السرور وبكر  
فكأنما هو زورق من فضة      قد أثقلته حمولة من عنبر

وللشاعر «تميم بن المعز الفاطمي» في وداع شهر رمضان:

يا شهر مفترض الصوم الذي خلصت      فيه الضمائر والإخلاص للعمل  
أرمنت يا رمضان السيئات لنا      بشرينا للتقي علا على نهل  
وليت ظلك عنا غير متقل      بصالح وخشوع غير منفصل  
يا ليت شهرك حول غير منقطع      صوم وبر ونسك فيك متصل



## مسحراتي فؤاد حداد

إضافة إلى ريادته المتفردة لشعر العامية المصرية، يمثل الشاعر «فؤاد حداد» (٢٨ أكتوبر ١٩٢٨ - ١ نوفمبر ١٩٨٥) طيفاً بديعاً من الطيوف الرمضانية، فهو واحد من أبرز الذين اشتهروا بقصائدهم الرمضانية خلال القرن العشرين، وألف ديواناً كاملاً بعنوان المسحراتي، قام الملحن الراحل «سيد مكاوي» بتلحين قصائده وظل يؤديها لسنوات طويلة، وحرصت الإذاعة والتلفزيون على إذاعة هذه الأغاني، التي ارتبط بها الناس في شهر رمضان، وكانوا لا يشرعون في تناول وجبة السحور قبل سماعها، وكأنها عتبة مرور وفتحة ليومهم الجديد.

من هذه القصائد، قصيدة «هلال»، التي تقول كلماتها:

اصحى يا نايم

وحّد الدايم

وقول نويت

بكره إن حبيت

الشهر صايم

والفجر قايم

اصحى يا نايم

وحّد الرزاق

رمضان كريم

مسحراتي

منقراتي

أملك قيراطي

من الكلیم

رمضان كريم  
الله أكرم  
دا غير قيراطي  
من الحصير  
إن زاد إيرادي  
في الدائرة دي  
يصبح أراضي  
بساط حرير  
زي الهليل  
تلاقيه قليل  
تفضل تليل  
يصبح كبير  
يفضل يناور  
بين المناور  
في جوز أساور  
يقع أسير  
يرجع يغازل  
بين المنازل  
ما لوش عواذل  
هلال أمير  
هلال يقولي

أنا حلو كلي  
شوف عقد فلي  
صنع القدير  
هلال حمامه  
تحت الغمامه  
لبست عمامه  
ما فيهاش تطير  
هلال بيجري  
ف بحر هجري  
قال ضي فكري  
للمستير  
هلال بلدنا  
علي ألف مدنه  
لله حمدنا  
حسن المصير  
والمشي طاب لي  
والدق على طبلي  
ناس كانوا قبلي  
قالوا في الأمثال  
الرجل تدب مطرح ما تحب  
وانا صنعتي مسحراتي ف البلد جوال

حييت ودبيت كما العاشق ليالي طوال  
وكل شبر وحته من بلدي  
حته من كبدي  
حته من موال  
لو تسأل الليل يقولك راضي بالمقسوم  
والقلة في الفجرح تقول لك عن الماء صوم  
واحنا عرب كلنا أصحاب طرب مقسوم  
حلوين على كل حال لكن سوا أحلى  
يا سواحليه  
ومن الصعيد للبحيره للدقهليه  
إحنا أهليه  
تجمعنا ساعة السحور تجمعنا طبلية  
قضينا على الجاهليه نحمد الواحد  
القلب واحد ولو كان الرغيف مقسوم  
اصحى يا... ناييم وحد الدايم  
السعي للصوم... خير من النوم  
دي ليالي سمحه... نجومها سبحة  
اصحى يا ناييم... يا ناييم اصحى  
وحد الرزاق.

## نثر رمضان

لم تكن إلهامات شهر رمضان وفيوضاته الإبداعية قاصرة على الشعراء وحدهم، إنما أخذ نصيباً كبيراً من كتابات النثرين كذلك، وربما كان من هذه الكتابات ما ينافس الشعر، بل ويغلبه حلاوة ويفوقه إبداعاً، وإن كانت أقل حظاً من الذبوع والانتشار؛ ففي بيان منزلة رمضان بين أشهر السنة والفصول كتب الإمام ابن الجوزي في بستان الواعظين، فقال: «مثل الشهور الاثني عشر، كمثل أولاد يعقوب، وكما أن يوسف أحب أولاد يعقوب إليه، كذلك رمضان أحب الشهور إلى الله وكما غفر لهم بدعوة واحدة منهم وهو يوسف كذلك يغفر الله ذنوب أحد عشر شهراً ببركة رمضان».

وقال الرازي عن الشهر المبارك: «إن الله - سبحانه وتعالى - خصه بأعظم آيات الربوبية، وهو أنه أنزل فيه القرآن فلا يبعد أيضاً أن يخصصه بنوع عظيم من آيات العبودية، وهو الصوم».

وكتب أبو بكر الورّاق في ذات الموضوع قائلاً: «مثل رجب مثل الرياح، شعبان مثل السحاب ورمضان مثل المطر».

وفي محاسن شهر رمضان كتب الإمام الحسن البصري، قائلاً: «إن الله تعالى قد جعل رمضان مضماراً لخلقه، يَسْتَبِقُونَ فيه بطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا فالعجب للمضحك اللّاعب في اليوم الذي فاز فيعه المسارعون، وخاب فيه الباطلون، فالله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبيين، في شهر شرفه رب العالمين».

أما الصحاح بن عباد فأرسل قطعة نثرية يهنئ فيها أحد الأمراء بمقدم شهر الطاعة والغفران جاء فيها: «كتابي أطال الله بقاء الأمير، عُزّة شهر رمضان، جعل الله أيامه

غراء، وأعوامه زهراء، وأوقاته إسعاداً، وساعاته أعياداً، وأتاه في هذا الشهر الكريم مورده ومأتاه أفضل ما قسم فيه لمن تقبل أعماله فبلغه آماله...».

ومن الأدب العربي الحديث نقرأ ما كتبه الأديب مصطفى صادق الرافعي قائلاً: « شهرٌ هو أيامه قليلة في الزمن، متى أشرفت على الدنيا قال الزمن لأهله: هذه أيام من أنفسكم لا من أيامي، ومن طبيعتكم لا من طبيعتي، فيقبل العالم كله على حالة نفسية بالغة السمو، يتعهد فيها النفس برياضتها على معالي الأمور ومكارم الأخلاق، ويفهم الحياة على وجه آخر غير وجهها الكالحن، ويراهما كأنها أجيعت من طعامها اليومي كما جاع هو».

وعبر الأديب عباس محمود العقاد عن شهر رمضان بقوله: «رمضان شهر الإرادة.. أدبه أدب الإرادة، وليست الإرادة بالشيء اليسير في الدين وما الخلق لإتبعات وتكاليف، وعماد التبعات والتكاليف جميعاً إنما تنأط بمريد ومن ملك الإرادة فزمام الخلق جميعاً في يديه»<sup>(٢٠)</sup>.

ويصور أمير الشعراء أحمد شوقي معاني الصوم تصويراً أدبياً، فيقول في كتابه «أسواق الذهب»: الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة يستثير الشفقة ويحض على الصدقة، يكسر الكبر ويعلم الصبر ويسن خلاله البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع وحرمت المترف أسباب المنع، عرف الحرمان كيف يقع وكيف ألمه إذا لذع<sup>(٢١)</sup>.

## شهر رمضان في ذاكرة الأدباء والكتاب

إذا كان العديد من الشعراء قد حلقوا في سماء الأجواء الرمضانية وجابوا آفاقها؛ فإن العديد من الساردين والنثرين كذلك استلهموا تجليات هذا الشهر في كتاباتهم، بما يجعل من هذه الكتابات نصوصا اجتماعية دالة، تمثل سجلا لأحوال مصر عبر العصور المختلفة، على نحو ما رأينا في كتابات الرحالة العرب والأجانب والمستشرقين التي تم الاستعانة بها داخل أبواب هذا المعجم، جنبا إلى جانب كتابات المؤرخين المصريين.

وقبل السياحة في هذه الكتابات، تجب الإشارة إلى أن هناك العديد من الأعمال السردية المصرية، عنيت برصد المظاهر الرمضانية، مثل رواية «الشمندورة» للأديب النوبي «محمد خليل قاسم»، التي تعد مرجعا مهما، يمكن من خلاله قراءة كيفية احتفال النوبيين بشهر رمضان قبل التهجير، مما يمكن الباحث الاجتماعي والتاريخي في هذا الشأن من الوقوع على مادة ثرية، تمثل واحدة من المداخل إلى الشخصية النوبية.

من جانب آخر هناك بعض الروايات التي جرت أحداثها داخل شهر رمضان بأكمله، مثل رواية «١٧ رمضان» لجرجي زيدان، نظرا لطبيعة موضوعها، وهناك من الروايات ما يعد مرجعا أنثروبولوجيا متكامل الجوانب يمكن الاستدلال منه على طبيعة شهر رمضان وخصوصية تعامل المصريين معه، مثل رواية «خان الخليلي» لنجيب محفوظ، و«في بيتنا رجل» لإحسان عبد القدوس، التي وقعت جوانب كثيرة من أحداثها في شهر رمضان.

أما إذا انتقلنا إلى ذكريات الكتاب عن شهر رمضان، فيطالعنا في هذا الباب ما كتبه الأديب «نجيب محفوظ»<sup>(١٢)</sup>، عن ملامح شهر رمضان في حي الجمالية وتحديدًا في منطقة بيت القاضي التي شهدت ميلاده، يقول:

كان ميدان بيت القاضي يبدو في فرح مستمر لمدة شهر كامل، فإذا ما جاء العيد وصل الفرح إلى ذروته وعلت مباني الشارع زينات الأفراح، وقد كان أجمل ما يسعدني أن المنازل التي تقع في الحي كانت وقت رمضان تفتح أحواشها للناس، وكانت تأتي بالمنشدين الذين كانوا يقيمون ما كان يسمى بالتوليد النبوي، وهو مثل حلقات الذكر تنشد فيه قصائد المديح في النبي، وكانت هذه المنازل تتباري في من يأتي به للإشاد، وكنا نحن نتقل من منزل إلى آخر نستمتع بهذه الحلقات.

وكان رمضان بالنسبة للأطفال في هذه الأيام شهر الحرية، لأن الأهل كانوا يسمحون لنا بالأشياء التي كانت ممنوعة في بقية أيام السنة فقد كنا في ذلك الوقت أطفالاً صغاراً لا يسمح لنا بالتغيب عن البيت طويلاً ولكن ما إن يجيء رمضان حتى تفتح الأبواب؛ لكي نخرج إلى الشارع، حتى في الليل دون أن يقال لنا ألا تأخر من دون أن يذكرنا أحد بموعد للعشاء أو النوم. وكانت هدية رمضان الأولى بالنسبة لنا هي الفانوس الذي كانت تضيئه آنذاك شمعة.

ويواصل نجيب محفوظ قائلاً:

لكن الأكثر أهمية في رمضان بالنسبة لنا كأطفال في مثل هذه السن الصغيرة أن الأهل كانوا يسمحون لي أن أخرج إلى الشارع، حتى أجتمع بالأطفال سواء بنات أو صبيان، وكان لهذا الاجتماع وقع خاص في أنفسنا حيث كنا نجتمع في مكان متفق عليه فيها بينما ثم نتطلق حاملين الفوانيس ذات الألوان الزاهية، وندور على جميع بيوت ميدان بيت القاضي مرددين أغاني رمضان في فرحة شديدة.

وعن الأيام الأخيرة في شهر رمضان يقول:

كنت أشارك في عمل الكعك حيث كنت أقوم بنقشه مع والدتي، ثم يأتي الفران ليحمله للفرن، وكنت أسعد بمنظرة حينها يعود من الفرن، أما لبس العيد، فكنت أذهب مع والدي أشتري بدلة العيد.

ويصف طه حسين لحظات الإفطار بقوله:

فإذا دنا الغروب وخفت القلوب وأصغت الأذان لاستماع الأذان... وطاشت نكهة الطعام بالعقول والأحلام. فترى أشداقاً تنقلب وأحداقاً تنقلب بين أطباق مصفوفة



وأكواب مرصوفة.. تملك على الرجل قلبه وتسحر لبه بما ملكت من فاكهة وأترعت من شراب.

الآن يشق السمع دوي المدفع، فتتنظر إلى الظماء وقد وردوا الماء.. وإلى الجياع طافوا بالقصاع.. تجرد أفواهاً تلتقم وحلوقاً تلتهم.. وألواناً تبيد ويطونا تستزيد.. ولا تزال الصحائف ترفع وتوضع والأيدي تذهب وتعود.. وتدعو الأجواف قدني.. قدني.. وتصيح البطون قطني.. قطني.

وعن سهرات رمضان الدينية سجل شيخ الصحفيين الراحل «حافظ محمود» ذكرياته عنها في كتابه «المعارك في الصحافة والسياسة»، تحت عنوان «سهرة مع الصالحين»، بقوله:

كانت ألوان السهر في ذكر الله أو التزود من كلمات الله علماً وعبادة في شهر رمضان ولئن كانت هذه الألوان كلها معروفة وقد امتد منها الشيء الكثير حتى الآن، فإن هناك لوناً خاصاً من سهرات رمضان.. كان بعض الناس يختار في ليالي رمضان أن يستصحب أحد الصالحين المخلصين يقضي معه الليل بطوله في أحاديث الصوفية.

ويردف قائلاً: رأيت أنا هذا اللون من سهرات رمضان بصحبة الشيخ «محمود الأشليمي»، ولم يكن الأشليمي شيخاً بالمعنى الرسمي، بل كان أفندياً يعمل رئيس مكتب من مكاتب البرق التي يجري العمل فيها باللغة الإنجليزية للخارج.. كانت ثقافته تؤهله لذلك، لكن صوفيته أهله لشيء آخر، هو اعتزال الناس والعكوف على العبادة بغرفة صغيرة متواضعة بالقرب من المسجد الحسيني.

وذا ليلة من ليالي رمضان في سنة من سنين الحرب العالمية الثانية وجيوش هتلر تجتاح كل أوروبا قال لنا الأشليمي عليه رحمة الله: إن هتلر مسكين.. إنه سينهزم وينتحر.. وكذبنا يومئذ الشيخ محمود وظننا أنه يخرف، لكن الأيام كذبت ظنوننا وحققت نبوءته.. أما عن مظاهر الاحتفال بمقدم العيد في الريف المصري فيسجلها د. محمد رجب اليومي<sup>(٢٣)</sup>، بقوله:

كان عيد الفطر في الريف خاتمة لثلاثين يوماً من الأعياد هي أيام رمضان المبارك، إذ كان كل يوم بفرحته الغامرة وبمصايحه التي يحملها الأطفال في الشوارع، وبموائده

التي تقام قبيل الغروب أمام منازل الموسرين، وبدروسه الدينية في ساحة المسجد بعد العصر وبعد صلاة المغرب، وبالمثذنة المتألقة بالضياء، الصادحة بالأذان والتواشيح، وبالزيارات الليلية المتصلة في سهوات المقارئ بالمنازل المترفة.. كان ذلك كله بعض مظاهر الاحتفال، أما «الليالي» الثلاث التي يجيئها شاعر الربابة بالمقهي، فهي تتويج لهذه النشوات الغامرة، إذ كان من المصطلح عليه أن يختص كل شاعر في هذا الموسم الجهير بعشر قري من قري الريف، يزور كل قرية في ثلاثة أيام متفرقة قد حددت مواعيدها وأبرم الاتفاق عليها بين صاحب المقهي والشاعر على نحو لا يقبل التراجع، ولم يكن للراديو وقد بدأ في الظهور أثره الخالب في جذب الجمهور إلا ما كان من سماع المشاهير من القراء. وأميرهم يومئذ هو الأستاذ الشيخ «محمد رفعت» فإذا انقضت ساعة القراءة كان المقهي برواده في شأن آخر من شئون الاستمتاع، أما الشاعر فقد اعتاد أن يصل بعد أداء صلاة العصر قادما من القرية المجاورة على جناح حمار مطهم، يقوده ريفي متطوع، حتى يبلغ المكان المحدد ويتناقل القوم أخبار مجيئه فيتأهبون ليلية حافلة، فإذا استراح بعض الأمد، وأذن المغرب تناول طعام الإفطار عند من يتطوع مرحبا باستضافته من الموسرين بعد استئذان صاحب المقهي؛ لأنه الداعي المضيف، ويفضل الزائر الكريم أن يصلي المغرب والعشاء بمنزل المضيف، لا بالمسجد كي يكون استقباله بالمقهي عند بدء السهرة مما يليق تماما بمقامه الجهير وهو روح الاحتفال!

وكانت ليالي الصيف في رمضان أبهج رونقا وأروح جلوسا من ليالي الشتاء، إذ إن شتاء رمضان يجبر السامعين على الانكماش في المقهي وهو على سعته النسبية لا يتيح مجالاً للانبساط والتبجح، أما صيف رمضان فتنتقل المقاعد فيه إلى الفضاء الفسيح خارج المقهي وتتنظم صفوفاً متراسة وفق ترتيب يجذبه القائمون على شئون السهرة، ويأخذ الشاعر راحته النفسية حين يجلس على أريكة عالية، يقلب نظره في جمهوره، وبين يديه ربابته الموسيقية التي يعشق الحاضرون أنغامها وكأنها وحي سماوي خالد، وهنا يتسع المجال لسيدات المنازل المجاورة كي يملأن النوافذ مصغيات إلى ما يهتف به الشاعر، وقد تزغرد إحداهن إذا استمعت إلى مواقف الابتهاج بين عبلة وعنتره، فيتردد التصفيق مجاوبا هذه الزغاريد، ويطلب من الشاعر أن يعيد ما حكاه عن فرحة اللقاء بين الحبيين فيستجيب وفي عينيه بريق النشوة والابتهاج.

ويشير «د. البيومي» إلى أن برنامج الليالي الثلاث التي يقضيها المنشد بالقرية كان يمضي على النحو الآتي: الليلة الأولى كان يروي فيها قصة أبي زيد الهلالي، أما الليلة الثانية فقصة عنتر، فيما يختتم برناجه في الليلة الثالثة بقصة الزير سالم.

ونفس برنامج هذه السهرات -تقريبا- يورده محمد خليل قاسم عن مجتمع النوبة القديم في روايته الشمندورة، حيث يروي أن النوبيين كانوا يقضون سهراتهم بين حلقات الذكر والاستماع إلى القرآن وأساطير البطولة.

وعن وداع اللحظات الأخيرة من الشهر وتعاطى الجماعات الشعبية لها يقول عبد الحميد حواس: كان للغروب الأخير من رمضان وقعه الخاص - ولا زال - منذ صباي في الأربعينيات من القرن العشرين. فقد كان يسود القرية صمت ثقيل - منذ ما بعد العصر - فيه أسى وترقب وتحسب من عبور النقلة من رمضان. وقبيل مغيب الشمس تتصاعد روائح البخور تغمر هواء القرية. ثم تسمع من هنا وهناك طقطقة حصوات الملح والفكوك تنقل على جمرات المناقد. وما إن يأخذ ضوء الغسق في الانسحاب إلى ما وراء البيوت، حتى تتصاعد أصوات طرق وقرع منتظمة يتعالى معها صيحات غناء. وقد كنت - بوصفي أصغر أفراد الأسرة - أشارك في إصدار هذه الأصوات مع القرع بقضيب من الحديد على أدوات أخري حديدية. كان الكبار قد ساعدوني في جلب تلك القطع الحديدية ووضعها عند عتبة الباب الخارجي للدار. وقبيل الغروب أتوا بمنقد الجمرات وقد أجمت ووضع عليها البخور والملح والفكوك. حيثئذ أجلس - مثلي مثل لداي - على عتبة الدار أقرع الحديد في دقات تتوافق مع أغنية مطلعها: يا بركة رمضان / خليكي في الدار / يا شيطان اطلع من الدار. وأواصل بهمة هذا الدق والغناء إلى ما بعد الغروب لأسارع بعدها للحاق بمائدة الإفطار الأخير.

وفي قرى أخرى، كانت عملية التبخير والقرع والغناء تتم فوق أسطح المنازل، وربما استبدلوا ضرب الأواني النحاسية بالقرع على الأدوات الحديدية. والغرض في كل الأحوال، هو وقاية المنازل من غزوات العفاريت، التي ستنتقل لحظة انتهاء الشهر الكريم، وتأمين عدم إزاحتها لبركة رمضان، وضمان استمرار حلول روحه الطيبة وإقامتها الدائمة<sup>(٢٤)</sup>.

إضافة إلى ما سبق توجد بعض الأعمال الإبداعية الأخرى التى سارت على الدرب ذاته، إن مستلهمة لأجواء الشهر الكريم أو متخذة منه زمانا لأحداثها، مثل: عودة الروح «لتوفيق الحكيم، ورواية «لا أحد ينام فى الإسكندرية» لإبراهيم عبد المجيد، التى نطالع من خلالها العلاقة الحميمة بين بطلها الشيخ مجيد الدين المتدين النازح من إحدى قري البحيرة، وجاره المسيحي الذى يتعامل معه وكأنه يشاركه الاحتفال بهذا الشهر، جامعاً لحالة إنسانية وممثلاً لحالة وطنية واحدة. وكذلك رواية «محب» لعبد الفتاح الجمل، وقصة بائعة الكنافة للقاص سعد حامد. وقصة «أكان لا بد أن تضئى النور يالى لى» التى قام فيها بتصوير سهرات تعاطى الخشيش فى حى الباطنية، الذى لم يردع متعاطوه حلول رمضان. وهو الملمح ذاته الذى التقطه «يحيى حقى» فى «قنديل أم هاشم» متمثلاً فى عدم صيام «إسماعيل» بطل الرواية عقب عودته من أوروبا. وكذلك قصة المتصايبه لعائشة عبد الرحمن «بنت الشاطى» ضمن مجموعتها «صور من حياتهن» التى صورت بطله القصة المتصايبه التى لاتعبأ برمضان وقدسيته. وكذلك محمد حسين هيكل فى زينب، وانتهاء بإبراهيم عيسى فى روايته «صار بعيداً».

ويلاحظ أن شهر رمضان ارتبط فى أعمال العديد من الأدباء بالخير والمعجزات وتحقيق الانتصارات وتنقية النفوس واستجابة الدعاء، ففى قصة «معجزة فى رمضان» لإبراهيم المصرى من مجموعة «صور من الإنسان» نجد بركات شهر رمضان تحل فى زوجة مصطفى بك التى يهبها الله حملاً منه بعد أم ينست من الحمل وكادت أن تقع فى الخطيئة. وإسماعيل المشلول فى قصة «بائع العطور» لمحمود البدوى، الذى يسترد قدرته على الحركة بعد أن غفى فى أحد نهارات رمضان واستيقظ على تكبير الناس وهم يهللون فرحاً باقتحام الجيش المصرى لخط بارليف ورفع علم مصر على أرض سيناء، فيتفض وينسى عكازه كأنه لم يكن مشلولاً من قبل.

كما صور الكاتب «على أحمد باكثير» انتصار الجيش المصرى فى معركة عين جالوت فى رواية «وإسلاماه». وبين أثر الصوم فى ذلك، يقول: وخر الملك ساجداً لربه، ثم رفع رأسه وخطب قائلاً: أيها المسلمون، إياكم والزهو بها صنعتم، وما يدريكم لعل دعوات إخوانكم المسلمين فى الساعة التى حملتم فيها على عدوكم، يوم الجمعة وفى هذا الشهر العظيم.. شهر رمضان، كانت أمضى على عدوكم من السيوف.

## شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين

إذا كان الدارسون والباحثون في عادات المصريين وتقاليدهم، يعتمدون بصورة أساسية على كتب المؤرخين المصريين، إلا أن هناك مصدرين آخرين مهمين، يستدل من خلالهما على العديد من المظاهر التي ربما لم تلفت عناية المؤرخين المصريين فلم يتصدوا لها، هذان المصدران هما: كتابات الرحالة العرب والأندلسيين، ثم الأجانب، خصوصاً المستشرقين منهم، الذين زاروا مصر خلال عصور مختلفة ودرسوا عادات شعبها، وقد اعتمدنا في كثير من فصول هذا الكتاب على ما سجله الرحالة العرب والأندلسيين بخصوص مشاهداتهم عن شهر رمضان في مصر، أمثال: الرحالة المغربي ابن الحاج، وابن بطوطة، وابن جبير، والبغدادى، والرحالة الفارسي ناصر خسرو، واعتبرنا هذه الكتابات جزءاً لا ينفصل عن كتابات المؤرخين في هذا السياق وذلك لانتماهم إلى الديانة الإسلامية واللغة العربية، مما سهل لهم فهم العديد من السلوكيات والأفعال، وهو الأمر الذي كان يتسم بدرجة من التشوش لدى الأجانب نتيجة لعدم إتقانهم اللغة العربية أو عدم فهمهم لطبيعة الشعائر الإسلامية والشعوب العربية، إضافة إلى اعتماد أكثرهم على مترجمين، مما جعل كتاباتهم تتسم بالسطحية والسذاجة وعدم الفهم الدقيق لسياقات الأمور في بعض الأحوال، رغم ذلك فإن كتاباتهم تفتح أبواباً لم يلجها غيرهم، وإن كان يجب التعامل معها بحرص فإن هذا ليس مبرراً للتغاضي عنها. ولعل المظاهر الدينية لقيت اهتماماً يفوق ما لقيه سواها من المظاهر بسبب الغرابة التي تبث لهم فيها مقارنة بمعتقداتهم، وكان من بين تلك المظاهر الاحتفال بشهر رمضان قدوماً وصياماً وقياماً وعادات وتقاليد ارتبطت به دون غيره من الشهور، وما يتلوه من احتفالات بعيد الفطر، بل إن بعض الرحالة أشار إلى قضايا فقهية تتعلق بالصوم وبممارسة الحياة خلال شهر الصوم والتغيرات التي تطرأ على سلوك الإنسان<sup>(٢٥)</sup>، دون فهم لأبعادها أو النظر إليها في سياقاتها، مما صور سلوك المصريين - في بعض الأحوال - لديهم بشكل سلبي، يساهم في التكريس للنظرة الخاطئة التي اعتاد الكثير من الأوروبيين رؤية المصريين عبرها.



في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، زار الرحالة الإيطالي «برنارد دي بريد بناخ»، القاهرة وشهد جانباً من احتفال المصريين بهذا الشهر المعظم وقام بوصفه، ووصف مظاهر بهجة الناس بحلوله، وحرصهم على إنارة المساجد والدروب، وقدم وصفاً للإشاد وحلقات الذكر التي تعمر ليليه.

أما الرحالة الإيطالي «فيلكس فابري» (١٤٤٠-١٥٠٢م تقريباً) فقد زار مصر مرتين؛ أولهما عام ١٤٨٠م، والثانية من ١٣ إبريل ١٤٨٣م حتى ٣٠ يناير ١٤٨٤م، وفي كتاباته عن شهر رمضان في القاهرة؛ أعرب «فابري» عن دهشته ليلة دخوله القاهرة لكثرة ما رأى في شوارعها من الأنوار والمشاعل والفوانيس المختلفة ألوانها وأشكالها، التي يجمعها الكبار والصغار، وشاهد المسحراتي يجوب الشوارع ليلاً، وينادي الناس بأسمائهم. واعتقد أنه أحد رجال الدين، حيث كان يمر ثلاث مرات في الشوارع ليلاً ومعه طبله يدق عليها منادياً للناس بأسمائهم<sup>(٢٦)</sup>.

وفي عام ١٥٨١م زار الرحالة الفرنسي «جان باليرن» مصر، وتوقف خصوصاً أمام حرص المصريين على العطف على الفقراء في شهر رمضان وتوزيع الصدقات عليهم.

وفي عام ١٥٨٩م زار الرحالة الفرنسي جاك دو فيلامون (١٥٦٠-١٦٢٥م) مصر، وتحدث في كتابه المنشور بعنوان (رحلات السير دو فيلامون) عن مواكب دراويش الصوفية وحلقات الذكر وإنارة المساجد وزحام الأسواق ومآدب الإفطار التي يدعى إليها الأصدقاء، ووصف المصريين بالكرم فيقول: «ولديهم عادة جميلة، إذ يجلسون على الأرض ويأكلون في فناء مكشوف أو أمام بيوتهم، ويدعون المارة إلى الطعام في صدق وحرارة»<sup>(٢٧)</sup>. (انظر: مآدب الإفطار الجماعية).

وخلال العصر العثماني شهد الرحالة التركي «أوليا جلبي» احتفال مصر برؤية هلال رمضان سنة ١٦٧٠م، وقدم وصفاً دقيقاً في كتابه «سياحته في مصر»<sup>(٢٨)</sup> لموكب رؤية الهلال، الذي أطلق عليه «موكب ليلة المحتسب» وادعى أن البعض كانوا يسمونه «بعيد النسوان». (انظر: موكب الرؤية).

وإبان إقامته في مصر قام الطبيب الفرنسي أنطوان بارتيليمي كلوت (١٧٩٣-١٨٦٨م) المعروف بكلوت بك، (مؤسس أول مدرسة للطب في مصر في عصر محمد

على باشا) - قام بتسجيل مشاهداته في شهر رمضان في مجتمع القاهرة، في كتابه الشهير «لمحة عامة إلى مصر»؛ وقدم وصفا لطعام المصريين في وجبتي الإفطار والسحور والتفاهم حول حكايات شعراء الربابة والمنشدين، في الأماسي الرمضانية وكذلك تعرض لوصف حلقات الذكر المختلفة.

ومن الأشياء التي استرعت انتباه كلوت بك امتناع بعض المصايين بالحمى عن تناول الدواء مؤثرين الموت على مخالفة واجب الصوم، وعن عادات الإفطار قال: «إن الفقراء يتناولون إفطارهم بنهم وشهية، أما الأثرياء فيكتفون بوجبة خفيفة؛ قليل من الخبز أو الحلوى أو الفاكهة إلى أن يصلوا العشاء، ثم يتناولون وجبة الإفطار الدسمة»<sup>(٢٩)</sup>.

وعن الأماسي الرمضانية، قال: يتخذ كثير من المصريين طريقهم إلى المساجد لأداء صلاة التراويح، بينما يمضي البعض إلى المقاهي، يستمعون إلى حكايات شعراء الربابة والمنشدين، وتتنوع أمسيات رمضان في شوارع القاهرة، ما بين مشاهد ألعاب الحواة، أو الانضمام إلى حلقات الذكر حول ضريح أحد الأولياء، بينما يتجمع البعض في محرات حديقة (الأزبكية) في ضوء القمر، ليستمعوا إلى فرق الموسيقى التركية، ومشاهد (خيال الظل) و(الأراجوز) وتناول الكعك والذرة المشوي والقهوة وعصائر الفاكهة. ويتفنن الباعة في الغناء لبضاعتهم، بينما يشق السقاءون الجموع وهم يحملون قرب الماء<sup>(٣٠)</sup>.

وفي أيام الحملة الفرنسية على مصر قام المؤرخ الفرنسي الشهير «فرانسو جومار» (١٧٧٧-١٨٦٢ م) .. أحد العلماء الذين أتوا بصحبة نابليون بونابرت أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨ م، - قام برصد عادات المصريين في شهر رمضان وضمنها كتابه (وصف القاهرة وقلعة الجبل)، وتوقف بصورة كبيرة أمام أحوال الشوارع ودروس الفقه بالمساجد في نهار رمضان، وكذلك أحوال الأسواق والمقاهي.

يقول جومار: «تحيا الأعياد الدينية في القاهرة ببذخ شديد؛ فالتناس جميعاً يعلمون أن رمضان هو شهر الصوم فيمتنعون عن الطعام والشراب والتدخين، والاستمتاع بأي تسلية لنسيان ذلك الامتناع، ويحتفي المسلمون بليالي رمضان، وبينما يحضرون خلال النهار في جماعات كبيرة، ويورع شديد دروس الفقه في المساجد، تبدو في المساء الشوارع مضاءة صاخبة، وتظل الأسواق والمقاهي مفتوحة حتى أذان الفجر»<sup>(٣١)</sup>.

ومن علماء الحملة الفرنسية أيضا قام العالم «دي شابرول» بوصف بعض المشاهدات الرضائية وذلك ضمن دراسته عن تقاليد سكان مصر، نُشرت ضمن موسوعة «وصف مصر»، وتوقف طويلا أمام طقوس رؤية هلال شهر رمضان، واستقبال الناس له.

كما رصد «جليبر جوزيف جاسبار كونت دو شابرول» (١٧٧٣-١٨٤٣ م) أحد علماء الحملة الفرنسية - أيضا- في بحثه (محاولة في تقاليد سكان مصر المعاصرين) الذي نشر في كتاب (وصف مصر) (٣٢١)، - رصد العديد من أحوال المصريين في نهار رمضان، وقام على نحو خاص بمقارنة أحوال الفقراء قياسا لأحوال الأثرياء، وتعرض كذلك لبعض أحوال مجتمع النساء في شهر رمضان. كما قدم وصفا لموكب الرؤية، حيث كان يركب القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحاسب وأرباب الدولة، يحيط بهم الدراويش وعامة الناس، وعدد كبير من القناديل والمشاعل لاستطلاع الهلال، وعقب ثبوت الرؤية، يتوجهون جميعاً إلى القلعة لتهتته الوالي، وتضاء أمام الحوانيت القناديل والشموع، وتوضع المباخر بأشكالها الجميلة تنتشر منها روائح زكية. (انظر: موكب الرؤية).

ووفقا لرؤيته فقد وصف «دو شابرول» ممارسات المصريين خلال شهر رمضان بالمتناقضة، فإلى جانب تطهير النفس.. هناك الانغماس في الملذات وعلل ذلك بأن المشرع أراد أن يخفف من وطأة هذه التوبة المهلكة فعمل على أن تصحبها أوقات تخصص للمسرات! واعتبر أن شهر رمضان في مجموعه هو شهر للعبادة واللهم أيضاً، مما يشير إلى قصور في فهم طبيعة الدين وعلاقة المصريين به ومغزى سلوكياتهم الاجتماعية، في التعامل مع الشهر الفضيل الذي يتعاملون معه على نحو مخصوص، لا يحظى به شهر آخر من شهور السنة. وعلى حد تعبير نجيب محفوظ في خان الخليلي فهو شهر النور والسرور، والليل المنار اليقظان والليل العامر بالسمار والمنشدين واللهم البريء.

يقول: في النهار، يسعى كل امرئ قدر طاقته كي ينهي عمله في أسرع وقت، ليخصص بضع ساعات للنوم، فترى الفلاح راقداً تحت نخلة، والتاجر يرقد على بنك دكانه، والعامّة ممددين أمام واجهات بيوتهم بينما الأثرياء ينعمون بالنوم على أرائك فاخرة داخل السلامك. وتتجمع النساء في المشريات يرقبن الشمس وهي تتوارى وراء الأفق.. إلى أن تأتي الساعة التي طال انتظارها، حيث تتصاعد أصوات المؤذنين من



فوق منارات المساجد، يدعون الناس إلى الصلاة، فمنهم من يلبي النداء، ومنهم من يسرع إلى الطعام والشراب.. ويحرص الأثرياء على تقديم مآدب الإفطار الباذخة، حيث يقدم الطعام إلى الجميع بلا تمييز.

وتظل المساجد والشوارع مضاءة بالقناديل حتى مشرق الشمس ويذهب كثير من الناس إلى المقاهي للاستماع بحماس إلى الرواة والمشددين وهم يقصون حكايات عجيبة... ويذهب البعض إلى الحمامات العامة التي لا تخلو من المرات والتسلية... بينما تزدهم الميادين بالحياة والمشعوذين، وفرق التمثيل (بمشاردها الركيكة والمالحة التي لا تجتذب الا العوام)... وتمتد مباحج ليالي رمضان إلى (الحريم) حيث يسمح للنساء باستقبال زوارهن، وباستدعاء العوام والموسيقيات... وقد يشهد الزوج جانباً من هذه الأمسيات، وقد جلس على أريكته في استرخاء، وإلى جانبه أحب زوجته إلى قلبه، ومبسم نرجيلته في فمه<sup>(٣٣)</sup>.

أما المستشرق البريطاني الشهر «إدوارد لين» (١٧ سبتمبر ١٨٠١ - ١٠ أغسطس ١٨٧٦م)، الذي أقام فترة طويلة في مصر دارسا لشعبها، فيعد كتابه «المصريون المحدثون» واحداً من أهم المراجع عن عادات المصريين وتقاليدهم، خلال أواخر الحكم العثماني. وما قدمه «إدوارد ولیم لين» في كتابه من مشاهدات رمضانية يعد سجلاً حافلاً لأحوال المصريين في رمضان في أواخر العصر العثماني، إذ تعرض لكافة مجريات الحياة الرمضانية بدءاً من رؤية الهلال واستقبال الناس للشهر، واحتفالهم بقدمه، وعاداتهم خلال هذا الشهر، وتوقف طويلاً أمام المسحراتي وقدم وصفاً دقيقاً له. (انظر: موكب الرؤية والمسحراتي).

كذلك قدم الرحالة الأيرلندي «ريتشارد بيرتون» (١٨٢١-١٨٩٠) الذي عمل ضابطاً بالجيش البريطاني في الهند، وقد قام برحلات استكشافية في شرق وغرب أفريقيا، وجزيرة العرب ووصل إلى مصر سنة ١٨٥٣م - قدم وصفاً لانتظار الناس لانطلاق مدفع الإفطار وفرحتهم بالإفطار وسجل ملاحظاته بقوله: (تراعى مختلف الطبقات شعائر هذا الشهر بإخلاص شديد على الرغم من قسوتها! فلم أجد مريضاً واحداً اضطر ليأكل حتى لمجرد الحفاظ على حياته.. وحتى الأثمنون الذين كانوا قبل رمضان قد اعتادوا السكر والعريضة حتى في أوقات الصلاة قد تركوا ما كانوا فيه من

إثم، فصاموا وصلوا!... والأثر الواضح لهذا الشهر على المؤمنين هو الوقار الذي يغلف طباعهم... وعند اقتراب المغرب، تبدو القاهرة وكأنها أفاقت من غشيتها، فيطل الناس من النوافذ والمشربيات يرقبون لحظة خلاصهم!، بينما البعض منهمك في صلواته وتسيبجه، وآخرون يتحلقون في جماعات أو يتبادلون الزيارات.

وعن لحظة الإفطار بقول: أخيراً... انطلق مدفع الإفطار من القلعة، يا للسعادة!، ويجلجل صوت المؤذن جيلاً داعياً الناس إلى الصلاة، ثم ينطلق المدفع الثاني من قصر العباسية (سراى عباس باشا الأول) وتعم الفرحة أرجاء القاهرة، التي كانت صامتة.. ويتنقل إحساس الترقب المبهج إلى اللسان الجاف والمعدة الخاوية والشفاه الواهنة، فتشرب (قلة) من الماء، ثم تصفق طالباً في عجلة الشيشة وقدحاً من القهوة، ثم تنتظر مباحج المساء! (٣٤).

وبينما يتخذ البعض طريقه إلى المساجد لأداء صلاة التراويح، ينخرط كثيرون في المسرات، فيجلسون متزاحمين عند مداخل المقاهي يدخنون النرجيلة ويستمعون لحكايات رواة السير الشعبية، وتظل الأسواق مفتوحة حتى ساعة متأخرة.

ويشير «بيرتون» مثلما أشار سابقه «كلوت بك» إلى أن الفقراء يتناولون طعام الإفطار بنهم تام، بينما الأثرياء يكتبون بقليل من الفاكهة أو الحلوى أو العصائر، وعقب أداء صلاة العشاء، ثم التراويح، يتناولون طعام الإفطار.. وفي الليل، يتغمس الجميع في المتع المباحة، وتزدحم الشوارع والأسواق بالناس، كما تزدحم المقاهي بروادها، ينهلون المشروبات المحلاة وأقداح القهوة ويدخنون النارجيلة، ويستمتعون بحكايات الرواة وعازفي الربابة والمنشدين.

وتحدث «بيرتون» أيضاً عن جولاته بشوارع القاهرة في ليالي رمضان، خاصة الطرق المؤدية إلى حديقة الأربكية، وصخب الزحام الذي يكاد يغطي على صوت المؤذن في الفجر، داعياً المؤمنين: «الصلاة خير من النوم» (٣٥).

وفي يومياته عن الحياة الاجتماعية في مصر في نهاية عصر إسماعيل وبداية عصر توفيق؛ قام «ألبرت فارمان» (١٨٧٦ - ١٩٦٩)؛ قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في مصر بين عامي ١٨٧٦ - ١٨٨١ م، - قام بتسجيل انطباعاته عن مظاهر الاحتفال بشهر

رمضان خلال فترة إقامته بها. يقول فارمان عن استطلاع الرؤية: يخرج الرجال إلى التلال العالية خلف القلعة، وفور أن تثبت لهم رؤية الهلال يعودون بالبشرى، ولا بد من إثبات ذلك كتابة، وصدور إعلان من أصحاب المقامات الرفيعة المجتمعين ببيت القاضي... وتطلق المدافع من القلعة، وتسير المواكب الرسمية والشعبية المبتهجة في أرجاء العاصمة، معلنة بدء صيام رمضان.. وعندما توشك الساعات المضنية من النهار شديد الحرارة على الانتهاء، ينتظرون في صمت دوي مدافع القلعة، وتجلجل أصوات المؤذنين... والظمأ هو أول ما يجب إطفأؤه بجرعة من ماء النيل المقدس، وتشعل السجاير، ويعد البلح والفاكهة والمشروبات المرطبة، ثم ينهك الجميع في أطيب الطعام.. وفي رمضان تؤجل الأعمال الشاقة، والمطاعم والمقاهي في ذروة رواجها، وتزدان الشوارع والبيوت والمساجد بالأنوار، وتمضي ثلاثون يومًا، ثم يعلن مدفع القلعة انتهاء الصيام.. وفي صباح اليوم التالي، الموافق أول شهر شوال، يبدأ العيد الصغير) ثلاثة أيام هي موسم للزيارات والمقابلات والاحتفالات، وارتداء الملابس الجديدة، وتقديم الهدايا إلى الأطفال والخدم والفقراء، وتبادل صواني (الكعك بالسكر) كتقليد مصري متوارث!<sup>(٣٦)</sup>

أما العالم والمفكر «محمد أسد» فهو واحد من أهم الرحالة المستشرقين الذين لبوا نداء الإسلام، حيث رأى فيه «نظامًا اجتماعيًا وتصورًا للحياة يختلف اختلافًا جذريًا عن النظام الأوروبي»، وكان شاهداً على حصار الغرب للحياة السياسية والثقافية الإسلامية.. في ربيع سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م.

كانت رحلته الأولى إلى القاهرة، وسجل انطباعاته عن مظاهر شهر رمضان، فكتب: «في اليوم الثالث من وصولي، وعند غروب الشمس، سمعت صوتًا قويًا مدفوع ينطلق من القلعة، وأضاءت حلقات من المصابيح في الشرفات العليا لمئذنتي مسجد القلعة (جامع محمد علي باشا)، سرت حركة غير عادية في شوارع القاهرة القديمة، إيقاع يشي باحتفالية، وصارت الضوضاء في الشوارع أعلى صوتًا، أرى وأسمع وأشعر بإيقاع حماسي مختلف في جميع الأنحاء، كان سبب ذلك ظهور القمر الوليد، أي بداية شهر عربي جديد، هو شهر رمضان الذي يتمتع بقدسية خاصة لدى المسلمين، ففي هذا الشهر يحتفون بذكرى مر عليها ثلاثة عشر قرنًا، عندما نزل أول وحي على محمد

ﷺ بالقرآن الكريم، وفي هذا الشهر يصوم المسلمون صيامًا كليًا عن الطعام والشراب، باستثناء المرضى، من لحظة انبلاج ضوء الفجر حتى غروب الشمس، مدة ثلاثين يومًا تقريبًا، وخلال هذه الأيام يمضي الناس في شوارع القاهرة بوميض خاص في عيونهم كما لو كانوا قد رفعوا إلى مرتبة سامية، في الثلاثين ليلة تسمع صوت المدافع التي تعلن عن موعد تناول الإفطار أو الإمساك عن الأكل عند الفجر، وتسمع الإنشاد وحلقات الذكر، بينما تتألق المساجد بالأضواء حتى الصباح»<sup>(٣٧)</sup>.



## القوما

يُعد «القوما» واحداً من الفنون الشعرية المعروفة عند أهل العراق. نشأ في دولة الخلفاء من بنى العباس، برسم السحور في شهر رمضان المعظم.

يشير ابن الأثير الكاتب (٥٥٨-٦٣٨هـ / ١١٦٣-١٢٤م) في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» إلى أن قوماً ببغداد من رعا ع العامة كانوا يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات، وينادون بالسحور، ويخرجون ذلك في كلام موزون على هيئة الشعر وإن لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب، وسمع شيئاً منه فوجد فيه معانٍ حسنة مليحة ومعانٍ غريبة، وإن لم تكن الألفاظ التي صيغت بها فصيحة<sup>(٣٨)</sup>. ولعله يقصد بذلك النوع من الشعر «فن القوما».

واشتقاق الاسم جاء من قول المغنين للتسحير في آخر كل بيت منه، بعد غناء الرمل أو الزجل: (قوما للسحور) يبهون به رب المنزل ويذكرون فيه مدحه والدعاء له وتقاضيه بالإنعام، فانطلق عليه هذا الاسم وصار علماً له. ثم لما شاع وكثر فيه التصنيف نظموا فيه الغزل والزهرى والعتاب وسائر الأنواع كما قبله من الفنون الأخرى.

وقيل: إن أول من اخترع فن القوما هو الشاعر «ابن نقطة» برسم الخليفة المملوكي الناصر محمد، والصحيح أنه مخترع من قبله، وكان الناصر يطرب له، وجعل لابن نقطة عليه في كل سنة ما يفضل عنه من الإنعام، فلما توفي ابن نقطة، وكان له ولد صغير ماهر في نظم القوما والغناء به، وأراد الابن أن يعلم الخليفة بموت والده ليجربه على مفروضه، فتعذر ذلك عليه، فصر إلى دخول شهر رمضان، ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف في أول ليلة من الشهر تحت الطيارة<sup>(٣٩)</sup> وغني النوبة بصوت رقيق فأصغى الخليفة إليه وطرب له، فلما وصل إلى القوما، كان أول ما قاله:

ياسيد السادات لك بالكرم عادات

أنا بنى ابن نقطة تعيش أبى قد مات

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار، واستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لأبيه. (انظر: المسحراتي)

ولا ينبغي أن تنظم القوما إلا بلفظ عامي رقيق، وله وزن: الأول منها بيته مركب من أربعة أفعال، منها ثلاثة متساوية في الوزن والقافية، والآخر - وهو الثالث - أطول منها، وهو مهمل بغير قافية.

والوزن الثاني منها بيته مركب من ثلاثة أفعال مختلفة الوزن متفقة القافية، يكون القفل الأول منه أقصر من الثاني، والثاني أقصر من الثالث.

والبيت الوارد أعلاه من الوزن الأول الذي بيته بأربعة أفعال وثلاث قوافٍ<sup>(١)</sup>.

## المسحراتي

على مدار التاريخ الإسلامي؛ تعددت طرق وأساليب إيقاظ النائمين لتناول وجبة السحور، ففي عهد الرسول ﷺ؛ كان الناس يعرفون وقت السحور بأذان بلال، ويعرفون المنع (الإمساك) بأذان ابن أم مكتوم، فقد قال الرسول ﷺ: «إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم».

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية بدأ المسلمون يفتنون في أساليب التسحير، وظهرت وظيفة المسحراتي في الدولة الإسلامية. فقد أشار الرحالة العربي ابن جبير في معرض حديثه عن زيارته لمكة المكرمة في شهر رمضان للعام ٥٧٨ هجرية، - أشار أن التسحير كان يتم من خلال المثذنة التي في الركن الشرقي للمسجد الحرام وذلك بسبب قربها من دار شريف مكة، فيقوم المؤذن الزمزمي بأعلاها وقت السحور داعياً ومذكراً على السحور ومعه أخوان صغيران يجاوبانه».

فكان الزمزمي يقول:

نياما قوما

قوما للسحور

فيردد الطفلان ما قاله الزمزمي، ثم ينشد قائلاً:

أيها النوام قوموا للفلاح.

ويضيف ابن جبير قائلاً: نظرا الترامسي الدور بعيداً عن الحرم المكي حيث يصعب وصول صوت المؤذن كانت تنصب في أعلى المثذنة خشبة طويلة في رأسها عمود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان يوقدان

مدة التسخير، فإذا قرب تبين خطأ الفجر ووقع الإيذان بالقطع مرة بعد مرة، حط المؤذن المذكور القنديلين من أعلى الخشبة وبدأ بالأذان وثوب المؤذنون من كل ناحية بالأذان، وعندما يرى أهل مكة من سطوح ديارهم المرتفعة أنّ القنديلين قد أُطْفِئَا علموا أنّ الوقت قد انقطع»<sup>(٤١)</sup>.

أما أول من صاح بالتسخير في مصر فيقال إنه الوالي (عنبسة بن إسحاق) وكان ذلك في سنة (٢٣ هجرية/ ٨٥٢ ميلادية)، فقد لاحظ أن الناس لا ينتبهون إلى وقت السحور ولا يوجد من يقوم بهذه المهمة آنذاك، فتطوع هو بنفسه لهذه المهمة، فكان يطوف شوارع القاهرة ليلاً لإيقاظ أهلها وقت السحر، ويؤثر عنه أنه كان يذهب على قدميه من مدينة العسكر في الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص، وكان ينادي بنفسه على الناس بالسحور، قائلاً: «عباد الله تسحروا فإن في السحور بركة».

وفي العصر الفاطمي أمر الخليفة الحاكم بأمر الله الناس أن يناموا مبكرين بعد صلاة التراويح، وكان الجنود يمرّون على المنازل ويدقون أبوابها ليوقظوا الشعب للسحور، وبعد ذلك عين أولو الأمر رجلاً مخصوصاً للقيام بمهمة المسحراتي، كانت مهمته المناداة: «يا أهل الله قوموا تسحروا»، وكان يدق أبواب المنازل بعضاً يحملها، تحولت مع مرور الأيام لطبلة يدق عليها دقات منتظمة بدلاً من استخدام العصا، هذه الطبلة كانت تسمى «بازة» وهي صغيرة الحجم، يدق عليها المسحراتي دقات منتظمة، ثم تطورت مظاهر المهنة فاستعان المسحراتي بالطبلة الكبيرة التي يدق عليها أثناء تجوله بالأحياء وهو يشدو بأشعار شعبية وزجل خاص بهذه المناسبة.

وفي العصر المملوكي ابتدع الناس بدعة جديدة يعلنون بها عن بدء مواعدي الإفطار والإمساك، حيث كانوا يضيئون الفوانيس عند بدء الإفطار ويتركونها مضاءة وعندما يحين الإمساك يطفئونها، وقد اعترض البعض على هذا خوفاً من النسيان - نسيان الإضاءة أو الإطفاء، مع ذلك استمر استخدام الفوانيس بالإضافة إلى الأذان طبعاً<sup>(٤٢)</sup>.

ومما يجدر ذكره أن مهنة المسحراتي كادت أن تختفي في العصر المملوكي، تمامًا لولا أن الظاهر بيبرس أعادها وعين أناساً مخصوصين من العامة وصغار علماء الدين للقيام



بها، ليتحول عمل المسحراتي إلى موكب محجب، خاصة للأطفال الذين تجذبهم أغاني المسحراتي ويسعدون بصوته وطريقة أدائه على الطبل، وغالبًا ما كان هؤلاء الأطفال يحملون الهبات والعطايا التي كان يرسلها الأهل إلى من يقوم بعملية التسخير<sup>(٤٣)</sup>.

وكان المسحراتي في ذلك العهد يصحب معه زامرًا أو طبالا ويقتصر دوره فقط على الغناء والنداء بالسحور، وقليلًا منهم من كان يقوم بالعزف والغناء معًا، وكان لكل منطقة سكنية المسحراتي الخاص بها كما هو الحال الآن<sup>(٤٤)</sup>.

وقد لفتت شخصية المسحراتي أنظار بعض الرحالة والمستشرقين الذين زاروا مصر على مر العصور، فالرحالة المغربي «ابن الحاج» الذي جاء إلى مصر في العصر المملوكي في عهد الناصر محمد بن قلاوون، قال عن المسحراتي مبدئًا دهشته واستغرابه مما شاهد: إنه تقليد خارج عن الشرع لم يعرفه في بلاده. وذكر أن المسحراتي ينادي ويغني في شوارع القاهرة، أما في الإسكندرية فيطوف ويدق على البيوت بعصاه دقات منظمة وهو يردد الأدعية أو التغني بمعجزات الرسول ﷺ وغزواته.

ويصف المستشرق الإنجليزي «إدوار لين» المسحراتي في العصر العثماني بقوله: في كل ليلة من ليالي رمضان يجول المسحرون ليقولوا أو لا كلمة ثناء أمام كل منزل يستطيع صاحبه أن يكافئهم. وفي ساعة متأخرة يجولون ليعلنوا وقت السحور. ولكل «خط» أو قسم صغير في القاهرة مسحر. ويبدأ المسحر جولاته بعد الغروب بساعتين تقريبًا أي بعد صلاة العشاء ممسكًا بشاله طبلا صغيرا يسمى بازا أو طبله المسحر وييمينه عصا ويقف أمام منزل كل مسلم غير فقير. وفي كل مرة يضرب طبلته ثلاث مرات، ثم ينشد قائلا «محمد الهادي رسول الله»، ثم يعود إلى ضرب طبلته ويواصل كلامه: ب «أسعد الله ليالك يافلان (مسميا صاحب المنزل) ثم الأولاد دون البنات ويضرب طبله بعد كل تحية وهو ينشد أمام منازل العظماء وغيرهم بعد أن يقول: «عز من يقول لا إله إلا الله محمد الهادي رسول الله» ثم ينشد أغنية طويلة بسجع غير موزون، يبدأ فيها باستغفار الله ويصلي على الرسول ثم يأخذ في رواية قصة المعراج وغيرها من قصص المعجزات. وفي بعض الليالي كان الأهالي يطلبون منه قصصا قصيرة فيروي لهن قصة قصيرة في سجع غير موزون مثل قصة «الضرتين» وهي قصة مشاجرة تصور الصراع بين امرأتين متزوجتين من رجل واحد.

ويضيف «لين» قائلا: إن المسحراتي غالبًا ما كان يعرف أسماء جميع الموجودين في المنزل من الرجال ويردد الدعاء لهم واحدا واحدا ولم يكن يذكر اسم النساء إلا إذا كان بالمنزل فتاة صغيرة لم تتزوج، فيقول: أسعد الله لياليك يا ست العرايس. وكان من عادة النسوة في ذلك الوقت أن يضعن قطعة معدنية من النقود ملفوفة داخل ورقة ثم يشعلن أحد أطرافها ويلقن بها إلى المسحراتي الذي يستدل على مكان وجودها ثم يرتفع صوته بالدعاء لأهل المنزل جميعًا ثم يقرأ الفاتحة. وكان المسحراتي يلزم الصمت عندما يمر ببيت في حالة حزن لوفاة عزيز<sup>(٤٥)</sup>.

كما يشير «لين» أنه كان يقام في هذه الشهر أذانان قبيل الفجر يلقي أولهما ويسمي «الأبرار» قبل منتصف الليل ويتكون من الآيات الكريمة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عِنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِينَتِنَا وَيَسَاءُ أَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (سورة الإنسان، الآية ٥: ٩)، ويسمي الأذان الثاني «السلام» وهو مجموعة من الصلوات على الرسول ﷺ تشبه تلك التي تؤدي قبل صلاة الجمعة، ويلقي على العموم بعد منتصف الليل بنصف ساعة ويلقي أذان الصباح أكثر تكبيرًا من المعتاد لتنبية المسلمين إلى تناول السحور. ويتجول المسحر قبل الإمساك بساعة ونصف ليوقط من الناس من أمره بالمناداة عليهم فيقرع الباب وينادي إلى أن يجاب ويفعل مثله بواب الحارة، وكان المسحر في نهاية رمضان يتناول من منزل المتوسطي الطبقة حوالى قرشين أو ثلاثة قروش أو أربعة في العيد الصغير (مع الهدايا من الكعك).

وقد شهد فن التسخير قيام بعض النساء بالتسخير، ففي العصر الطولوني كان هناك بعض النساء يقمن بإنشاد أناشيد التسخير من وراء النافذة، شريطة أن تكون المنشدة من صاحبات الصوت الجميل وتكون معروفة لدى جميع سكان الحي الذي تقطن فيه، كما أن كل امرأة مستيقظة كانت تنادي على جاراتها<sup>(٤٦)</sup>. ومن المفارقات اللطيفة أنه كانت توجد مسخرة حسناء غازها الشيخ «زين الدين الوردى»، بقوله:

عجبت في رمضان من مسخرة      بدعيّة الحسن إلا أنها ابتدعت  
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها      كيف السحور وتلك الشمس قد طلعت؟



أما الشخص الذي كان يتولى التسخير في الريف المصرى فهو «عمدة القرية» الذي كان يقوم بنفسه بإيقاظ أهل قريته للسحور، أو يتولى تقسيم شوارع القرية على عدد من المسحراتية ويبدأ كل منهم العمل ابتداء من ليلة رؤية هلال رمضان وحتى ليلة عيد الفطر وهي الليلة التي يبدأ فيها المسحراتي التردد على جميع المنازل ليس بهدف التسخير ولكن للحصول على أجره الذي غالبا ما يكون بعض المال أو كعك ولحوم العيد<sup>(٤٧)</sup>، إذ إنه ليس للمسحراتي أجر معلوم أو ثابت، غير أنه يأخذ ما يجود به الناس في صباح يوم العيد، وعادة ما كان الأجر يؤخذ بالحبوب، فيأخذ قدحا أو نصف كيلة من الحبوب سواء ذرة أو قمح، ولم يكن أجرا بالمعنى المفهوم، ولكنه هبة، كل يجود بها حسب قدرته<sup>(٤٨)</sup>.

وقد أغرى الانتشار الواسع لما ينشده المسحرون بعض الشعراء والزجالين بالكتابة لأولئك المسحرين، فقد كتب الشيخ محمد النجار شيخ الزجالين في أواخر القرن الماضي عدة أدوار للمسحراتي لا تخلو من الفكاهة، منها قوله:

يا غفـلان وحدريك	وبالتقى عمر قلبك
ما يوم تقلق على رزقك	دا ربنا عالم بالحال
يا رب قدرنا على الصوم	واحفظ إيماننا بين القوم
وارزقنا يا رب باللحم المفروم	أحسن يا رب ما ليش أسنان

وقوله:

أنا المسحرجيت أطبل لكم	حافظ أساميكم صغير مع كبير
وفي كل ليلة لي على كل بيت	اللي من الذمة خرج للفقير
ولي عدية عندكم كل عيد	الكعك وكفوف الشريك والفتير
أجي أصحيكم وأنتم نيام	وقت السحر عن كل خير غافلين

أحياكم المولى

وفي موضع آخر يقول:

أنا المسحر جيت معي طبلتي  
أحكي حكاية الفار وأقول ما جرى  
الفار جعل بيت الفقير مسكنه  
وحرمه رغيف يجزه ابن الحرام  
ويظل يقص حكاية القط مع الفأر إلى أن يقع الفأر بين مخالب القط، ثم يختم بقوله:  
آدي جزاء من غرته شهوته  
وادي جزاء من راح بنفسه إلى  
وادي جزاء من كان يصدق جميع  
واختم حكايتي بالصلاة والسلام  
وقوله:

ثبت هلال رمضان وقالوا صيام  
أحياكم المولى إلى كل عام  
لرؤيته والشك زال باليقين  
وكل عام وأنتم بخير طيبين<sup>(٩)</sup>.

\*\*\*

وفي العصر الحالي، ورغم انتشار آلات التنبيه وتعود الناس على السهر حتى وقت السحور فإنه مهنة المسحراتي مازالت موجودة في البلدان المصرية، وإن كان وجودها بدافع إحياء التراث والحفاظ على التقاليد المصرية في الغالب من البلدان إلا أنه هناك أماكن ما زالت تعتمد كلية على المسحراتي لإيقاظ أهلها لتناول طعام السحور حتى الآن، على نحو ما نجد في واحة سيوة بمحافظة مطروح، وفي واحة باريس بالوادي الجديد، حيث يدور المسحر على بيوت البلدة ومن ورائه الأطفال مهللين، بينما يدق بعصاته على الطبل، وهو يردد:

يا نايم قوم وَّحدِ الدائم

يا نايم قوم وحد الله

أنا بما مدح الى خطاع الرمل لم علم

بالهداية النبي لم له خطيب علم

واجب على امدحه من قبل ما اتكلم

كلام أقول لكم عليه

رب العبادع المصطفى صلى نقول

لا إله إلا هو يا نايم قوم وحد الدائم

وأثناء أدائه لهذا الغناء ينادى المسحر على الناس بأسمائهم داعيًا إياهم للاستيقاظ ويستمر في جولته هذه إلى أن يلف القرية بيتًا بيتًا<sup>(٥٠)</sup>.

وإذا كان هذا هو الحال في واحة باريس فيان واحة القصر بنفس المحافظة؛ لم تعرف المسحر إلا مؤخرًا، فقد كانت عملية التسحير تتم بأن يصعد أحد المشايخ على مثذنة الجامع وينشد أناشيد معينة فيعرف الناس أن هذا هو موعد الإمساك، وكان الشيخ يحدد موعد السحور بالنظر إلى النجوم، والآن يتم التسحير بالضرب على طبلة، حيث يلف المسحر القرية داعيًا الناس إلى السحور ويتجمع الأطفال حول المسحراتي، ثم سينصرفون ويأتي غيرهم وينصرفون أيضًا وهكذا<sup>(٥١)</sup>. (انظر: السحور)

وقد أغرت شخصية المسحراتي وخلفيته الاجتماعية العديد من الساردين فصوروها في أعمالهم واستجلوا جوانبها، ففي قصة «الأعمى» من مجموعة «رجل» لمحمود البدوي؛ نجد أرملة في الخمسين من عمرها، ضعيفة الجسم، تقيم بيتها معظم العام حتى إذا أهل رمضان تخرج في الهزيع الأول من كل ليلة حاملة على ذراعها صفيحة قديمة تطوف بها على منازل القرويين مرددة أغنية قديمة قل من يعرفها من أهالي القرية، لتنبههم إلى وقت السحور، وما إن يسمع سكان القرية صوتها حتى يهبون من نومهم ويسطون موائد السحور، حتى وإن كان الليل لم ينتصف بعد.

وفي رواية «شباب امرأة» يحدثنا الروائي «أمين يوسف غراب» عن الشيخ نوفل الضريبر، مسحر القرية، الذي كان يصحب معه صبيا يحمل فانوسًا، ويعلق الطبل على صدره، ويمسك عصاه بيمينه التي يقرع بها الطبل، ويضع مخلاة على كتفه يضع فيها الصدقات، وكان هذا الشيخ يقف عند كل باب ويثنى على صاحبه من أجل العطاء، وكان كل من القرية عند عم نوفل أصيل الجدود، وكانت لعم نوفل قدرة عجيبة في معرفة البيوت وأسماء سكانها، وهو يدق الطبل فتنتفتح الأبواب، وتمتد الأيدي إلى الجوال بكل هذه الخيرات، ثم إن عم نوفل كان يتصدق على القراء بما جلبه من أهالي القرية<sup>(٥٢)</sup>.

## وحوي يا وحوي

من الأغاني الشعبية الشهيرة التي يرددها الأطفال وهم يدورون بفوانيسهم في الشوارع والطرقات خلال ليالي شهر رمضان، أغنية «وحوي يا وحوي»، ولهذه الأغنية العديد من الصياغات، وفقاً لمفردات كل منطقة جغرافية وسياقها الاجتماعي.

وبينما يرد بعض المؤرخين نشأة هذه الأغنية إلى عهد الفاطميين، يرجعها الآخرون إلى عهد قدماء المصريين، فقد لفتت كلمتا «وحوي» و«إياحا» انتباه الكثير من الدارسين فراحوا يستجلون معناها، من هؤلاء الأديب «محمد فهمي عبد اللطيف» الذي قام بتحقيق أصل الأغنية، وتوصل إلى أن كلمة (وحوي) أقدم تاريخياً من شهر رمضان وعاداته، وأنها من الأغاني التي كان يرددتها قدماء المصريين على ضفاف النيل منذ آلاف السنين، فهي تحمل معنى من تاريخنا ودلالة من دلالة أساطيرنا. وأوضح أن (أيوچه) مأخوذة من (أيوچ) اسم القمر في الفرعونية، وكان (الساميون) يسمون الشمس (أيوچ). كما كانوا يسمون القمر (أجمع) ولكن المصريين نقلوا عنهم اسم القمر للشمس واسم الشمس للقمر، فكانوا يغنون هذه الأغنية تحية للقمر إذا أهل في مطلع كل شهر<sup>(٥٣)</sup>.

وترجع مصادر أخرى أصل الكلمة إلى السيدة «إياح حتب» والدة البطل «أحمس» التي كان لها دور كبير في شحذ همة ابنها لمحاربة الهكسوس ومطاردتهم، وبعد أن نجحت مهمة ابنها وعادا منتصرين، قدر الشعب دورها البطولي وخرج الناس لاستقبالها مرددين: واح واح إياح، أي: تعيش تعيش يا قمر<sup>(٥٤)</sup>، وقد صارت الجملة تشير فيما بعد إلى تحية الهلال عند ظهوره، الذي صار مرتبطاً بشهر رمضان بشكل خاص.

ومما يجدر ذكره أن هناك أحد ملوك الأسرة ٢٦، يدعى (واح إيب رع) ومعنى الاسم (عاش قلب رع)<sup>(٥٥)</sup>.

ومن ثم قد نخلص إلى أن جملة وحوى يا وحوى.. إياها) وفق هذه المقدمات تعنى:  
تعيش.. تعيش يا قمر.

وهناك من يرد كلمة وحوى إلى جذرها في اللغة العربية وهو (أحوى) بمعنى (امتلك) ليصبح المعنى المقصود من الأغنية هو الرغبة في امتلاك بنت السلطان الجميلة بالزواج بها، ففي الحكايات الشعبية المصرية يكافأ الأولد المطيعون بالزواج ببنت السلطان، وهي إحدى التيمات المتكررة في الحكايات الشعبية المصرية.



## الهوامش

- (١) البازة: هي الطيلة التي يستخدمها المسحر، وهي مصنوعة من النحاس، أما الجلد المشدود عليها فهو من جلد الحيوان.
- (٢) هذه الأغنية تقال في واحة باريس بالوادي الجديد، إذ يدور الناس في الشوارع مطبلين وبرفقتهم الأولاد وهم يرددونها. (انظر «شوقي عبد القوي حبيب: الاحتفالات الدينية في الواحات).
- (٣) تؤدي هذه الأغنيات عادة بمصاحبة الفوانيس.
- (٤) الموسوعة المصرية لأغنيات الأطفال، (١) الشعر الشعبي، إعداد وتصنيف: مسعود شومان، المركز القومي لثقافة الطفل ٢٠٠٨ م.
- (٥) المرجع السابق.
- (٦) نفسه.
- (٧) إبراهيم عبد الحافظ: الأمثال الشعبية المرتبطة ببعض الحرف التقليدية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ١٨، الإمارات.

وهناك أغنية قدمها إسماعيل ياسين وشادية في فيلم قليل البخت، من إنتاج ١٩٥٢، تأليف: إبراهيم رجب، وألحان: عزت الجاهلي، استلهم نصها هذا المعنى، تقول كلماتها:

ليه يا بختي أليك قوام لبخت خلتني يا بختي قليل البخت

قليل البخت .. قليل البخت

كنت باغنى ولسه حا	أغني ف أول ليله لفرح العيله
قامت عركه وحذفوا الدكه	وجت في نافوخي أنا بالذات
رحت يا عيني ف قصر العيني	ف أوده عشان العمليات
لخبطوا بقى يا داهية دقي	وصوقى صبح في المغنى صوات

قلت أنحين وابقى مزين هادي      يا هادي يا صباح نادي  
لسه أنا بافتح لاجل استفتح      جاني زبون أقرع غلبان  
قلت اشطر وابقى مسحر      قالوا خلاص ما هو فات رمضان  
جيت أتعشى وجبت الكرشه      لقيت فيها عضم أشكال وألوان

يا قلة بختي يا ناس أنا دخت

خليني يا بختي قليل البخت

قليل البخت .. قليل البخت

(٨) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤.

(٩) انظر: مصطفى عبد الرحمن، رمضانيات، مرجع سابق.

(١٠) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، مرجع سابق. و: شوقي عبد القوي حبيب: الاحتفالات الدينية في الواحات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠، ص ٨٢.

(١١) أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مجلة العربي، العدد ٥٤٠ - ١١/٢٠٠٣، الكويت.

(١٢) فاروق شوشة: ترنيمة رمضان.. ناسك الزمن للشاعر محمود حسن إسماعيل، مجلة العربي، العدد ٥٥١ - ١٠/٢٠٠٤، الكويت.

(١٣) السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية.

(١٤) عاش في الحقبة الأخيرة من دولة الموحدين في المغرب، على زمن الخليفة المرتضى (١٢٤٨ - ١٢٦٦ هـ)

(١٥) أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مرجع سابق.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) السامرائي: رمضان في الحضارة.

(١٨) هو الشاعر أبو الحسن علي بن عباس بن جريح، الشهير ببابن الرومي. كان حاد المزاج متطيراً نظراً لما عاناه في حياته من كثرة الألام والكوارث التي تعرض لها بفقدان أولاده وزوجه، وكان واسع الثقافة وأشعر أهل زمانه بعد البحري.

(١٩) السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية.

- (٢٠) المرجع السابق.
- (٢١) أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مرجع سابق.
- (٢٢) راجع: أنا نجيب محفوظ، «سيرة ذاتية»، تقديم: إبراهيم عبد العزيز، المجلس القومي للشباب، يناير ٢٠٠٦ م.
- (٢٣) محمد رجب البيومي، شاعر الربابة في رمضان، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٢ م.
- (٢٤) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، مرجع سابق.
- (٢٥) د. محمد خير البقاعي: رمضان في كتب الرحالين الأجانب، المجلة العربية - العدد ٤١٦
- (٢٦) المرجع السابق.
- (٢٧) نفسه.
- (٢٨) ولد سنة ١٦١١م، وزار مصر سنة ١٦٧٠م قضى فيها ثماني سنوات ويعتبر هذا الكتاب رؤية متفردة لما كانت عليه مصر في ذلك العصر.
- (٢٩) د. محمد خير البقاعي: رمضان في كتب الرحالين الأجانب، مرجع سابق.
- (٣٠) رمضان... في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن - الكويت، ملف الأسبوع ١٧-٧-٢٠١٢
- (٣١) د. محمد خير البقاعي: المرجع السابق.
- (٣٢) د. محمد خير البقاعي: رمضان في كتب الرحالين الأجانب، المجلة العربية - العدد ٤١٦
- (٣٣) رمضان... في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن - مرجع سابق.
- (٣٤) المرجع السابق.
- (٣٥) انظر: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج ١، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، سلسلة الألف كتاب الثاني، ع ١٦١، هيئة الكتاب، مصر.
- (٣٦) رمضان... في كتابات الرحالة الأجانب، مرجع سابق.
- (٣٧) عرفه عبده علي: رمضان في دفتر الذكريات الأوروبية.. صور ومعانٍ باهرة ومؤثرة، مجلة الرافد.
- (٣٨) شوقي عبد القوي حبيب: مرجع سابق.
- (٣٩) لعله يريد ما يسمى من الغرف العالية بالعلية، وهي تظل على بستان أو طريق عام ولا تكون في وسط الدار. (د. حسين نصار)

- (٤٠) صفى الدين الحلى، العاقل الحالى والمرخص الغالى، تحقيق: د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.
- (٤١) محمد رجب السامرائى: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوتل للنشر والخدمات الطباعة- دمشق، سورية ٢٠٠٢م. و: حسن عبد الوهاب، رمضان، المكتبة الثقافية، ع ٨٤، دار القلم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، صفحة رقم (١٠).
- (٤٢) جريدة الجزيرة السعودية، ملحق العدد مجلة الجزيرة ع رقم ٥٧ / ٩ رمضان ١٤٢٤ هـ.
- (٤٣) المرجع السابق.
- (٤٤) د. ياسين فراخ: شعبيات الموسيقى الرمضانية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٤٠، سبتمبر ٢٠١٠.
- (٤٥) د. محمد خير البقاعي: رمضان فى كتب الرحالين الأجانب، مرجع سابق.
- (٤٦) جريدة الجزيرة السعودية، ملحق العدد مجلة الجزيرة ع رقم ٥٧ / ٩ رمضان ١٤٢٤ هـ.
- (٤٧) الموقع الإلكتروني لمكتبة الإسكندرية.
- (٤٨) المرجع السابق.
- (٤٩) انظر: حسن عبد الوهاب فى كتابه «رمضان»، ود. نعمات أحمد فؤاد، القاهرة فى حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١٠٣ - ١٠٤، ود. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ١٨ - ١٩.
- (٥٠) شوقي عبد القوى حبيب: الاحتفالات الدينية فى الواحات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠، ص ٨٠.
- (٥١) المرجع السابق، ص ٨٣.
- (٥٢) أحمد حسين الطماوى، صور رمضانية فى القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩. أغسطس ٢٠١٠.
- (٥٣) مصطفى عبد الرحمن: رمضانيات، مرجع سابق.
- (٥٤) الراهب القمص بيجول الأنبا يشوى: كلمات العامية المصرية ذات الأصل القبطى، الناشر: كنيسة مار مرقس بالكويت. طبعة تحضيرية - مايو ٢٠١٠ م.
- (٥٥) انظر: د. عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة.

## عادات ومعتقدات

- عادات البادية المصرية في شهر رمضان
- التقسيم الشعبي لأيام رمضان
- حبس العفاريت



## عادات البادية المصرية في شهر رمضان

رغم التغير الهائل الذي جرى على الحياة المصرية في مختلف ربوعها، واندماج معظم البوادي في المجتمع المصري، سواء بنزوح أبناء الوادي إلى البادية، هربًا من ازدحام المدن، وبحثًا عن حياة أقل نفقة، أو بازدياد ارتباط أبناء البادية بالمدن المصرية الكبرى، مما أدى إلى اختلاط العادات والتقاليد واندماجها ببعضها البعض، إلا أن بعض أبناء البوادي المصرية ما زالوا متمسكين بالعديد من تقاليدهم المتوارثة، التي تميزهم عن غيرهم من سكان البقاع المصرية، خصوصًا كلما ابتعدنا عن العواصم، ويتجلى هذا على نحو خاص في شهر رمضان الكريم.

ففي سيناء يحرص الأهالي بعد صلاة التراويح إقامة السهرات الرمضانية بالدواوين ومجالس العائلات، يتسامرون ويتناولون الشاي والقهوة إلى جانب الحلوى الرمضانية، ويستمر السهر ومناقشة بعض الأمور الحياتية اليومية علاوة على الدينية حتى ساعات متأخرة من الليل، وقبل موعد السحور يتجه كل منهم إلى منزله لإيقاظ أهله وتناول طعام السحور معهم، ثم يخرج إلى المسجد لصلاة الفجر<sup>(١)</sup>.

ويخرج أبناء واحة الفرافرة إلى الصحراء البيضاء وسط الطبيعة الخلابة لقضاء أمسياتهم الرمضانية، ويجتمع عمداء العائلات على الأطعمة الشهية والمشروبات الساخنة التي تعدها النساء لهم، وتستمر السهرات طوال الليل، بينما ينامون معظم فترات النهار لارتفاع درجة الحرارة<sup>(٢)</sup>.

القضاء والمعاملات

لا يعقد بدو سيناء جلسات القضاء العرفي في رمضان احترامًا لهذا الشهر المقدس، ويتم تأجيل أي جلسة للقضاء العرفي إلى ما بعد عيد الفطر المبارك، وإذا ما حدث خلاف

بين قبيلتين أو عائلتين من قبيلة واحدة أو أفراد يتم تحديد هدنة فيما بينهم لحين انتهاء شهر رمضان. كما أن مجالس البشعة (أي لحس النار) تتوقف أيضا في شهر رمضان، ويتوقف عمل المشع طوال الشهر الكريم احترامًا وتقديرًا لهذا الشهر العظيم، كما أن حفلات الزواج تتوقف نهائيًا عند البدو في شهر رمضان، كما يتم تأجيل الخطوبة أو عقد القران إلى ما بعد انتهاء الأيام الستة البيض من شهر شوال<sup>(٣)</sup>. إضافة إلى أن «البدوة» تتوقف في نهار رمضان ولا تتم إلا ليلا. و(البدوة) هي إحدى وسائل إيقاف النزاع بين المتخاصمين، وأشبه ما تكون بإعلان صحيفة الدعوى في القضاء المدني، حيث يقوم المتضرر (ويسمى البادى أو المطالب) بإرسال عدد لا يقل عن ثلاثة أشخاص ولا يزيد على خمسة، إلى خصمه (ويسمى المطلوب) طالبًا منه التوجه إلى القضاء العرفي. ويتعين أن تكون البدوة في وقت النهار<sup>(٤)</sup>، إلا في شهر رمضان فإنه يقام بها ليلا.

و (البدوة) تضيء على أهل المعتدى عليه صورة إيجابية، إذ تدل على حرصهم على عدم تفاقم القضية، وعلى احترامهم لأهل المعتدى، بإعطائهم الفرصة التذكيرية في معالجة الموقف وفق الأصول. وتسمى المجموعة المكلفة بالبدوة: بدآية، والواحد منهم: بدآي<sup>(٥)</sup>.

والعادة أن تكون البدوة بين أبناء القبيلة الواحدة أو بين القبائل المتحالفة (في منطقة شمال سيناء)<sup>(٦)</sup>.



## التقسيم الشعبي لأيام رمضان

في الجيل السالف، كانت كبيرات البيوت ترددن عن أيام رمضان: أنها عشرات: عشرة مرق وعشرة حلق وعشرة خلق!.. يعنين بذلك أن الأيام العشرة الأولى من رمضان ينصب فيها الاهتمام على ما يتصل بالطهي وإعداد الطعام، والأيام العشرة الثانية ينتقل الاهتمام إلى اللقاءات والتجمع في شكل حلقات، أما العشرة الأخيرة فيقع فيها التركيز على تجهيز ملابس جديدة للعيد. وواضح أن قولهن المتواتر هذا إن هو إلا صدي لخبرات مشاغلهن النسوية أكثر مما يعكس الخبرات العامة لأبناء المجتمعات الشعبية<sup>(٧)</sup>.



## حبس العفاريت

يترسب في يقين الجماعة الشعبية أنه إذا حل رمضان قيد العفاريت والجن في قماقم من النحاس، فلا يظهر الجن طوال هذا الشهر، ويستطيع الناس أن يعيشوا في سلام وطمأنينة بل يستطيعون أن يرتادوا مسارح الجن في الأماكن المهجورة دون خوف، أو وجل لأن الجن سجنها رمضان. ومن هنا يأخذ القرويون في السهر خارج بيوتهم، وربما يقومون بزيارات للقرى المجاورة ليلاً، في الظلام الدامس في شهر رمضان، دون غيره من شهور السنة، والأطفال في القرى يرددون هذا الرأي في أناشيد جماعية، وهم يلهون فرحين بشهر رمضان فيقولون:

يا رمضان يا عود كبريت      يا مقيد العفاريت

حتى إذا جاء آخر يوم في رمضان أخذ المصريون عدتهم لاستقبال عيد الفطر المبارك، ولكنهم في الوقت نفسه يعملون ألف حساب لما توارثوه من الرأي القائل، بالإفراج عن العفاريت عقب صلاة المغرب مباشرة، حتى تبلغ السذاجة ببعض أفراد الشعب إلى الخوف من أن عفريتاً من العفاريت التي تخرج منطلقاً من القماقم النحاسية قد تضل الطريق فتدخل الدور والمنازل وتستقر فيها، فكان لا بد أن يقوم الشعب بعمل ما لدرء خطر اقتحام الجن والعفاريت منازلهم، لذلك يرشون الملح في كل ركن من المنزل وخاصة في أركان الحجرات ويضربون أنية نحاسية بها قليل من الملح حتى إذا اقترب العفريت من المنزل، وسمع هذه الأصوات النحاسية توهم أنها القماقم التي سجن فيها فيهرب عن هذا المنزل خوفاً من أن يسجن مرة أخرى.

ويغني الأطلاق في ذلك الوقت:

يا رمضان يا صحن نحاس

يا دابر في بلاد الناس  
سقت عليك أبو العباس  
تبات عندنا الليلة

والمقصود هنا هو الخليفة العباسي وهو أثر من آثار تفضيل العباسيين على الفاطميين في العصر الأيوبي. وربما كان المقصود أيضاً هو ولي الله المرسي أبو العباس بالإسكندرية. ويغنون أيضاً:

يا بركة رمضان حطي في كل مكان<sup>(٨)</sup>.

وما زال هذا الاعتقاد سارياً في العديد من القرى المصرية، حيث يقوم البعض بطقوس من شأنها استبقاء تلك الكائنات الشريرة مصفدة: فمثلاً في محافظة كفر الشيخ «بيلا» تعد السيدات كريات من العجين وتحففها في الشمس قليلاً، ثم يوزعها بأرجاء المنزل، وتُبقي حجرات المنزل مضاءة طول الليلة الأخيرة من ليالي شهر رمضان<sup>(٩)</sup>.

ومن المعتقدات المرتبطة - كذلك - برحيل شهر رمضان ما يقوم به الأطفال في قرية (بهييت الحجارة) بمحافظة الغربية؛ حيث يقوم أطفال كل أسرة برّص قوالب من الطوب على أسطح منازلهم، ويحمل كل قالب اسم واحد من أفراد الأسرة، ويراقبون ما فعلوه في اليوم الأول من أيام عيد الفطر، فإذا ما سقط أحد القوالب يكون معناه لديهم أن صاحب القالب سيتوفاه الله خلال هذا العام ويتحسبون لذلك<sup>(١٠)</sup>!

## الهوامش

- (١) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصري اليوم، ٢٠٠٨/٩/١.
- (٢) المرجع السابق.
- (٣) أحمد سليم: عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائي، بتصرف يسير.
- (٤) موسوعة التراث العربي الفلكلوري، المجلد الثاني، ص ٨٢.
- (٥) انظر: حمد أحمد سلامة أبو كلوب سليمان، موقع العدالة الراديكالية، مرجع إلكتروني.
- (٦) موسوعة التراث العربي الفلكلوري، المجلد الثاني، ص ٨٢.
- (٧) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤.
- (٨) د. فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية من خلال دراسة الفلكلور المصري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٤، ص ١١٦-١١٧. و: محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفلكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢، ص ٩٦-٩٧.
- (٩) دعاء صالح، رمضان وآب اللهاب، مرجع سابق.
- (١٠) المرجع السابق.



## أطعمة وأشربة: ”ترتيب المواد أبجديًا“

- الأرز باللبن
- البلح والتمر
- التمر هندي
- الخشاف
- الزلاية
- الطرشي
- العرقسوس
- الفول المدمس
- القطنف
- الكنافة
- النقل
- اليايش
- أم علي
- قمر الدين





## الأرز باللبن

نوع من الحلوى، ويسمى في بعض البلاد العربية «بحته» أو «الرز بحليب»، ويصنع الأرز باللبن من الأرز المنقوع في الماء، ثم يضاف إليه الحليب المجلى بالسكر والنشا. ويتشتر إعداداه بالمجتمع المصري، ريفه وحضره، ويرتبط الأرز باللبن بأطعمة المناسبات الدينية والاجتماعية، كما يعد رمزا للخير والتفاؤل والنقاء، لذلك يعد ويوزع ويؤكل عند الاحتفال برأس السنة الهجرية، والاحتفال بسبوع المولود، وغيرهما من المناسبات السعيدة، وتعد طريقة إعداد الأرز واحدة، وإن كان الاختلاف في طريقة تناوله ومناسبات إعداده. ففي بعض قرى محافظة الجيزة يفضلون تناوله ساخنا ويؤكل بالخبز، ومن عادات إعداده في الأسرة الممتدة أن تتولى كبرى النساء سنن إعداده حتى تحمل البركة على أفراد الأسرة. وعن كمية اللبن أو الأرز التي يتم طهوها فإنها تختلف من طبقة إلى أخرى، حيث تزداد كمية اللبن في الطبقتين العليا والوسطى، وتقل بالتالى كمية الأرز، كما تزيد كمية الأرز وتقل كمية اللبن في بعض شرائح الطبقة الدنيا، وذلك انطلاقاً من فلسفة ضغط التكاليف بتقليل كمية اللبن والحرص على إطعام عدد أكبر من الأشخاص.

أما في الحضر فيفضلون تناوله بارداً، وهنا إما أن يعد منزلياً، أو يشتري جاهزاً للأكل من محلات بيع منتجات الألبان، أو محلات بيع الحلوى. ومن التجديدات التي طرأت على الأرز باللبن إضافة بعض أنواع من المكسرات على وجه الطبقة أو إضافة «الآيس كريم»، والفاكهة، والقشدة. وكلها إضافات مستحدثة. ومنها أيضاً تقديمه في بعض الفنادق والمطاعم وإدراجه ضمن قائمة الحلوى التي تقدمها<sup>(١)</sup>.

ومما يجدر ذكره أن بعض المجتمعات الريفية تستبدل السكر بالملح في طهي الأرز باللبن، وتتناوله مع الخبز. كما أن الأرز باللبن واحد من أشهر أطعمة النذور التي يكثر تقديمها في موالد الأولياء.

## البلح والتمر

ذكر الله تعالى النخلة في كتابه الكريم في أكثر من موضع. يقول المولي ﷺ مخاطبًا السيدة مريم حين فاجأها آلام الوضع: «وَهُزِّي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا» (مريم: ٢٥).

وفي عظم قدر هذه الشجرة وكبير نفعها؛ ذهب أهل التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن الشجرة الطيبة التي شبهت بكلمة التوحيد في قوله تعالى «الْمَنْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (إبراهيم: ٢٤-٢٥) بأنها النخلة<sup>(٢)</sup>.

كما ذكرت النخلة في أكثر من موضع من القرآن الكريم بصفة من صفاتها، كالنقير واللينه والفتيل والقطمير.

قيل: إن قيصر كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، يقول: إن رسلي أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم، تفلق عن مثل آذان الحمر، ثم يصير مثل اللؤلؤ، ثم يعود كالزمرد الأخضر، ثم يصير كالباقوت الأحمر والأصفر، ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ، ثم يحف فيكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر، فإن كان رسلي صدقوني، فهي الشجرة التي نبتت على «مريم بنت عمران»، فكتب إليه عمر: إن رسلك صدقوك، وهي شجرة مريم فاتق الله، ولا تتخذ عيسي إلهًا من دون الله<sup>(٣)</sup>.

وأكل النخلة من البلح والتمر، من الأطعمة التي حض الرسول صلي الله عليه وسلم، على أن يكون أول فطور الصائم بها. ويخلط كثير من الناس في حديثهم بينهما، لكن هذا غير ذلك، فالبلح يابس وبارد، والتمر رطب وحار.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية، في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد»: يمتاز البلح بالبرودة واليبوسة، وهو ينفع الفم واللثة والمعدة، وهو رديء للصدر والرئة بالخشونة التي فيه، بطيء في المعدة يسير التغذية، وهو للنخلة كالخضرم لشجرة العنب، وهما جميعًا يولدان رياحا، وقراقير، ونفحًا ولا يسما إذا شرب عليهما الماء، ودفع مضرتهما بالتمر، أو

بالعسل والزُّبد. بينما طَبَعُ الرُّطْبِ طَبَعُ المِياهِ حارَ رَطْبٍ، يَقْوِي المَعْدَةَ الباردةَ وَيوافقها، وَيزيدُ في الباءِ، وَيَخِصِبُ البَدْنَ، وَيوافقُ أَصْحابَ الأَمْزِجَةِ الباردةِ، وَيَغْدُو غِذاءً كَثِيراً .

وفي (الصحيحين) عن عبد الله بن جعفر، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب». ويوضح العلماء أن في فطر النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم عليه، أو على الماء، تدبيرٌ لطيفٌ جداً، فإن الصوم يخلي المعدة من الغذاء، فلا تحمُّدُ الكبدُ فيها ما تحمُّدُه وتُرسله إلى القوي والأعضاء، والخلو أسرع شيءٍ وصولاً إلى الكبد، وأحبُّ إليها، ولا سيما إن كان رطباً، فيشتدُّ قبولها له، فتنتفع به هي والقوي، فإن لم يكن، فالتمرُّ لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن، فحسواتُ الماء تطفئ لهيبَ المعدة، وحرارة الصوم، فتتبهُّ بعده للطعام، وتأخذُه بشهوة.

ويطلق على التمر والماء لقب «الأسودان». قالت عائشة رضي الله عنها: «لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الأسودان: التمر والماء». وقال حجازي لرجل استضافه: «ما عندنا إلا الأسودان» فقال له: «خير كثير»، قال: «لعلك تظنهما التمر والماء، والله ما هما إلا الليل والحرّة». وعن ابن الزبير قال: لما نزلت آية: «ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» (سورة التكاثر، آية ٨) قال أبي: يا رسول الله، وأي نعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان التمر والماء. قال النبي ﷺ: «إن ذلك سيكون»<sup>(٤١)</sup>. والمقصود من ابن الزبير هنا أن غذاءه كان عبارة عن تمر وماء.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن التمر يحتوي على نسبة عالية من البوتاسيوم؛ مما يساعد على توازن كمية الماء داخل خلايا الجسم وخارجها، ولعمليات التمثيل الغذائي للعضلات والسخن وتقوية الأعصاب والذهن، على حين تعد الرطب واحدة من المواد المليئة التي تنظف القولون، إلى جانب احتوائها على الجولوكوز مما يساعد في تغذية الكبد وتعمل على رفع كفاءة الجسد وإمداده بالطاقة.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحبُّ فَم المولود بالتمر، ففي «الصحيحين» البخاري في العقيقة، باب تسمية المولود، ومسلم في الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته: «عن أبي موسى الأشعري قال: ولد لي غلام فأتيته به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم وحنكه بتمر. وزاد البخاري «ودعا له بالبركة ودفعه إلي»<sup>(٤٢)</sup>.

## التمر هندي

واحد من المشروبات التي يفضل الصائمون تناولها، تسكيناً للإحساس الشديد بالعطش الذي يعانيه الصائمون، خصوصاً حين يتوافق حلول شهر رمضان مع فترة الصيف.

والتمر هندي نبات يتبع الفصيلة البقولية، وهو عبارة عن لب ثمار قرنية لنبات شجري دائم الخضرة سريع النمو، يصل ارتفاعه إلى قرابة ثلاثة أمتار وأوراقه مركبة الأزهار، عنقودية، صفراء اللون، وحين تجمع الثمار تزال قشورها الصلبة ثم تعجن فتكون كتل سمراء اللون، وقد تخلط بالسكر ليساعد على حفظها وعدم فسادها.

يقال إن موطنه الأصلي إفريقيا الاستوائية، وقيل إن الفراعنة لهم الفضل الأول في إدخال زراعة التمر الهندي خلال العصور الوسطى إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط، وهناك ما يفيد بأن علماء الآثار عثروا على بعض أجزاء من التمر الهندي في مقابر الفراعنة، كما ورد التمر الهندي في وصفة فرعونية في بردية «أبيرز» الطبية ضمن وصفة علاجية لطرد وقتل الديدان في البطن. ووصف أطباء الفرس القدماء منقوع التمر الهندي شراباً لعلاج بعض أمراض المعدة والحميات الناشئة عنها، ويقال إن أوروبا عرفت هذه الفوائد العلاجية عن طريق العرب، الذين حملوا معهم التمر الهندي خلال الفتوحات الإسلامية.

قال أبو بكر الرازي عنه: عصارة التمر الهندي تقطع العطش، لأنها باردة طرية.

وقال ابن سينا: التمر الهندي ينفع مع القيء والعطش في الحميات.

وقال ابن البيطار: التمر الهندي أجوده الطري الذي يذبل وهو يكسر وهيج الدم، مسهل، وينفع مع القيء والعطش ويسيل الصفراء.

وقال داود الأنطاكي عنه: يسكن اللهب والمرارة الصفراوية وهيجان الدم والقيء والغثيان، وليس لنا حامض يسهل غيره وهو عظيم النفع في الأمراض الحارة، وحبه إذا طبخ سكن الأورام طلاء والأوجاع الحارة، وهو يحدث السعال.

وفي الهند يستعمل المواطنون صلصة التمر الهندي ضد الزكام والعلل الأخرى التي تنتج نزله مفرطة، ويعتبر في الطب الصيني عشبة مبردة ملائمة لعلاج حرارة الصيف، ويوصف لفقد الشهية والغثيان والقيء أثناء الحمل والإمساك.

ويحتوي التمر الهندي على العديد من الأحماض والأملاح المعدنية، مثل حمض الليمون وحمض الطرطير وحمض المالك ومواد عفصية قابضة وسترات البوتاسيوم والفوسفور والمغنسيوم والحديد والمنجنيز والكالسيوم والصدوديوم والكلور، كما يحتوي على فيتامين ب ٣ وكذلك زيوت طيارة، كما أثبتت الدراسات الحديثة احتواء التمر الهندي على المضادات الحيوية القادرة على إبادة الكثير من السلالات البكتيرية المختلفة، إلى جانب فوائده كملين ومضاد لحموضة المعدة؛ حيث يستخدم متنوع التمر الهندي لتخليص الدم من حموضته الزائدة وفي طرد ما يحتويه من سموم. كما يعمل على خفض حرارة الجسم، لذلك تضيف بعض شركات الأدوية الخلاصة المائية لثمار التمر الهندي إلى أدوية الأطفال الخافضة للحرارة.

يحضر التمر الهندي بنقعه في الماء البارد لمدة عدة ساعات أو في الماء المغلي لمدة بسيطة مع إضافة بضع من أوراق الكركديه وبذور الشمر ثم تركه حتى يستقر ثم يصفى ويضاف إليه قليل من السكر، كما يضاف إلى المأكولات لإضفاء حموضة طبيعية عليها<sup>(٦)</sup>.

## الخشاف

عبارة عن مجموعة من الفواكه سواء المجففة أو الطازجة، المنقوعة في الماء المحلى بالسكر أو اللبن وقد يضاف إليه قمر الدين، وبعض المكسرات كاللوز وعين الجمل والبندق. ومن أشهر الفواكه المستخدمة في تحضير الخشاف: المشمش والتين والخوخ والزبيب.

## الزلاية

الزلاية واحدة من الحلويات التي يقبل على تناولها الصائمون في شهر رمضان، وإن كانت لا تحظى بنفس القدر من شهرة الكنافة والقطائف. ويختلف لونها بين الأصفر أو الأحمر، وتكون بأحجام مختلفة، ويطلق عليها «شبايك الذهب».

قال الشاعر ابن الرومي واصفاً الطاهي الذي يُقلى الزلاية:

وَمُسْتَقْرٍ عَلَى كُرْسِيِّهِ تَعَبٍ      رُوحِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ مُنْصَبٍ تَعَبٍ  
رَأَيْتُهُ سَحْرًا يُقْلَى زَلَايَةً      فِي رَقَّةِ الْقَشْرِ، وَالتَّجْوِيفِ كَالْقَصَبِ  
يُلْقِي الْعَجِينَ جُنَيْنًا مِنْ أَنَامِلِهِ      فَيَسْتَجِيلُ شَبَائِكًا مِنَ الذَّهَبِ<sup>(٧)</sup>

ويستدل على أصلها العربي بورودها في إحدى الأراجيز الشعرية العربية القديمة. قال عنها ابن شهيد الأندلسي على لسان فقيه شره في وصف الزلاية: «ورأى الزلاية، فقال: ويل.. أبا حشائي نُسِجَت، أم من صفاقٍ قلبي أَلْفَت؟ فَإِنِّي أَجِدُ مَكَانَهَا مِنْ نَفْسِي مَكِينًا. وَحَبْلٌ هَوَاهَا عَلَى كَيْدِي مَتِينًا. فَمَنْ أَيْنَ وَصَلَتْ كَفَّ طَابِخَهَا إِلَى بَاطِنِي، فَأَقْتَطَعَهَا مِنْ دَوَاجِنِي، وَالْعَزِيزُ الْغَفَّارُ، لِأَصْلِيهَا بِالنَّارِ».

وهناك مثل عربي يعزز من قيمة الزلاية، يقول: هانت الزلاية حتى أكلها بنو وائل، وهو مثل يضرب في الشيء حين يهون، فبنو وائل من البدو الذين كانوا يعيشون على أطراف الوادي وتتسم حياتهم بالبدائية، ولا عهد لهم بأكل الحضر.

## الطرشى

من العادات الغذائية المصرية الراسخة في شهر رمضان، تناول الطرشي أو (المخلل) الذي يشغل مكانًا مهمًا من مائدة الإفطار. وتلقى المحلات التي تصنعه رواجًا شديدًا لمنتجاتها وإقبالًا عليها من الطبقات كافة خلال شهر رمضان، مما يعتبر موسمًا لهذه المحال، حيث تتضاعف مبيعاتها خلال الشهر عشرات المرات عن نظيرتها في بقية أيام السنة. ويحرص العاملون في هذه المهنة على إضافة بعض المواد الفاتحة للشهية كالثوم والتوابل والعصفر والبنجر إلى الطرشى المعد للبيع في شهر رمضان خصوصًا، لتزيد من لذته وتغري الصائمين بالإقبال عليه.

ويبدأ الإقبال على شراء الطرشى خلال أيام الشهر الكريم من بعد صلاة العصر حتى حلول المغرب.

وهناك العديد من البيوت المصرية التي تحرص على إعداد الطرشى قبل حلول شهر رمضان بقراءة ثلاثة أشهر، حيث تحتاج بعض النباتات لفترة طويلة حتى يتم تحليلها، كالليمون والزيتون والفلفل.



## العرقسوس

العرقسوس<sup>(٨)</sup>: مشروب يقبل المصريون على تناوله في شهر رمضان، لما له من قدرة كبيرة على إرواء الجسد، وتقليل إحساسه بالعطش. وهو نبات شجري معمر يزرع في كثير من بقاع العالم، مثل: سوريا ومصر وآسيا الصغرى وأواسط آسيا وأوروبا، ولا يستخدم من هذا النبات سوى جذوره الجافة، التي تحتوي على العديد من المواد الغذائية والعلاجية، من بينها مادة تعرف بـخلاصة العرقسوس تتضاعف فيها نسبة السكر عن تلك الموجودة في سكر القصب. واشتهر العرقسوس بقدرات علاجية لدى المصريين منذ أمد بعيد، فقد جاء وصفه في كثير من المراجع القديمة، باعتباره مفيداً في حالات القيء والتهيج المعدي وفي علاج حالات قرحة المعدة. كما عرفت جذور نبتة العرقسوس منذ أكثر من أربعة آلاف سنة عند البابليين كعنصر مقوي للجسم ومناعته، وكان الطبيب اليوناني ثيوكريتوس يعالج به السعال الجاف والربو والعطش الشديد.

وعرفه الأطباء العرب حيث كان يستخدم كطعام ودواء. يقول عنه ابن سينا في القانون:

«إن عصارته تنفع في الجروح، وهو يلين قسبة الرئة وينقيها، وينفع الرئة والحلق وينقي الصوت، ويسكن العطش، وينفع في التهاب المعدة والأمعاء وحرقة البول».

وقال عنه ابن البيطار: «أنفع ما في نبات العرقسوس عصارة أصله، وطعم هذه العصارة حلو كحلاوة الأصل مع قبض فيها يسير، ولذلك صارت تنفع الخشونة الحادثة في المريء والمثانة، وهي تصلح لخشونة قسبة الرئة إذا وضعت تحت اللسان وامتص ماؤها، وإذا شربت أوققت التهاب المعدة والأمعاء وأوجاع الصدر وما فيه، والكبد والمثانة ووجع الكلى، وإذا امتصت قطعت العطش، وإذا مضغت وابتلع ماؤها تنفع المعدة والأمعاء كما ينفع كل أمراض الصدر والسعال، ويطري ويخرج البلغم، ويحلل الربو وأوجاع الكبد والطحال وحرقة البول، ويدر الطمث ويعالج البواسير، ويصلح الفضلات كلها».

كما أثبتت العديد من الدراسات أن جذور العرقسوس مضادة للتقلص وتساعد على تقليل إنتاج حامض المعدة وبالتالي تقلل من حرقة القلب.

وهو شراب آمن إذا ما استخدم باعتدال أما الإفراط في تناوله فقد يسبب صداعاً وكسلاً واحتباساً للماء والصوديوم وفقداناً زائداً للبوتاسيوم وارتفاعاً في ضغط الدم، لذلك لا ينصح بشربه لمريض الضغط المرتفع، لأنه يساعد على الاحتفاظ بالماء داخل الجسم أطول فترة ممكنة، مما يؤدي إلى التورم وزيادة الضغط.

## الفول المدمس

يعد الفول المدمس من أكثر الأغذية الشعبية انتشارًا في بعض البلاد العربية، خاصة مصر، ويرجع ذلك إلى كونه غذاءً بروتينيًا رخيصًا. ويصفون الفول بأنه «مسماح البطن» فهو يبقى مدة طويلة في المعدة. ويتم إنضاج الفول المدمس عن طريق ما يعرف بتدميس الفول؛ حيث يوضع الفول الناشف في قدرة مع قدر مناسب من الماء، وذلك بعد أن ينقى من الحصى، ويترك على نار هادئة طوال الليل تقريبًا، وبعد نضجه يضاف إليه الزيت والليمون والملح، أو المسلى أو الزبدة، وأحيانًا القشدة والتوابل. والمترفون يقشرونه قبل أن يأكلوه، والبعض يقوم بتصفيته بالمصفاة، وذلك بغرض التخلص من قشور حبات الفول التي قد تسبب بعض التقلصات في القولون.

وقد كان يتم تدميس الفول قديمًا بإنضاجه في قدر من الفجار تسمى «البوشة» وهى عبارة عن إناء يشبه الإبريق الفخارى، إلا أن رقبته قصيرة ومتسعة نوعًا ما، ولها مقبضان تحمل منها أثناء الاستخدام، وتكون عادة سوداء اللون، وكان يدفن إلى رقبته بعد أن تسد فوهته. هذا وقد أدى انتشار الأدوات المنزلية الحديثة إلى اتجاه معظم الأسر إلى تدميس الفول منزليًا بواسطة «الدماسة» المصنوعة من الألومنيوم، والتي قد توضع على موقد كهربائي صغير مخصص لهذا الغرض أو فوق إحدى عيون البوتاجاز الصغيرة.

ورغم القول بعمومية انتشار الفول عبر كل الطبقات والمناطق، إلا أن الفقراء وفئات العمال والفلاحين يعتمدون عليه اعتمادًا كبيرًا في وجبة الإفطار، وقد يتناولون شيئًا منه مرة أخرى في وجبة الغداء أو العشاء. وفي رمضان يمثل طبق الفول طعامًا مفضلًا وأساسيًا في وجبة السحور، كما تقدمه بعض الأسر في وجبة الإفطار أيضًا. ويمكن الحصول على الفول المدمس جاهزًا من المحلات المخصصة لبيعه، في كل من الأحياء الراقية والشعبية، وكذلك في القرى المتاخمة للمدن. كما يمكن الحصول عليه أيضًا معبأ في عبوات بلاستيك أو داخل الأكياس النايلون من هذه المحلات. ومن تلك الأنواع الفول بالزيت الحار أو البارد أو بالزبدة، والفول بالطحينة، والفول بالبيض أو بالبصل أو بالحمص.. إلخ. ومن التغيرات الأخرى طرحه في محلات السوبر ماركت معبأ داخل

علب من الصفيح من خلال بعض الشركات، التي تخصصت في إعداده في تشكيلات متنوعة المكونات والمذاق. ومن الفول تعد أطعمة أخرى مهمة كالطعمية «الفلافل» والبصارة.

وقد تفتنت الأسر المصرية في طريقة إعداد الفول فمنه تطبخ «الكسبرية»، وهي عبارة عن فول مطبوخ بالصلصة. إضافة إلى الفول النابت، الذي يعد بتقع الفول في الماء حتى ينبت، ثم يؤخذ ويسلق، وتوضع على مرقتة قليلا من الملح، وبعضهم يقشره ويطحخه بالطماطم ويسمونه «فولية». وبعضهم يضع عليه السلق بعد أن يحمر في السمن ويجفف ويدهك.

ومن هذا نلاحظ كثرة استعمال المصريين للفول.. ومن أمثالهم: كل فولة مسوسة لها كيال أعور، دلالة على أن الشيء وإن قبح له من يطلبه. وكل فولة ولها كيال، إشارة إلى أن لكل إنسان حظه من الدنيا حتى وإن ضعف شأنه، وإذا أرادوا أن يعبروا عن حيلة انكشفت قال الواحد منهم: فهمت الفولة، ويقولون «لا تفول عليه»، أى لا تكن نذير سوء. ويشار إلى أن كلمة «تمس» قبطية الأصل وتعنى الشيء الناضج في الفرن<sup>(١)</sup>.

## القطائف

القطائف في لسان العرب: طعام يُسوى من الدقيق المرق بالماء؛ شبهت بخمّل القطيفة التي تُفَرَس. وعند الجوهري في الصحاح: القطيفة: دثار خمّل، والجمع قطائف وقطف أيضاً مثل: صحيفة وُصُحف، كأنّها جمع قطف وصحيف، ومنه القطائف التي تؤكل.

وتقف القطائف موقف المساواة مع الكنافة على المائدة الرمضانية، أما تاريخها فيعود إلى العصر العباسي وأواخر العصر الأموي، وفي روايات أخرى تعود للعصر الفاطمي حيث كان يتنافس صنّاع الحلوى لتقديم ما هو أطيب، وقد ابتكر أحدهم فطيرة محشوة بالمكسرات، وقدمها بشكل جميل مزينة في صحن كبير ليقطفها الضيوف. ومن هنا اشتق اسمها (القطايف).

وقد أفاض الشعراء في وصف القطائف التي يبدو أنها كانت مفضلة عن الكنافة، وكانت تشكل القاسم المشترك الأعظم في الولائم التي كان الفاطميون في مصر يولونها في الإفطار والسحور، إضافة إلى اهتمام الناس بحشوها بأنواع النقل وغمرها بعد القلي في دهن الجوز. يقول سعد الدين بن عربي عن القطايف:

وقطايف مقرونة بكنافة من فوقهن السكر المذرور

هاتيك تطربني بنظم رائق ويروقني من هذه المتشور

وفي تفضيلها على الكنافة يقول:

قل القطائف للكنافة ما بالي أراك رقيقة الجسد

أنا بالقلوب حلاوتي حشيت فتقطعي من كثرة الحسد<sup>(١٠)</sup>

ومن الطرائف الشعرية المرتبطة بالقطائف، هذه الشكوى المنظومة التي رفعها المصريون للمحتسب في القرن العاشر الهجري، حين ارتفعت أسعار الكنافة والقطائف وغيرها من الحلواء التي تصنع في رمضان:

لقد جاء بالبركات فضل زماننا  
 حكتها شفاه الغايات حلاوة  
 بأنواع حلوى نشرها يتضوع  
 ألم ترني من طعمها لست أشبع  
 يبدد فيها ما له ويضيع  
 بها كل ما تهوى النفوس مجمع  
 فكم ست حسن من أصابع زينب  
 وكم كعكة تحكي أساور فضة  
 وكم قد خلا في مصر من قاهرية  
 وفي ثوبه المنقوش جاء برونق  
 قد صرت في وصف القطايف هائماً  
 تراني لأبواب الكنافة أقرع  
 رخص لنا الحلوى نطيب ونرتع<sup>(١١)</sup>  
 فيا قاضياً بالله محتسباً عسى

ويقول الشاعر المصري أبو الحسين الجزار عن القطايف:

تالله ما لثم المرافف  
 كلا ولا ضم المعاطف  
 بالذوق عا في حشا  
 ي من الكنافة والقطايف<sup>(١٢)</sup>

ولأبي هلال العسكري شعر في تفضيل القطايف على الكنافة، منه:

كثيفة الحشو ولكنّها  
 رقيقة الجلد هوائيه  
 رشت يباء الوزد أعطافها  
 منشورة الطي ومطوية  
 كأنها من طيب أنفاسها  
 قد سرقت من نشر « ماويه »  
 جاءت من السكر فضية  
 وهي من الأذهان تيريه<sup>(١٣)</sup>

وفي تفضيلها على الكنافة - كذلك - يقول الشاعر المملوكي السراج الوراق:

قطائفك التي رقت جسوماً  
 لماضعها كما كثفت قلوباً  
 كغيم رق لكن فيه قطر  
 غدا القفر الجديب به خصيباً

وفي الموضوع ذاته يقول سيف الدين بن قزل المنشد:

وقطائف مثل البدو رأيت لنا من غير وعد  
قد سقيت قطر النبا ت وطيت بالماء ورد  
فحسبتها لما بدت في صحنها أقراص شهد<sup>(١٤)</sup>  
ويقول ابن المعلم المرصص:

وحقك ما أوليتني من قطائف ألد وأحلى من وصال القطائف<sup>(١٥)</sup>  
وقد ضمننت مثل العتاب حلاوة ألم تراها ملفوفة كالصحائف  
ويقول شاعر آخر:

قطائف قد حشيت باللوز والعسل الماذي<sup>(١٦)</sup> والجوز  
تسبح في آذى<sup>(١٧)</sup> دهن الجوز سررت لما وقعت في حوزي<sup>(١٨)</sup>

ومن طرائف الشعر في تعود الأسرة المصرية على التهادي بالقطائف، يقول «ابن  
نباته» المصري:

أقول وقد جاء الغلام بصحنه عقيب طعام الفطر يا غاية المنى  
بعيشك قل لي جاء صحن قطائف وبع باسم من أهوى ودعني من الكنا  
ويقول:

رعى الله نعماك التي من اقلها قطائف من قطر النبات لها قطر  
أمد لها كفي فاهتز فرحة كما انتفض العصفور بلله القطر<sup>(١٩)</sup>  
واستخدم الصفدي التضمين في قصيدته عن القطائف التي جاء فيها:  
رعى الله نعماك التي من اقلها قطائف من قطر النبات لها قطر  
أمد لها كفي فاهتز فرحة كما انتفض العصفور بلله القطر  
ولبعض الشعراء في تفضيل القطائف على سائر الحلويات قوله عنها:

هَاتِ الْقَطَائِفَ هَاهُنَا      فَالصَّوْمُ حَبِيبُهَا لَنَا  
قَدْ كَانَ يَأْكُلُهَا أَبِي      وَأَخِي وَأَكْرَهُهَا أَنَا  
لَكِنِّي مُذْ ذُقْتُهَا      ذُقْتُ السَّعَادَةَ وَهَاهُنَا

ويقول أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة الله المصري:

وَأَفَى الصِّيَامِ فَوَافِقُنَا قَطَائِفَهُ      كَمَا تَسَنَّمَتِ الْكُثْبَانَ مِنْ كَثَبِ  
وَقَالَ زَيْنُ الْقِضَاءِ السَّكَنْدَرِيُّ:

لِللَّهِ دَرَقَطَائِفٌ مَحْشُوءَةٌ      مِنْ فَسْتَقٍ رَعَتِ النُّوَاطِرَ وَالْيَدَا  
شَبَّهَتْهَا لَمَّا بَدَتِ فِي صَحْنِهَا      بِحَقَاقِ عَاجٍ قَدْ حَشَيْنَ زَبْرَجِدَا



## الكنافة

الكنافة واحدة من المأكولات الحلوى المصرية، التي يقبل عليها المصريون طيلة العام، لكنها تحظى خلال شهر رمضان بوضع خاص يجعلها إحدى الارتباطات الرمضانية. وكان يطلق عليها «زينة موائد الملوك».

والباحث في معاجم اللغة لا يجد ذكرًا مباشرًا للكلمة «كنافة»، وربما تكون كلمة غير عربية الأصل، أو تكون من ألفاظ العامة المستمدة من لفظة «كف»، فهي أقرب الألفاظ إليها في كلام العرب، مبني ومعنى. ففي «لسان العرب»:

الكَنْفُ وَالكَنْفَةُ: ناحية الشيء، والجمع أكناف.

وبنو فلان يَكْنُفُون بني فلان أي هم نُزول في ناحيتهم.

وكنفُ الرجل: حِضنه يعني العُضدين والصدر.

وأكناف الجبل والوادي: نواحيه حيث تنضم إليه، الواحد كنفٌ.

والكنفُ الجانب والناحية، بالتحريك.

وكنفا الإنسان: جانبيه، وكنفاه ناحيته عن يمينه وشماله، وهما حِضناه.

وكنفُ الله: رحمته.

وكنفه عن الشيء: حَجَزَه عنه.

وكنف الرجل يَكْنُفه وتَكْنُفه واكْتَنُفه: جعله في كنفه.

وتكَنَّفوه واكْتَنَّفوه: أحاطوا به

وفلان يَعيِش في كنف فلان أي في ظلّه.

وأكْنُفت الرجل إذا أَعْنَتَه، فهو مُكْنُف.

والمُكْنُفة المعاونة.

وكنفا الطائر: جناحاه.

وتكتف الشيء واكتنفته: صار حواليه.

وتكتفوه من كل جاني أي اختوشوه.

وناقة كتوف: وهى التي إذا أصابها البرد اكتنفت في أكناف الإبل تستر بها من البرد.  
والكتنآن: الجتاحان.

ومن ثم ربما يكون سبب تسمية هذا الطعام بالكنافة نظراً لكونها عبارة عن خيوط رقيقة من العجين تكتنف ببعضها البعض أى تحيط ببعضها وتحصن.

أما عن مناسبة ارتباط الكنافة بشهر رمضان تحديداً، فقد قال بعض المؤرخين إن «معاوية بن أبي سفيان» هو أول من قدمت له الكنافة من العرب كطعام للسحور، لتدراً عنه الجوع الذي كان يحس به، وكان ذلك في زمن ولايته للشام.

قال «ابن فضل الله» في المسالك: كان معاوية يجوع في رمضان جوعاً شديداً، فشكا ذلك إلى محمد بن أثال الطبيب، فأشار عليه باتخاذ الكنافة فكان يأكلها في السحور، وقيل إنها صنعت لسليمان بن عبد الملك. وهذا الكلام ربما يعنى أنها كانت إحدى الحلويات المعروفة عند غير العرب ثم انتقلت إليهم.

وقيل إن تاريخها يعود إلى زمن المهاليك، كما قيل إنه يرجع إلى العصر الفاطمي، وأن المصريين عرفوها قبل أهل بلاد الشام، وذلك عند دخول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي القاهرة، حيث كان ذلك في شهر رمضان. ففي ذلك الوقت خرج الأهالي لاستقباله بعد الإفطار، وسارعوا إلى تقديم الهدايا له، وكان من بين ما قدموه الكنافة على أنها مظهر من مظاهر التكريم. وهناك رواية تقول: إن «أسماء» بنت «خارويه» الذي حكم مصر بعد «أحمد بن طولون» المعروفة «بقطر الندي» كانت قد جلبتها معها من بلاد الشام في إحدى رحلاتها المستمرة ومعها حلويات شامية أخرى.

غير أن أقدم المصادر الأدبية التى يمكن أن يستدل منها على شهرة «الكنافة» وحضورها في المشهد الاجتماعى العربى، هو ما كتبه شعراء الدولة الأيوبية والمملوكية عنها، وخصوصاً الشاعر «أبو الحسين الجزار».

ومهما يكن من أمر الروايات التاريخية فإن الكنافة قد لاقت رواجاً ملحوظاً في كل من مصر والشام ثم في بقية الأقطار العربية والإسلامية بدرجات متفاوتة، وبلغ من اهتمام أهل مصر بها حداً أثار انتباه الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مصر في القرنين ١٨ و ١٩ فأسهبوا في وصف طرق عملها، وأطلقوا عليها اسم «المكرونة المصرية».

وقد بلغت الكنافة والقطائف من الشهرة والذيع، لدرجة أن العلامة «جلال الدين السيوطي» الفقيه والمؤرخ المصري الذي عاش في العصر المملوكي جمع ما قيل فيهما نثرًا وشعرًا في كتاب لطيف أسماه «منهل اللطائف في الكنافة والقطائف»، حيث احتلتا مكانًا ملحوظًا وبارزًا في ديوان الشعر العربي (انظر: القطائف).

يقول وهب بن منبه: «ولا يرد اسم رمضان أمام المصريين مثلاً إلا وتمثلت في تخيلاتهم الكنافة والقطايف».

ولم يقف حديث الأدباء وقصائد الشعراء عن الكنافة عند حد وصف موائلها بل تعدى ذلك إلى الهيام بها والتغزل فيها حتى صار لها من العاشقين من خلد ذكرها وخلدته هي!

من هؤلاء الشاعر أبو الحسين يحيى الجزار، الذي أحب الكنافة حباً مَلَكَ عليه بطنه وكل مشاعره، ولما لم يكن قادرًا على شرائها، فقد أخذ يرسل الصبيحات إلى أحد الأمراء ليدينه منها أو يدينها منه، يقول:

أيهذا الأمير قد أشكل المعنى      وما زلت عارفاً بالمعاني

ظاهر البسـتندود لم أدر ماذا      فيه حملا وباطن الخشـكـنان

أتراني في العيد أجهل ذا المعنى      كجهل الخلواء في رمضان

ما رأت عيني الكنافة إلا      عند بيعها على الدكان<sup>(٢٠)</sup>

ويظل «الجزار» يطلب الكنافة، فإذا استطاع أن يشتريها أو يحصل عليها، أعوزه «القطر» ليسقيها به، ولما كان هذا فوق قدرته فإنه يستنجد بأحد الأعيان ليوفر له ما يبتغيه، يقول:

أيا شرف الدين الذى فيض جوده      براحتة قد أخجل الغيث والبحر  
لئن أمحلت أرض الكنافة إننى      لأرجوها من سحب راحتك القطر  
فعجل به -جودا فما لى حاجة      سواه نباتا يثمر الحمد والشكر

شبه الجزار الكنافة الناشفة بالأرض الجذباء التى انقطع عنها الماء، وكنافة الجزار أمحلت أو أجدبت، وصارت يابسة، لذلك هو يرجو لها كوزا من القطر، من سحب شرف الدين لتكون طرية لينة لذيدة الطعم<sup>(٢١)</sup>.

ولما لم يجد الجزار بُغيته في الكنافة فقد راح يبكي لياؤها الحسان ويطلب القطائف، فقال:

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر      وجادَ عليها سُكراً دائماً الدرّ  
وتباً لأيام المُخلل<sup>(٢٢)</sup> إنَّها      تمرُّ بلا نفعٍ وتُحسبُ من عُمرى  
أهيم غراما كلما ذكر الحمى      وليس الحمى إلا القطاره بالسعر  
وأشتاق إن هبت نسيم قطائف الـ      حور سحير وهى عاطرة النشر

وقد اشتد التنافس بين الكنافة والقطائف في قصائد أبى الحسين الجزار، الذى راح يسترضى الكنافة ويعرب لها عن ولعه بها، وإن لم يخف هذا حبه للقطائف كذلك، يقول:

ومالى أرى وجه الكنافة مُغضباً      ولولا رضاها لم أرد رمضانها  
عجبت لها فى هجرها كيف أظهرت      على جفاء صد عنى جفانها  
تُرى اهتمتني بالقطائف فاغتدت      تصدُّ اعتقاداً أن قلبى خانها  
ومُد قاطعتني ما سمعت كلامها      لأن لسانى لم يُخالط لسانها

ولم يكن الشاعر «جمال الدين بن نباتة المصرى» أقل شغفاً بالكنافة والقطائف من سلفه، والظاهر أن ولعه بالكنافة كان أكثر من ولعه بالقطائف؛ لأن الأخيرة لم تأت فى ديوانه إلا مرة واحدة، أما الكنافة بالنسبة إليه فهى حلوى مطلوية ووجبة محبوبة، يناجى

بها نفسه ويحدث عنها صحبه، ويستعطف أهل الفضل ويخطب ودهم بالتحايا ليعطوها له، فتراه يتقاضى كنفاه من القاضي نور الدين بن حجر، ويقول له:

تركت الغزل من أول	وصيرته بعد مدح مرادى
وقالت لى العين ذاك الطعام	ما كان أبهجه فى سوادى
أذكر مولاي ما قلت فى	مقاطيع شعر تجوب الوادى
عهدت فؤادى ملآن من	شجون ولا موضع ازدياد
إلى أن تعشقت حلو الكنافة	ت للحلو زاوية فى فؤادى

فالشاعر يبين لنا أن الغزل لم يعد فنه الأول، وإنما الكنفافة هى مراده الأول فى هذه الدنيا، ويخبر القاضي نور الدين بما عاناه فى حياته، ولم يكن يعرف كيف يفرج عن نفسه الأسيانة، فلما عشق الكنفافة حصل الفرج، وأخلى قلبه ركنًا فيه لهذه الحلوى، لذلك هو يطلبها منه لأنها نهاية الأرب<sup>(٣٣)</sup>.

كذلك طلب الإمام البوصيري (٦٠٨-٦٩٨ هـ) صاحب البردة؛ كنفافة من القاضي عماد الدين بن أبي، فكتب إليه رقعة فيها قوله:

ما أكلنا فى ذا الصيام كنفافة	آه وأبعدها علينا مسافة
قال قوم إن العِمادَ كريمٌ	قلتُ هذا عندي حديثُ خرافة
أنا صيفٌ له وقد مُتُّ جوعاً	ليت شعري لم لا تُعدُّ الضيافة
وهو أن يُطعمَ الطعامَ فما	يُطعمُ إلا لسمهة أو غحافة
وهو فى الحرِّ والحرِّيفِ وفى	البيتِ بجمعِ الخُطامِ كالجِرافه
فاعلموه عني ولا تعيوني	أن عندي فى الصوم بعدَ الحرِّافه
فهو إن لضمَّ يخرُجُ قليلاً إلى الحَا	يُطِرُ فى لَيْلَتِي طَلَعْتُ القِرافه <sup>(٣٤)</sup>

وللشاعر شهاب الدين الهائم فى الكنفافة:

إليك اشتياقي يا كنفافة زائد  
ومالي غناء عنك ولا صبر

فلا زلت أكل كل يوم وليلة ولا زال منهلاً بجرعاتك القطر<sup>(٢٥)</sup>

ومن المأثورات العربية الشهيرة مقولة: من أكل الكنافة خف ظله وعذب منطقه وكثر بهاؤه، وربما لحمه وصفا شحمه وزال سقمه.

وفي إحدى المقامات القصصية للكاتب «عباس الأسواني» بعنوان «عائد من الآخرة» يصور لنا صراع زوج من أجل الحصول على الكنافة، التي تزاحم على بائعها المشترون مما جعلها حلماً بعيد المنال.



وحتى اليوم تنتشر صناعة الكنافة والقطائف في أرجاء مصر ريفاً وحضرًا وحتى في المناطق شبه الصحراوية مثل البحر الأحمر، ولعل ذلك الانتشار الواسع هو الذي حدا بأحد المحتسبين الأتراك في عصر محمد علي أن يتخذ من الأتية النحاسية المستديرة، التي تنضج الكنافة عليها، أداة لتعذيب الكنفانية الذين يرفعون أسعارها بدلاً من الذهاب بهم إلى ساحة القاضي.

ويتشتر في الأسواق المصرية حالياً نوعان من الكنافة، هما: الكنافة البلدي، التي تصنع يدوياً، والكنافة التي تصنع آلياً. أما الكنافة البلدي فتستخدم في صناعتها أفران مستديرة مبنية من الطوب الأحمر بقطر متر وارتفاع متر وربع تقريباً، وفي جانب الفرن توجد فتحة تسع وإبور الغاز. وتعلو سطح الفرن صينية نحاس، يرش عليها العجين المراق للتسوية، ويطلق على إناء رش العجين «الكوزة»، وهو عبارة عن دورق نحاسي، في أسفله صف من أنابيب رفيعة متصلة رأسياً بثقوب إلى جوف الدورق لتسمح بمرور العجين السائل. وهناك نوعان من الكوزة: «الكوزة الصايمة» وتستخدم لعمل الكنافة الرفيعة، و«الكوزة الساقطة» لعمل الخيوط السميقة. أما الكوزة الصايمة فهي عبارة عن دورق ذي رقبة رفيعة وبطن مملثة قليلاً وثقوب ضيقة وهي تشبه قلة الماء، أما الساقطة فهي بدون رقبة تقريباً وذات حافة متسعة وبطن متفخة وثقوب واسعة. ويفضل صناع الحلوى وربات البيوت استخدام الكنافة الرفيعة عن السميقة، أما الكنافة الآلية فتمتاز بقوامها السميك دائماً.

## النقل

هي ما يتسلى بتناوله مع الشراب وفي مجالس السمر من فاكهة ومشليات مثل:  
الفسق والبندق واللوز<sup>(٣٦)</sup>. (انظر: الياميش).

## الياميش

الياميش: يقصد بها المكسرات والنقل، وهي الجوز واللوز والبندق والفسق والبقول السوداني التي يتسلى بها الناس في ليالي رمضان خلال الفترة التي بين وجبتي الإفطار والسحور<sup>(٢٧)</sup>. وتؤكل نيئة في معظم الأحيان، ولا تفقد شيئاً من عناصرها الغذائية إذا طبخت. وهي مزيج مركب من البذور والفواكه، ومن المعروف أن معظم البذور تأتي من الفواكه، وبعض المكسرات يأتي من نويات البرقوق والخوخ والمشمش على سبيل المثال.

ومن أنواع المكسرات التي ارتبطت بشهر رمضان الكريم في بلاد كثيرة عربية وإسلامية: البندق واللوز والجوز وعين الجمل والفسق والبقول السوداني والصنوبر والكاجو (أو الكاشو) وفصص دوار الشمس (بذر دوار الشمس) وغيرها.

ومثل هذه المكسرات تُضاف إلى أنواع كثيرة من الحلويات الرمضانية التي عرفت في بلاد كثيرة من العالم العربي والإسلامي، مثل الكنافة والقطايف والأرز باللبن والسحلب، وبعضها يضاف على أنواع أخرى من أطباق الأرز واللحوم والمعجنات والأسماك والسلطات، كما هي دون طحنها، أو بعد طحنها ثم مزجها مع الأطعمة.

وتعد المكسرات مصدراً مهماً من المواد الغذائية، وهي غنية جداً بالفيتامينات والزيوت والدهون المفيدة لصحة الإنسان، أو الدهون غير الضارة، وهذه الدهون تسمى بالأحماض الدهنية، وهي تحمي القلب من الاضطرابات أو الأزمات القلبية، وتقلل من نسبة الكوليسترول (أي نسبة الدهون في الدم) فهي تساعد على تفتيت الدهون، فضلاً عن أنها تحتوي على ألياف غذائية تساعد على علاج بعض الأمراض مثل: القولون وتصلب الشرايين وأمراض القلب، وبعضها يحتوي على نسبة عالية من عناصر (أو معادن) الكالسيوم والبروتين والحديد والبوتاسيوم، وبصفة عامة فإن المكسرات تحتوي على نسب عالية من فيتامين س (سي)، وغنية أيضاً بفيتامين ب (بي).



والمكسرات تسهم في الحد من الشعور بالجوع والعطش، كما أن زيوتها تساعد على الهضم وليونة المعدة وانتظام عملها، غير أن زيادة استهلاك أي شيء عن الحد المعقول يجلب الكثير من المتاعب والمصاعب، فزيادة استهلاك المكسرات، يؤدي إلى زيادة السعرات الحرارية، مما يؤدي إلى اضطراب في بعض وظائف الجسم<sup>(٢٨)</sup>.

## أم على

واحدة من أصناف الحلوى الشهيرة التي تلقى رواجًا بالمجتمع المصري خلال شهر رمضان، وهي تتكون من مزيج من رقائق العجين الرفيعة، مضافًا إليها الحليب الساخن والسمن والمكسرات، وقد تصب في أنية فخارية وتسوى بالفرن.

أما عن سبب تسميتها بهذا الاسم فتشير بعض المصادر الفلكلورية؛ أنها منسوبة إلى السيدة أم على، زوجة عز الدين أيك، الذي تزوج من شجرة الدر، أرملة الصالح أيوب، آخر السلاطين الأيوبيين الكبار، الذي توفي في وقت تجهيزه لملاقاة الصليبيين في معركة حاسمة بالمنصورة، وقامت شجرة الدر بإدارة شئون البلاد في ذلك الوقت العصيب وبعد إعلان وفاة زوجها طالب المماليك بتنصيبها ملكة على مصر غير أن الخليفة العباسي المستعصم رفض أن تتولى شئون مصر امرأة مما اضطرها للزواج من أحد مماليك زوجها وهو «عز الدين أيك» لتحوز موافقة الخليفة، وبعد أن استتب الأمر لأيك انقلب عليها بل وفكر في الزواج بامرأة أخرى، وكانت شجرة الدر قد أرغمته على تطليق زوجته الأولى «أم على» كشرط للزواج بها، مما دفع شجرة الدر للتدبير لقتله، عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م، وبذا انقلب عليها مماليك أيك وزجوا بها في السجن، ثم سلموها لزوجته السابقة وللحرим للفتك بها.

وبهذه المناسبة أمرت «أم على» بإعداد حلوى لتوزيعها بمناسبة هذا الانتصار الساحق على ضرتها، وكانت مكونات تلك الحلوى هي ذاتها مكونات حلوى «أم على» المعروفة الآن، التي انتقلت من مصر إلى معظم بلدان الشرق.

## قمر الدين

يقال إن أصل اسمه «أمر الدين» نسبة إلى أول بلدة شامية أنتجته، وقد اشتهرت بتحضيره من ثمار المشمش بعد نجفيتها وعصرها، ثم تحول الاسم بعد ذلك على السنة الناس حتى صار كما ينطق اليوم «قمر الدين».

ويرجع بعض الباحثين تسميته بهذا الاسم، إلى أن أول من صنعه بهذه الطريقة رجل كان يسمى قمر الدين، والبعض الآخر يرجعها إلى أنه كان يطرح في الأسواق قبيل رمضان بيوم أي ليلة الرؤية نار تبط اسمه باسم رؤية قمر رمضان أو هلال رمضان.

وهو واحد من الحلوى المفضلة في رمضان، ويقدم مطبوخاً على النار بعد إضافة الماء والسكر والليمون والنشا إليه حتى يصبح غليظ القوام، وقد يضاف إليه بعض الجوز لإكسابه لوناً زاهياً وقيمة غذائية أعلى، وبعد صبه في الأطباق يرش عليه جوز الهند والزبيب ويترك حتى يتماسك، ويطلق عليه «مهلبية قمر الدين»، كما يشرب منقوعاً في الماء المحلى بالسكر. يحتوي «قمر الدين» على الحديد والأحماض العضوية والأملاح المعدنية ونسب كبيرة من فيتامينات أ، ب، ج وقدر من البروتينات والكاربوهيدرات. وإضافة السكر إليه يضاعف من قيمته الغذائية مما يفيد الجسم ويمده بالطاقة خلال فترة الصيام. وتشتهر سوريا بصناعته بصورة كبيرة، وتعتمد معظم الدول الإسلامية على استيراده منها لسد احتياجات أسواقها خلال شهر رمضان.

وكانت الطريقة التقليدية لصناعته تقوم على عصر ثمار المشمش وإضافة السكر إليها ثم غليها على النار، ثم تصب بعد ذلك على ألواح خشبية مدهونة بزيت الزيتون، وتعرض للشمس إلى أن تجف تماماً وتصبح رقائق، ثم تقطع وتغلف على شكل طبقات، أما في الوقت الحالي فقد دخلت الميكنة في صناعة قمر الدين، ويتبع الآن بأحدث المعدات والآلات.

## الهوامش

- (١) موسوعة التراث الشعبي العربي، صص ٥٥-٥٦، بتصرف يسير.
- (٢) د. رمضان مصري هلال: التمر: غذاء.. ودواء.. وإعجاز، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع إلكتروني: [www.55a.net](http://www.55a.net).
- (٣) مصطفى عبد الرحمن: رمضانيات، مرجع سابق ص ٦٣: ٤٦.
- (٤) ابن أبي الدنيا: الإشراف في منازل الأشراف.
- (٥) راجع: د. رمضان مصري هلال: التمر: غذاء.. ودواء.. وإعجاز، مرجع سابق.
- (٦) انظر: ويكيبيديا.. الموسوعة الحرة.
- (٧) محمد رجب السامرائي، رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، ود. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ٢٤.
- (٨) عن: موسوعة الأعشاب الطبية: أحمد محمد عوف، مرجع إلكتروني، و«جريدة الرياض»: الإثنين ١٤ رمضان ١٤٢٦هـ - ١٧ أكتوبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٦٢٩، و«ويكيبيديا»، الموسوعة الحرة، الشبكة الدولية للمعلومات.
- (٩) موسوعة التراث الشعبي العربي، مرجع سابق.
- (١٠) د. نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١١٠.
- (١١) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ٢٤.
- (١٢) د. نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١٠٩-١١٠.
- (١٣) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٢٢.
- (١٤) المرجع السابق، ص ٢٣.

- (١٥) وهو يريد بـ "القطائف" في آخر البيت الأول: اللاتي يمشين هوناً.
- (١٦) المأذي هو العسل الأبيض.
- (١٧) الأذي: الموج
- (١٨) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٢٤.
- (١٩) د. نعات أحمد فزاد، مرجع سابق، ص ١١٠.
- (٢٠) أحمد حسين الطماوي: القطائف والكنافة عند الشعراء الجزائريين وابن نباتة، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٢٨، سبتمبر ٢٠٠٩.
- (٢١) المرجع السابق.
- (٢٢) أيام المخلل يشير بها إلى أيام الفتنك والشح والفاقة.
- (٢٣) أحمد حسين الطماوي، القطائف والكنافة عند الشعراء الجزائريين وابن نباتة، مرجع سابق.
- (٢٤) محمد رجب السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوتل للنشر والخدمات الطباعة - دمشق، سورية ٢٠٠٢ م.
- (٢٥) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٢٢.
- (٢٦) أحمد بن علي الدلجي: الفلاحة والمفلوكون، سلسلة الذخائر، ع (١٠٥) ٢٠٠٣.
- (٢٧) محمود الشراوي: شهر رمضان عادات ونوادير، مجلة العربي، العدد ٤١٢ - مارس ١٩٩٣.
- (٢٨) أحمد فضل شبلول: مكشّرات رمضان، مجلة العربي، العدد ٦٢١ - أغسطس ٢٠١٠.



## الاستعداد لعيد الفطر المبارك

● كسوة العيد

● كعك العيد





## الاستعداد لعيد الفطر المبارك

في الثلث الأخير من شهر رمضان تبدأ الأسر المصرية في الإعداد لاستقبال عيد الفطر المبارك بصناعة الكعك وحياسة الملابس الجديدة وتفصيل الأحذية أو شرائها جاهزة من المحلات.. إلخ، وهى كلها أمور تحقق البهجة للأطفال وتشكل دوائر أحلامهم في اليقظة والنوم.

يشير «عبد الحميد حواس» أن الأطفال في هذه الأوقات يبدؤون في تحويل أغانيهم أثناء جولاتهم، من وداع رمضان، إلى أغاني فرحة بقدوم العيد، من مثل: يا برتقان أحمر وجديد/ بكره الوقفة وبعده العيد، ثم يتعالي مع تسيير موكب يزف «العيدية»، المكونة من الكسوة والكعك والسكر والشربات ونحوها، وهى الهدية المقدمة من أهل الخاطب حديثاً إلى أهل خطيبته. وتحمل البنات والنساء مكونات هذه الهدية في سلال على رؤوسهن يستعرضنها سائرات في طابور يغنين ويزغردن. وهذه المواكب الصغرى تمهد للاحتفال الأكبر عند حلول يوم العيد نفسه.

والاحتفال بالعيد في هذا السياق- هو تكبير للمواكبية والشعائرية التي سادت خلال الشهر الكريم، وحولت ممارساته الفردية إلى طقوس جمعية. وبها تبقى أيام رمضان في الوجدان والضمير التثاماً مع «نحن» الجماعة واستعادة للحياة المشتركة المتألفة، حيث يتكامل فيها المقدس مع الدنيوي والروحي مع الاجتماعي؛ لذا ليس غريباً أن نجد الفرد يبادر زميله، في «أبورماد» بأقصي الجنوب، عندما يلتقيان بعد دخول شهر السماح، أن يسأله أن يمنحه «العفو لله»<sup>(١)</sup>.



## كسوة العيد

تعد كسوة العيد أو ملابس العيد، واحدة من أهم المظاهر الاحتفالية التي تستغرق اهتمامات المصريين في الثلث الأخير من شهر رمضان، حيث كان يطلق على عيد الفطر «عيد الحلل»، وهذه الاهتمامات ليست وليدة هذا العصر وإنما تضرب بجذورها إلى حيث دولة الخلافة الإسلامية في عصور بني أمية والعباس والتي كانت رسومها تقضي بتفريق الخلع على أرباب الوظائف في الدولة خلال شهر رمضان ليبدو موكب الخليفة وهو في طريقه لأداء صلاة العيد قشياً ومزداناً بألوان الملابس الرائقة والجديدة.

وكما هو شأنهم دائماً فقد وجه الفاطميون عناية خاصة لكسوات العيد بعدما أسسوا دولتهم الكبرى في مصر والشام وشمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية وذلك في إطار عنايتهم برسوم البلاط والدولة.

وقد احتلت «كسوة العيد» المكانة الأولى بين إجراءات احتفال الفاطميين بعيد الفطر حتى أن هذا العيد كان يعرف في عصرهم بعيد الحلل، لكثرة ما يوزع فيه من كسوات جديدة على الخاصة والعامة.

وكانت «دار الكسوة» هي الجهة المنوط بها توزيع كسوات العيد على أربابها بدءاً من الوزير ومروراً بالأمرء وكبار وصغار موظفي الدواوين وانتهاءً بالفراشين والمستخدمين في الدولة.

ويقوم صاحب ديوان الإنشاء بكتابة «رقاع» من الورق توضع في كل كسوة خاصة بأحد وجوه الدولة. ومن هذه الرقاع واحدة كتبها «ابن الصيرفي» لتوضع في كسوات عيد الفطر عام ٥٣٥هـ وقد جاء بها «ولم ينزل أمير المؤمنين منعماً بالرغائب

مولياً إحسانه كل حاضر وغائب مجزلاً حظهم من منائحه ومواهبه.. وإنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه وأحراهم باستنشاق نسيمه وأخلقهم بالجزء الأوفى منه عند نصبه وتقسيمه ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هباتهم ويأخذوا عند كل مسجد زيتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشریف أوليائه وخدمه فيه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال، ولا يبقى بعدها مطمع للآمال...».

أما المستول عن «دار الكسوة» فكان يعرف «بصاحب المقص» وهو مقدم الخياطين، ولرجالها مكان يقومون فيه بالخياطة والتفصيل، وهو يعمل وفق الأوامر الصادرة إليه من الخليفة وحسب ما تدعو إليه الحاجة. ويحمل إلى دار الكسوة ما يعمل من نسيج وملابس من دور الطراز بمدن تنيس ودمياط والإسكندرية.

ودور الطراز هي مصانع النسيج الحكومية التي تشرف الدولة على منتجاتها وكلمة «طراز» معربة من الفعل «ترازیدن» ومعناها يوشي أو يطرز، وإن استخدمت في مصطلح العصور الوسطى لتدل على العبارة الرسمية التي تتخذها الدولة شعاراً لها وتقوم بتسجيلها على النسيج والعملية أو غير ذلك من الأشياء ذات الطابع الرسمي.

فمصر مثلاً كان طرازها الذي يوضع على روق البردي يشير إلى عقيدة النصرانية في الأب والابن والروح القدس ثم صار بدءاً من عهد عبد الملك بن مروان يحمل الإشارة إلى دين التوحيد «لا إله إلا الله وحده. محمد رسول الله».

ودور الطراز على نوعين، «دار طراز العامة» وهي تصنع منسوجات تباع في الأسواق أو تهدي لموظفي الدولة في المواسم والمناسبات، «ودار طراز الخاصة» وإنتاجها موقوف على الخليفة وآل بيته فقط. وهذه الدور هي التي تسلم كسوات العيد إلى دار الكسوة.

وكان بدار الكسوة قسم خاص بملابس الخليفة تتولى الإشراف عليه امرأة تتعت «بزين الخزان» وتحت إمرتها ثلاثين جارية «فلا يغير الخليفة أبداً ثيابه إلا عندها».

ومهما يكن من أمر هذه الدار ومشرفيها، فإن الدولة كانت تخصص ميزانية ضخمة للإنفاق على كسوة العيد. وقد بلغت النفقة عليها، في عام ٥١٥هـ على سبيل المثال

قراية عشرين ألف دينار ذهبي، صنعت بها ملابس من الحرير الموشى بالذهب والديباج الملون (القطيفة) والقطن والكتان المطرز وأقمشة أخرى لا نعرف الآن مدلولات أسمائها مثل «السقلاطون» و «البوقلمون».

ولا شك في أن الذين كانوا ينعمون بمثل هذه الكسوات الخلفية كانوا يتباهون بها على العامة، لأن تلك الملابس التي تحمل في طرازها اسم الخليفة وسنة الإهداء هي في حقيقة الأمر بمثابة الأوسمة والنياشين والأنواط في العصر الحديث.

وتقضي الأوامر التي كانت تصدر لدار الكسوة بضرورة توصيل الكسوات إلى أصحابها قبيل ليلة العيد، حتى إذا ما خرج الخليفة لصلاة العيد خارج باب النصر ماراً بباب قصره يعرف بباب العيد، كانت القاهرة أشبه بكرنفال للملابس الجديدة الزاهية الألوان والتي يرتديها الأمراء وموظفو الدواوين والجنود وكافة أصحاب الرواتب في الدولة.

وقد تقلصت عادة إهداء الدولة لكسوة العيد بعد سقوط الخلافة الفاطمية ورويداً رويداً اقتصرت ظاهرة إهداء «الخلع» على الأمراء وكبار الموظفين عند توليهم لمناصبهم فقط.

ولم يمنع ذلك أصحاب الخير من السير على سنة الفاطميين بإهداء كسوات في عيد الفطر، فقد حرص مؤسسو المدارس والمساجد والكتاتيب في العصر المملوكي على النص في وثائق أوقافهم المعينة للإنفاق على أنشطة هذه المنشآت على أن يقوم المشرف على الوقف «ناظر الوقف» بصرف كسوات للموظفين والتلاميذ الأيتام بمناسبة عيد الفطر، أو صرف بدل نقدي بلغ في وثيقة وقف السلطان قايتباي ألفي درهم.

وقد ذاعت شهرة دور الطراز المصرية بما أنتجته من المنسوجات الكتانية والحريرية والتي كانت تصدر في العصور الوسطى على العديد من الدول الإسلامية بل والأوروبية. وكان الأسلوب الصناعي السائد هو اتخاذ لحامات الأقمشة من الحرير أو الصوف وسداتها من الكتان، على أنه وجدت بعض الأقمشة المصنوعة كلها من الحرير «سدى ولحمة» وغالباً ما كانت توشى بخيوط من الذهب.

وقد تعددت طرق زخرفة المنسوجات التي كانت تصنع منها كسوات العيد، فشملت الصباغة والتلوين والتذهيب والتطريز والطبع والتطبيق (البرودرية) والزخرفة المنسوجة.

أما الأزياء التي كان يرتديها المسلمون، فقد تنوعت بحسب الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها أصحابها، أو الوظائف التي يعملون بها وإن اتفقت جميعها في توخي الاتساع والاحتشام، ولا فرق في ذلك بين أزياء الرجال وأزياء النساء.

وحتى العصر العثماني لم يتغير زي أرباب الوظائف الديوانية والقضاة وكذلك كبار التجار، والذي كان قوامه «الطيلسان» والعمامة الكبيرة، وكذلك الحال بالنسبة لملابس النساء، وإن تبدلت ملابس العسكريين منذ بداية العصر المملوكي.

وما أن أهل العصر العثماني في مصر حتى كانت الأزياء قد تبدلت لتحاكي ما كان يلبسه أتراك القسطنطينية، وصار زي كبار التجار والأثرياء في المجتمع المصري مكوناً من: «اللباس» وهو سر وال صيف (عادة من التيل) ويستبدل في الشتاء «بالشرشير» وهو من الجوخ، وتميزت سراويل الممالك وقتها بلونها الأزهر وقماشها الحريري المستورد من البندقية. وبعد ذلك نجد «القميص» وهو يتدل حتى العقبين، ويلبس فوق السراويل وأكمامه واسعة وبالغة الطول. واختص الممالك بارتداء «الملك» وهو صدارى واسع قصير، وأكمامه طويلة جداً وبالغة الاتساع.

وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك ثلاثة أنواع من الأثواب المتسعة المفتوحة من الأمام وهي «القفطان»، و«الجنة» وكانت تلبس فوق القفطان ثم «البنيش».

وجرت العادة بأن يرتدي الموسرون أحزمة من الموسلين أو الصوف أو الحرير فوق القفطان ويعتمرون العمامة المكونة من الطربوش الأحمر والشال الذي يلف حوله.

ولم يكن لفقراء المدن والريف نصيب في هذه النوعيات من الملابس إذ اقتصرت ملابسهم على قطعتين من الملابس الداخلية و قميص من التيل الأزرق له كمان طويلان وهو يعتبر الرداء الوحيد لهم في فصل الصيف. ولا يستغني الفقراء عن خدمات هذا

القميص إلا بعد أن يكون العرق قد نال منه النصيب الأوفى؛ لأن الصابون وقتها كان ترفاً لا يقدر عليه إلا الأثرياء.

أما ملابس النساء في العصر العثماني فقد اشتملت على: «اللباس» الذي كان يتخذ من الكتان أو القطن صيفاً. ومن نسيج أكثر سمكاً في الشتاء ويعرف عندئذ «بالشتيان»، ثم القميص والبلك الذي يختلف عن يلك الرجال في ضيق أكمامه، وقد يستبدل اليلك «بالفستان» المغلق من الصدر، وترتدي النساء «الجبة» فوق الفستان، ويعقدن الأحزمة من الخلف بحيث تتدلى على هيئة المثلث.

أما غطاء الرأس ويعرف باسم «الربطة» فكان مكوناً من الطاقية والطربوش من فوقها ثم «القمطة» التي تلف حول الطربوش وتزين باللالئ والأحجار الكريمة.

واعتادت النساء عند خروجهن للطريق العام ارتداء «التدييزة» وهي مكونة من ثلاث قطع:

١- السبلة: وهو قميص واسع من التفتاز يغطي كل الملابس ويتدلى حتى يلامس الأرض.

٢- البرقع: قناع الوجه ابتداء من أسفل الأنف ويتصل بالربطة من فوق الجبهة من الجانبين ويتدلى حتى الركبتين.

٣- الحبرة: قطعة كبيرة من قماش التفتاز الأسود، توضع فوق الرأس وتغطي به «الربطة» والملابس واليدين وتخلعه المرأة عند دخولها لأحد البيوت.

وقد اكتفت نساء الطبقات الشعبية بارتداء السراويل ومن فوقه قميص أزرق اللون واسع جداً وأكمامه طويلة وواسعة تنزل حتى الردفين. ولم يعد الأمر نساء في الريف والمدن من كن يخرجن إلى العمل والأسواق وهن يرتدين «اليلك» بدون قميص وهو ما يعني عملياً الكشف عن جزء من صدورهن، ونجد أمثلة كثيرة لهذه الحالات في رسوم علماء الحملة الفرنسية والرحالة الأوروبيين أيضاً.

ورغم تغير أنواع الأقمشة وتنوع الأزياء التقليدية والأوروبية التي نرتديها الآن فإن أبناء الطبقات المختلفة ما زالوا يبدون حرصًا شديدًا على شراء «كسوة العيد» رغم ما يسببه ذلك من عنت للعائلات التي تتمتع بوفرة في عدد الأبناء، ولكن الذي يهون من الأمر بعض الشيء أنها لا تشتري غالبًا ثيابًا جديدة في عيد الأضحى الذي لا يبعد كثيرًا عن عيد الفطر<sup>(٢)</sup>.



## كعك العيد

تعد صناعة الكعك من أقدم العادات التي عرفها المصريون القدماء، التي نشأت مع الأعياد ولازمت الاحتفال بأفراحهم، ولا تختلف صناعة الكعك اليوم في مصر عن الماضي، مما يؤكد أن صناعته اليوم امتداداً للتقاليد الموروثة. فقد وردت صور كثيرة عن صناعة كعك العيد في مقابر طيبة، ومنف، ومن بينها ما عُثِرَ على جدران مقبرة رخمى - رع من الأسرة الثامنة عشرة، إذ تبين كيف كان غسل النحل يخلط بالسمن ويقلب على النار، ثم يُصب على الدقيق ويُقَلَّب حتى يتحول إلى عجينة يسهل تشكيلها بالأشكال المطلوبة، ثم يُرصُّ على ألواح من الإردواز، ويوضع في الأفران كما كانت بعض الأنواع تُقلى في السمن والزيت. وكان المصريون القدامى يُشكلون الكعك على هيئة أقراص بمختلف الأشكال الهندسية ذات الزخارف، كما كان بعضهم يصنع الكعك على شكل حيوانات أو أوراق الشجر وبعض الزهور، وغالباً ما كان الكعك يحشى بالتمر المجفف - العجوة - أو التين ثم يقومون بزخرفته بالفواكه المجففة مثل النبق أو الزبيب. وكانوا يصنعون الكعك أو الفطير عند زيارتهم المقابر في الأعياد، لاستخدامه كتميمة سحرية ذات مغزى ارتبط بأسطورة إيزيس وأوزيريس<sup>(٣)</sup>. ويطلق المصريون الآن على هذا النوع من الكعك الذي يوزع في المقابر كصدقة على أرواح الموتى في الأعياد «الشريك».

ويؤثر عن أبي بكر محمد بن علي المدراي وزير الدولة الإخشيدية، أنه عمل كعكاً حشاه بالدنانير الذهبية، أطلقوا عليه وقتئذ اسم (أفطن له)<sup>(٤)</sup>، وكذلك كان يفعل من قبله الإمام الليث بن سعد الذي يقال إنه أهدى إلى الإمام مالك بن أنس بالمدينة، صينية

وضع فيها الكعك المصري وكان حشوها من الذهب، كما كان يهدي إلى أصدقائه أمثال هديته إلى الإمام مالك.

وفي العصر الفاطمي خصصت الدولة داراً عرفت بدار «الفطرة» أنشأها المعز لدين الله لعمل ما يحمل إلى الناس في العيد، ومكانها الآن بجوار الباب الأخضر بالمشهد الحسيني. وكان العمل في دار الفطرة يبدأ في النصف الثاني من رجب ليلاً ونهاراً، حيث كان يصنع فيها ألوان مختلفة من الكعك، نذكر من هذه الألوان: «الخشكناج»، وهو الذي لا يزال بعض عامة الشعب يطلقون عليه الآن اسم «خشينة»، وصنف آخر يقال له «كعب الغزال» وصنف ثالث يعرف «بالبر ما ورد» وصنف رابع يقال له «البسندور»، وكان يقوم بصنع هذه الألوان مائة عامل ويعدون ما يصنعونه ليفرق على الخاصة والعامة قبل العيد بيوم واحد، على قدر منازلهم في أوان لا تستعاد.

وفي آخر العصر الفاطمي قدر ما يستخدم في صنع الكعك والحلوى في دار الفطرة بألف أردب دقيق و ٧٠٠ قنطار سكر و ٦ قناطير قلب فستق و ٨ قناطير قلب لوز و ٤ قناطير قلب بندق و ٢٠٠ إردب زبيب و ٢٠٠ قنطار زيت و ٣ قناطير غسل تحل و ٢٠٠ إردب سمس و ٢٠ قنطار ماورد وإزدين أيسون و ٥٠ رطل مسك وعشرة مثاقيل زعفران مطحون بخلاف بيض الدجاج. وكانت توضع أصناف الكعك المختلفة على صوان أو أطباق من الذهب الخالص للخاصة أو من الفضة للعامة مع ما كان يحمل إليهم من ثياب وحلي.

ويبدو أن المصريين كانوا يختارون دقيقاً خاصاً يصنعون به الكعك حتى أنهم أطلقوا على القاضي «القشيري» عندما رأوه يلبس طيلساناً أبيض لقب «دقيق العيد» وعرفت أسرته بأسرة «ابن دقيق العيد» نسبة لذلك.

وكما كان الفاطميون يفتنون في صنع الكعك والحلوى ابتهاجاً بعيد الفطر كانوا يمدون الولايم في ليالي العيد به. يصف لنا أحد المؤرخين أن المائدة كانت ٢٠٠ ذراع طولاً في عرض سبعة أذرع، كان يوضع عليها أنواع الكعك التي صنعت في دار الفطرة، فإذا صلى الخليفة الفاطمي الفجر وقف في شباك القصر وأمر بدخول العامة فيدخل الناس ويتخاطفون الكعك ويحملونه إلى دورهم، فإذا خرج الخليفة لصلاة العيد؛ ركب في موكب ثم يذهب بعد الصلاة إلى قاعة الذهب؛ حيث أعدت له مائدة من الفضة يقال

لها - المدورة- وعليها أواني الفضة والذهب التي تحمل الأطعمة المختلفة، وفي الوقت نفسه كان يمد السباط الكبير، وهو من خشب مدهون مزين بالأزهار والورود ليتناول خاصة الخليفة الطعام، وعلى هذه المائدة ترص الأطعمة بطريقة خاصة في صحون يبلغ عددها ٥٠٠ صحن<sup>(٥)</sup>.

ويلاحظ أنه خلال الاحتفال بالعيدين في العصر الفاطمي كانت الحلوى تصنع على هيئة الإنسان ومختلف الحيوانات، وقد ورثت مصر الحديثة ذلك من الفاطميين فعادة صنع الحلوى والكعك على هيئة الإنسان والحيوانات المختلفة مازلنا نشاهدها في القرى المصرية بصفة خاصة.

وفي العصر المملوكي كانت البيوت تتبادل التهنة بالعيد كما يتبادلون أطباق الكعك الذي كان يتم تجهيزه خلال الأيام الأخيرة من شهر رمضان، ويبدو أن البعض كان يفضل شراء الكعك جاهزاً؛ إذ إن الرحالة «ابن الحاج» ضمن مشاهداته في مصر عاب معاصريه أنهم يشتررون الكعك الذي يصنعه اليهود بمناسبة عيد الفطر<sup>(٦)</sup>.

وفي العصر الحالي تشغل البيوت المصرية خلال الثلث الأخير من شهر رمضان بالإعداد لصناعة الكعك بشراء مستلزماته من دقيق وخميرة وسمن وتجهيز المناقيش والقوالب، وحجز الصيجان من الأفران، وفي الأيام الأخيرة تلتف نساء العائلات وبناتها حول صناعته، حيث يتم تخمير العجين أولاً، وبعدها تبدأ عملية تقطيعه والنقش عليه بالمناقيش، ثم رصه في الصاجات، والذهاب به إلى الفرن لتسويته.

وتحرص العديد من الأسر على إضافة اللبن والفانيليا وماء الورد للعجين لإضفاء رائحة طيبة عليه ومذاق حلو، أو حشوه بالملبن والمكسرات أو العجوة.

ومن أهم ما يصاحب صنع كعك العيد، فرحة الأطفال ولهوهم بالعجين الذين يروحون يصنعون منه أشكالاً محببة لديهم كالعرائس والأحصنة، حيث يحرص كل طفل على أكل العروسة التي صنعها بيديه بعد تسويتها في الفرن.

ويلاحظ أنه في السنوات الأخيرة باتت العديد من الأسر تقوم بتجهيز الكعك في الأفران، أو شرائه جاهزاً.

وتعود المصريون على التهادى بالكعك في أيام العيد أو تخصيص نصيب منه لتوزيعه على المقابر كما تقدم أعلاه.

وهناك بعض المعتقدات المرتبطة بصناعة كعك العيد، حيث يعتقد البعض أن العام الذي لا يصنع فيه كعك العيد سيشهد موت أحد أفراد الأسرة، كما أنه في حالة فقد أحد أفراد الأسرة فلا يصح أن يصنع الكعك في العام الأول على الوفاة؛ كما أن جيران المتوفى لا يقبل منهم أن يصنعوا الكعك إلا بعد استئذان أسرة المتوفى.

— عِيدُ الْبَيْتِ —

## الهوامش

- (١) عبد الحميد حواس: وداعاً رمضان.. أهلاً بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤.
- (٢) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، صص ٣٣-٣٦.
- (٣) محمد رجب السامرائي: رمضان والعيد.
- (٤) راجع: حسن عبد الوهاب، رمضان، مرجع سابق.
- (٥) محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفلكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢، صص ٧٨-٨٠.
- (٦) د. سمية حسن محمد إبراهيم، العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧، صص ٣٢-٣٣.



## أعلام الكتاب

ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ - ١٢٣٣ م)

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير.

ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجول في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها.

من تصانيفه «الكامل» اثنا عشر مجلداً، مرتب على السنين، بلغ فيه عام ٦٢٩ هـ، و «أسد الغابة في معرفة الصحابة» خمسة مجلدات كبيرة، مرتب على الحروف، و «اللباب» اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه، و «تاريخ الدولة الأتابكية» و «الجامع الكبير» في البلاغة، و «تاريخ الموصل» لم يتمه. (الأعلام للزركلي).

ابن الجوزي، أبو الفرج (٥٠٨ هـ - ٥٩٧ / ١١١٦ - ١٢٠١ م).

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، المحدث، المؤرخ، شيخ الإسلام عالم العراق.

كتب بخطه كثيراً من كتبه إلى أن مات. كان ذا حظٍ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة والكبراء، وقيل إنه حضر في بعض مجالسه مائة ألف. وقال: «كتبت بأصبعي ألفي مجلد، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفاً». ومن تصانيفه المهمة: زاد المسير في التفسير؛ جامع المسانيد؛ المغني في علوم القرآن؛ وتذكرة الأريب في اللغة؛ الموضوعات؛ الواهيات؛

الضعفاء؛ المنتظم في التاريخ؛ الناسخ والمنسوخ؛ غريب الحديث؛ الوفا في فضائل  
المصطفى. (الموسوعة العربية العالمية) <http://www.mawsoah.net>

### ابن الحاج

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج،  
ويشار إليه أحياناً بالعبدري. تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج، وكف بصره في آخر  
عمره وأقعد.

له (شموس الأنوار وكنوز الأسرار) و (بلوغ القصد والمنى في خواص أسماء الله  
الحسنى) وقد زار مصر خلال القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن هجري، ودون  
مشاهداته عنها في كتابه: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبه على بعض  
البدع والعوائد. توفي بالقاهرة عن نحو ٨٠ عاماً.

ابن إياس (١٤٤٨-١٥٢٣م)

محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى

مؤرخ عربي ولد بالقاهرة، ألف في التاريخ ونظم الشعر. شاهد الأحداث الأخيرة  
من حكم المماليك الجراكسة بمصر والسنوات الأولى من الفتح العثماني. ذكر في كتابه  
«بدائع الزهور في وقائع الدهور» شتى ما مر بالقاهرة من الحوادث، وتحدث عن  
أخطاؤها ورجالاتها، ويعتبر هذا الكتاب حلقة الاتصال بين المقرئ والجبرتي. (عبد  
الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،  
١٩٨٧، بتصرف يسير).

ابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ / ١٣٠٤-١٣٧٧م)

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، المعروف بابن  
بطوطة، ولد ولد في ٢٥ فبراير ١٣٠٤م الموافق ١٧ من رجب ٧٠٣هـ، ونشأ في مدينة



طنجة بالمغرب، وخرج منها سنة ٧٢٥ هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر؛ حيث وصل إلى ميناء الإسكندرية زائرًا لمصر في أول جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ زمن الولاية الثالثة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م - ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م). وزار الشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقية.

واتصل بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم - وكان ينظم الشعر - واستعان بعباتهم على أسفاره. وعاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بلاده. وأملى أخبار رحلته على (محمد بن جزري) الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦ وسمها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ترجمت إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والإنكليزية، ونشرت بها، وترجمت فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا.

وكان يحسن التركية والفارسية. واستغرقت رحلته ٢٧ سنة (١٣٢٥ - ١٣٥٢) ومات في مراکش. وتلقبه جمعية كمبرج في كتبها وأطلسها بأمير الرحالين المسلمين. لقبه المستشرق دوزي بلقبه بالرحالة الأمين. (الأعلام للزركلي، ومحمد رجب السامرائي: فطور وسحور واحتفالات في كتابات الرحالة، جريدة الاتحاد، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٩).

ابن تغري بردي (٨١٣ - ٨٧٤ هـ = ١٤١٠ - ١٤٧٠ م)

يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين: مؤرخ بحاث. من أهل القاهرة، مولدًا ووفاء. كان أبوه من ممالك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، ومات بدمشق سنة ٨١٥ هـ.

ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (المتوفي سنة ٨٢٤) وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية وامتاز في علم النغم والإيقاع.

وصنف كتبًا نفيسة، منها، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» و«المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - ط» الجزء الأول منه، في التراجم، كبير، ومختصره «الدليل الشافي

على المنهل الصافي» أكمل بهما الوافي للصفدي، و«مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة» و«نزهة الرائي» في التاريخ، منه الجزء التاسع مخطوط، و«حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» أربعة أجزاء منه، جعله ذبيلاً لكتاب السلوك للمقريزي، و«البحر الزاخر في علم الأوائل والأواخر» مطول في التاريخ، منه جزء صغير مخطوط، و«حلية الصفات في الأسماء والصناعات» أدب.

ابن جبير (٥٣٩ - ٦١٤ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م)

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين: رحالة، أديب.

رحالة أندلسي ولد عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م في مدينة بلنسية من أسرة عربية عريقة، تلقى علوم الدين والشريعة في شاطبة، وبرز كشاعر وكاتب لدى حاكم غرناطة بالأندلس وعندما بلغ الأربعين قرر الترحال إلى الأراضي الحجازية بحرًا من الأندلس إلى شمال إفريقيا ومنها إلى الإسكندرية، ثم تحرك ركبته إلى القاهرة، ومنها انتقل عبر نهر النيل حتى مدينة قوص في صعيد مصر، ثم برّأ إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر ليستقل سفينته حتى ميناء جدة.

وقام ابن جبير بالرحلة الثانية التي استمرت عامين عند سماعه نبأ تحرير بيت المقدس على يد القائد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م، وأما رحلته الثالثة والأخيرة فبدأها وعمره في الثالثة والسبعين، ولم يعد إلى مسقط رأسه حتى توفاه تعالى في الإسكندرية عام ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م. (الأعلام للزركلي، و محمد رجب السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية - دمشق، سورية ٢٠٠٢ م).

ابن سعد (١٦٨ - ٢٣٠ هـ / ٧٨٤ - ٨٤٥ م)

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي. كان يطلق عليه كاتب الواقدي حيث تتلمذ على يديه.

عاش معظم عمره في بغداد. اشتهر بكتابة السير الذاتية وكان مصدر ثقة لكثير من العلماء والكتاب في العصور التي تلتها. من أهم مؤلفاته "الطبقات الكبرى".

ابن كثير، القرشي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ).

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة ٧٠٦هـ بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل: الأمدى وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها.

كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالماً محققاً ثقة متقناً، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إماماً في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالماثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة.

توفي ابن كثير بعد أن كُفَّ ببصره، ودفن في دمشق. (نقلا عن: الموسوعة العربية العالمية <http://www.mawsoah.net>)

ابن نباتة (٦٨٦ - ٧٦٨هـ)

هو الإمام «جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة المصري»، ولد بالقاهرة وعاش بدمشق فترة طويلة، ويقول فيه «ابن تغرى بردى» في النجوم الزاهرة: برع في عدة علوم وفاق أهل زمانه في نظم القريض، وله الشعر الرائق والنثر الفائق، وهو أحد من حذا حذو القاضي الفاضل وسلك طريقه. (أحمد حسين الطماوى: القطنانف والكنافة عند الشاعرين الجزائر وابن نباتة، مجلة الثقافة الجديدة).

أبو الحسين الجزائر ٦٠١-٦٧٩هـ

أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم: من كبار شعراء الدولتين الأيوبية والمملوكية، وكان جزائراً، ثم احترف الأدب، ونظم الأشعار، ومدح بعضاً من كبار الشخصيات

في عصره، وكان قد ترك الجزارة فترة، ثم عاد إليها؛ لأن الأدب لم يجد عليه، وقد جمع د. محمد زغلول سلام طائفة من أشعاره وحققها وقدم لها بدراسة شائقة، وترجم له في كتابه «الأدب في العصر المملوكي». وقال عنه ابن تغرى بردى الأتابكي في الجزء السابع من النجوم الزاهرة «أحد فحول الشعراء في زمانه، مولده سنة ٦٠١ هـ ومات يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال سنة ٦٧٩ هـ ودفن بالقرافة. قال الشيخ صلاح الدين الصفدى عنه: لم يكن في عصره من يقاربه في جودة النظم غير السراج الوراق. (أحمد حسين الطهاوى: القطائف والكنافة عند الشاعرين الجزار وابن نباتة، مجلة الثقافة الجديدة).

إدم فرنسوا جومار ١٧٧٧ - ١٨٦٢ م

مهندس وجغرافي وأثري فرنسي. ولد في فرساي سنة ١٧٧٧ وتوفي في باريس سنة ١٨٦٢. كان جومار أحد أعضاء البعثة العلمية التي رافقت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨، وعضواً بالمعهد العلمي المصري الذي أسسه نابليون في القاهرة سنة ١٧٩٩. كتب جومار القسم الخاص بوصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل في موسوعة وصف مصر ويقع في الجزء الثامن عشر من القسم الخاص بالدولة الحديثة بين صفحات ١١٣-٥٣٥. يتميز وصف جومار لمدينة القاهرة أنه تسجيل ووصف لحالة المدينة والقلعة في سنوات الحملة الفرنسية الثلاث وبالتحديد خلال شهرين يبدأان من يوم ١٠ ديسمبر ١٧٩٩ وينتهيان في منتصف فبراير ١٨٠٠، وهي الفترة التي قام فيها جومار بجولته الميدانية في القاهرة لتسجيل معالمها وتوقيعها على الخريطة التي وضعها المهندسون الجغرافيون المرافقون للحملة الفرنسية.

تناول جومار وصف الخليج المصري، والحارات، والساحات العامة، الأبواب، القناطر، المساجد، التكايا، البيمارستانات، الخانقوات، الكنائس، القصور ودور البكوات، الكتائب، الأسبلة، الحمامات العامة، المقابر والمدافن، قلعة القاهرة. كما تكلم عن سكان القاهرة والصحة العامة، والصناعات والحرف اليدوية والميكانيكية، وعن الصناعات الغذائية وصناعة النسيج والأزياء، وصناعة الأثاث وفن البناء والبنائين، والتجارة والتجار وتبادل البضائع، والأسواق، والعادات والتقاليد القاهرية. كما تناول ضواحي القاهرة مثل البحيرة وبولاق ومصر القديمة وجزيرة

الروضة. كتب جومار خططه بعين الأجنبي الذي يراها لأول مرة على الرغم من أنه نقل الكثير من مادته عن خطط المقریزی الذي كان ما زال مخطوطاً وترجمت له نصوصه إلى الفرنسية. كما اعتمد أيضاً بشكل أساسي على وصف الرحالة عبد اللطيف البغدادي لمدينة القاهرة الذي كان قد ترجمه سلفستردى ساسي.

وقد ترجم كتابات جومار في هذا الصدد من الفرنسية إلى العربية الباحث المصري الدكتور أيمن فؤاد سيد وقدم له وعلق عليه، وصدر في كتاب بعنوان « «وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل» مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة حتى سنة ١٨٠٠. ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨. (فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: سبتمبر ٢٠٠٢).

### إدوارد ولیم لین

جاء «لین» إلى مصر لأول مرة عام ١٨٢٥ م، وأقام بها حتى ١٨٢٨ م، ثم غادرها وعاد إليها مرة ثانية عام ١٨٢٣ م وبقي بها حتى ١٨٣٥ م، ثم زارها مرة ثالثة، وأقام بها خلال الفترة من ١٨٤٢ م حتى ١٨٤٩ م. وقد طبع كتابه «المصريون المحدثون» لأول مرة عام ١٨٣٦ م، وظهرت منه خمس طبعات خلال حياة «لین» وترجم إلى الألمانية. كذلك قام «لین» بترجمة كتاب ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية خلال الفترة من (١٨٣٨ - ١٨٤٠ م) وزوده بتعليقات تتناول حياة وصفات الشخصيات الواردة في القصة، كما قام بجمع مواد لتصنيف معجم عربي إنجليزي وانشغل به حتى آخر حياته، وظهرت منه خمسة أجزاء في حياته، ثم أكمله ابن أخته المستشرق «إستانلي لین بول».

### عبد اللطيف البغدادي

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي بن يوسف:

طبيب عالم ورحالة موصلی الأصل، ببغدادي المولد ولد في بغداد سنة ٥٥٧هـ (١١٦٢ م). جاء عبد اللطيف إلى القاهرة وعاش فيها من سنة ١١٩٤ إلى سنة ١٢٠٤ م

في القصر الأيوبي. وفي أثناء إقامته ألف كتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر» وذكر أنه انتهى من تأليفه في رمضان سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م). وقد نشر الكتاب في القاهرة سنة ١٩٣١ وأصدرته مطبعة المجلة الجديدة. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية سنة ١٨١٠ في باريس. (فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبو ظبي: سبتمبر ٢٠٠٢، ود. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ٩٥-٩٦).

عبد الرحمن الجبرتي ١٣٦٨ - ١٢٣٧ هـ / ١٧٥٦ - ١٨٢٢ م

عبد الرحمن بن حسن بن برهان الدين الجبرتي، ولد بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ (١٧٥٦ م) وتوفي بها سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م). درس في الأزهر وبرع في الأدب والتاريخ. عين عضواً في الديوان العام الذي أنشأه الفرنسيون في القاهرة بعد احتلالهم مصر سنة ١٧٩٨. ألف الجبرتي كتابه الشهير: «عجائب الآثار في التراجم الأخبار» وهو تاريخ عام لمصر وخططها منذ سنة ١١٠٦ هـ (١٦٩٥ م) إلى سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م). وصدر في أربعة أجزاء عن المطابع الأميرية في بولاق بالقاهرة سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م). يتناول الجبرتي في كتابه تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية، وفي أثناءها وبعد رحيلها عن مصر، ويصل في حوادثه إلى سنة ١٨٢١ متبعاً أسلوب الحوليات واليوميات في إفاضة وتفصيل. يجعل الجبرتي تعيين المواقع والأماكن ظاهرة واضحة في سرده للأحداث فلا يورد حادثاً من حوادث الحرب أو الثورة، أو المواقب والحفلات العامة ولا سيما في القاهرة إلا قرنه بتحديد الأماكن والمواقع من شوارع وميادين ودروب ومنازل بحيث نستطيع أن نصور معالم القاهرة في عصره جلية واضحة، وأن نتعرف بالمقارنة في خططها وإحيائها المعاصرة على كثير من خططها وإحيائها منذ أكثر من قرنين وأن نصل المعالم والمواقع، والأسماء الحالية سنة ٢٠٠٢ بما كانت عليه في عصر الجبرتي في القرنين ١٨، ١٩.

وقد ذكر الجبرتي ما أقيم في القاهرة في عصره من معاهد، ومساجد، وقصور، ولسانين وأحياء، وشوارع وحارات، وما اندثر منها وما استجد، وما تغيرت معالمه

وذلك من خلال الحوادث العامة التي يسودها، أو من خلال تراجم الأمراء المماليك أو الترك، أو كبراء القاهريين. وقد وصف الجبرتي ما أحدثه الفرنسيون خلال الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١ في بعض خطط القاهرة وأحيائها من هدم وتغيير، وإنشاء ما اقتضته الإغراض العسكرية للحملة، كما وصف ما دمر أو أزيل أو سُوّه من أحيائها ودُروها ومبانيها.

قدم الجبرتي صورة واضحة مفصلة عن خطط مصر القاهرة ومواقعها ومعالمها خلال القرن الثامن عشر والثالث الأول من القرن التاسع عشر.. ومنه تستمد آخر الصور وأصدقها عن خطط مصر القاهرة القديمة وهي الصورة الفاصلة بين القاهرة العصور الوسطى وقاهرة القرن التاسع عشر قبل عصر الخديو إسماعيل.

وقد ترجم كتاب عجائب الآثار للجبرتي الى الفرنسية مرتين الأولى بقلم المسيو cardin مترجم القنصلية الفرنسية بالقاهرة المتوفى سنة ١٨٣٨، وهذه الترجمة قاصرة على الجزء الخاص بأحداث الحملة الفرنسية على مصر. والترجمة الثانية أتمها نخبة من الأدباء المصريين برئاسة شفيق منصور يكن، وظهرت في تسعة أجزاء بين أعوام ١٨٨٨-١٨٩٦. (عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم/ طه.. القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٨. و فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبو ظبي: سبتمبر أيلول ٢٠٠٢).

الخوارزمي، أبو عبد الله (٠٠٠ - ٣٨٧ هـ = ٠٠٠ - ٩٩٧ م)

محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي: باحث. من أهل خراسان.

له كتاب «مفاتيح العلوم» ألفه وأهداه للوزير العتيبي (عبيد الله بن أحمد). ويعد كتابه من أقدم ما صنفه العرب، على الطريقة الموسوعية قال المقرئزي: وهو كتاب جليل القدر. (الأعلام - للزركلي).

السُّيوطي، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١ هـ - ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م).

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. والسيوطي نسبة إلى أسبوط مدينة في صعيد مصر. عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم. وُلد في القاهرة ونشأ فيها. رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها. تولى مناصب عدة. ولما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف. ذُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف. منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات. وذكر الأستاذ أحمد الشرقاوي في كتابه «مكتبة جلال السيوطي» أن عدد مؤلفاته بلغ ٧٢٥ مصنفًا. من أشهر كتبه: الجامع الكبير؛ الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير؛ الإتيان في علوم القرآن؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك؛ الخصائص والمعجزات النبوية؛ طبقات الحفاظ؛ طبقات المفسرين؛ الأشباه والنظائر وهما كتابان باسم واحد أحدهما في اللغة، والثاني في فروع الشافعية؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ الفريدة، وهي ألفية في النحو، وله ألفية أخرى في مصطلح الحديث؛ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية؛ همع الهوامع. وله مشاركات أدبية: شعر ومقامات. توفي بالقاهرة. (عن الموسوعة العربية العالمية).

الليث بن سعد (٩٣ : ١٧٥ هـ - ٧١٢ : ٧٩١ م)

الليث بن سعد عبد الرحمن وكنيته أبو الحارث.

واحد من أئمة الفقه الإسلامي ورواة الحديث النبوي الشريف. ولد بقرية قلقشندة، مركز طوخ سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م. حفظ القرآن بقريته، ونهل من العموم قدرًا كبيرًا ثم توجه إلى الفسطاط ليستزيد من العلم، وتعلم اللغات القبطية واليونانية واللاتينية فأتاح له الاطلاع على علوم الآخرين ومعارفهم، وتلقى علوم الفقه والحديث بحلقات الدرس بجامع عمرو بن العاص ثم تصدى للتدريس بها.



قابل الإمام مالك بن أنس في إحدى حجراته إلى البيت الحرام فتوادا وتصادقا وتبودلت بينهما رسائل حوت مناقشاتهما في الأمور الفقهية وقابل الإمام أبي حنيفة وتناظرا في بعض المسائل.

جمع بعض الأحاديث النبوية ورواها ولم يهتم بتأليف الكتب أو إملاء فتاويه وآرائه على أحد مما جعل الإمام الشافعي يقول - حين جاء مصر ملتتمسا علم وفقه السابقين «ما فاتني أحد أسفت عليه كالليث بن سعد» وقال فيه ابن وهب: ما رأينا قط أحد أفقه من الليث .

عاصر أواخر الحكم الأموي (٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م) وبداية الحكم العباسي، وعرض عليه الخليفة العباسي «المنصور» ولاية مصر، لكنه اعتذر مخافة الانشغال عن العلم فأمر المنصور والى مصر وقاضيهما أن يستشار الليث في كل الأمور، وأمر هارون الرشيد كذلك بالألا يتصرف أحد في مصر إلا بأمر الليث

توفي عام ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ودفن بالقرافة الصغرى وله مسجد معروف باسمه إلى الآن بالقاهرة .

المقرئزي ٧٦٦-٨٤٥ هـ / ١٣٦٤-١٤٤١ م

تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئزي، ولد بالقاهرة وتوفي بها. وقد ذكر السخاوي في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» إن اسم المقرئزي جاء من أن أصل عائلته. ينسب إلى حارة المبارزة في مدينة بعلبك بالشام. وكان جده من كبار المحدثين في بعلبك، ثم انتقل والده للعيش في القاهرة؛ حيث ولد المقرئزي. درس المقرئزي في الأزهر، وتقلب في وظائف الوعظ والخطابة والتدريس. وتقلد وظيفة الحسبة وهي من مناصب القضاء المهمة. كان المقرئزي مقربا من السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك البرجية سنة ١٣٨٢ م، ثم عند ولده الملك الناصر فرج من بعده. وقد هجر الوظائف العامة وتفرغ لكتابة التواريخ والسير، وخص مصر وأخبارها وآثارها بأعظم قسط من جهوده وكتب في ذلك مؤلفات جليلة. وقد وصلت إلينا معظم مؤلفات المقرئزي ومن أهمها على الإطلاق كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» وتجمع المصادر إلى

أن المقرئ بدأ في تأليف هذا الكتاب قرابة سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م)، واستمر في كتابته والتعديل فيه وزيادته حتى سنة ٨٤٣هـ (١٤٣٩م). وطبع كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطا والآثار» لأول مرة في المطابع الأميرية في بولاق في القاهرة سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م). يُلقى الكتاب الضوء على مصر القاهرة: خططها القديمة وحرارتها ودروبها وأزقتها وأحيائها وتطوراتها العمرانية والجغرافية. ويصف آثارها من مساجد ومدارس وخانقاوات وقباب وأضرحة وغيرها من الخانات والحمامات والبيمارستانات والأبواب. كما يصف الدور الخاصة والعامة والقصور والحدائق وما تحويه من فنون وزخارف وثناء. كما يصف الشوارع والأسواق والمتاجر والتجار، والأسبلة والآبار، والوكالات. وتناول الكتاب سير الملوك والسلاطين والأمراء الذين ارتبطت أسماؤهم بالقاهرة. واعتنى المقرئ بعرض صور هامة من تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري. ويقدم المجتمع القاهري في أثنائه المختلفة الزاهية والقائمة.. ويشرح النظم السياسية والإدارية والاقتصادية، التي توالى على مصر. ورسوم ونظم البلاط القاهري في عصوره المختلفة، وأحوال الخلفاء والسلاطين والأحداث المهمة في حياتهم، ومآدبهم ومواكبهم، وأخلاقهم وأطوارهم. يلقي المقرئ الضوء أيضًا على حياة الشعب القاهري وعادات الأفراد والجماعات والطوائف وتقاليدهم وأحوالهم في المعاملات، والملبس، والمأكل، والأفراح، والأنراح والموالد. تميز المقرئ في جمع مادة كتابه بالدقة والتدقيق والاستقصاء والإسناد. (محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية. ص ٦٥، وفاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبو ظبي: سبتمبر أيلول ٢٠٠٢).

### أوليا جليبي (١٠٢٠-١٠٩٥هـ/١٦١١-١٦٨٤م)

أوليا جليبي أو كما يسمي نفسه أوليا محمد ظلي بن درويش. كاتب ومؤرخ عثماني ولد في استانبول، يحيط الغموض بالكثير من جوانب حياته، ومعظم المعلومات المتوافرة عنه مأخوذة من كتاباته، بل إن اسمه لا يعرف بدقة ولقبه «أوليا» مقتبس من اسم معلمه الإمام في السرايا السلطانية أوليا محمد أفندي. (الموسوعة العربية).

ولد في ١٠٢٥ هـ الموافق ١٦١٦ ميلادية تقريباً في حي اونكابان أحد أحياء استانبول، ويبدو أنه مات خلال الثلث الأخير من سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م، قدم وصفاً لسلسلة الرحلات التي قام بها في الإمبراطورية العثمانية وفي الأراضي المجاورة، في مؤلفه المكون من عشرة أجزاء، الذي يعرف باسم (سياحنامه).

### محمد أسد

(ليوبولد فايس سابقاً) كاتب وصحفي ومفكر ولغوي وناقد اجتماعي ومصلح ومترجم ودبلوماسي ورحالة. ولد في بولندا عام ١٩٠٠، وتوفي في إسبانيا عام ١٩٩٢ م. درس الفلسفة في جامعة فيينا؛ وعمل مراسلاً صحفياً، وطاف العالم، ثم استقر في إسبانيا وتوفي فيها ودفن في غرناطة. ويعتبر محمد أسد أحد أكثر مسلمي أوروبا في القرن العشرين تأثيراً.

زار القاهرة والتقى بالإمام مصطفى المراغي، ودخل معه في حوار حول الأديان، ثم بدأ بتعلم اللغة العربية في أروقة الأزهر، وهو لم يزل بعدُ يهودياً.

انتقل للعيش في القدس بعد تلقيه دعوة من أحد أقاربه اليهود للإقامة معه في القدس في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وكتب هناك عدة مقالات مهمة أبرزت قلق العرب من المشروع الصهيوني. ثم انخرط في دراسة متعمقة للإسلام، حتى قرر التحول من اليهودية إلى الإسلام في ١٩٢٦ وهو في برلين وبعد عدة أسابيع من ذلك أعلنت زوجته إسلامها.

وقام بالترحال إلى العديد من البلدان وزار مصر والسعودية وإيران وأفغانستان وجمهوريات السوفييت الجنوبية. وزار عمر المختار لبحث معه إيجاد طرق لتمويل المقاومة ضد الإيطاليين كما انتقل إلى شبه القارة الهندية التي كانت تحت الاحتلال الإنجليزي، وهناك التقى بالشاعر الكبير والمفكر محمد إقبال عام ١٩٣٢ الذي اقترح فكرة تأسيس دولة إسلامية مستقلة في الهند (التي أصبحت لاحقاً باكستان)، وقد أقتعه محمد إقبال بالبقاء والعمل على مساعدة المسلمين لتأسيس تلك الدولة.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ اعتقل والدها محمد أسد، وقتلا في وقت لاحق في الهولوكوست على يد النازيين. كما أن محمد أسد نفسه اعتقل على يد الإنجليز وسجن ثلاث سنوات باعتباره عدواً.

فور استقلال باكستان عام ١٩٤٧ وتقديراً لجهوده وتأييده لإقامة دولة إسلامية منفصلة في شبه القارة الهندية، منح محمد أسد الجنسية الباكستانية وتم تعيينه مديراً لدائرة إعادة الإعمار الإسلامي. وفي وقت لاحق التحق بوزارة الشؤون الخارجية رئيساً لوحدة شئون الشرق الأوسط عام ١٩٤٩، كما عمل رئيساً لمعهد الدراسات الإسلامية في لاهور، وعين مبعوثاً لباكستان إلى الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٥٢. إلا أنه سرعان ما تخلى عن هذا المنصب ليتفرغ لكتابة سيرته الذاتية (حتى سن ٣٢) (الطريق إلى مكة) (الذي ترجم للعربية باسم (الطريق إلى الإسلام)).

مؤلفاته: منهاج الإسلام في الحكم، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة وتعليقات على صحيح البخارين، رسالة القرآن، الطريق إلى مكة. (انظر: وكبيديا)

ناصر خسرو (ت ٤٣٣هـ - ١٠٦١هـ)

رحالة فارسي، قدم إلى مصر وزارها خلال الفترة من ٤٣٧-٤٣٩هـ/ ١٠٤٥-١٠٤٧م. وتناول في كتاب رحلته انطباعاته ومشاهداته في أثناء تلك الرحلة، فوصف القصور والأستوار والأبواب والمساجد وعادات سكان المهينة وتقاليدهم وبيوتهم ومآكلهم، ووصف الاحتفال الذي أقيم بمناسبة فتح الخليج. يعد كتابه من أهم المراجع للقاهرة الفاطمية. ترجم الرحلة «سفر نامه» المستشرق الفرنسي «شارل شيفر» إلى اللغة الفرنسية ونقلها إلى العربية الأستاذ د. يحيى الخشاب سنة ١٩٤٥. (عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص ٣٩٢).

## المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: السنن والصحاحات

- أبو داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود.- بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م.
- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر "صحيح البخاري".- بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧م.
- النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم.- بيروت: دار اليمامة، ١٩٨٦م.

ثالثاً: المعاجم والموسوعات

- مختار الصحاح: الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٩م.
- معجم الأعلام، الزركلي.
- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - مصر، ٢٠٠٢م.
- معجم تاريخ مصر، جوان فوتشر كنج، ت: عنان على الشهاوي.- المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ع ٤٠٨، ٢٠٠٣م.
- موسوعة الأمثال العامية، إبراهيم أحمد شعلان - دار المعارف - مكتبة الدراسات الأدبية، ١٩٩٢م.

- موسوعة التراث الشعبي العربي، د. محمد الجوهري، الهيئة العامة لقصور الثقافة،  
٢٠١٢.

- الموسوعة المصرية لأغنيات الأطفال، (١) الشعر الشعبي، إعداد وتصنيف:  
مسعود شومان، المركز القومي لثقافة الطفل ٢٠٠٨ م.

- وصف مصر، تأليف علماء الحملة الفرنسية، ت: زهير الشايب.- الهيئة المصرية  
العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ م.

#### رابعًا: الكتب

- إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية.- سلسلة الدراسات  
الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ع ٨٧-٨٨، ٢٠٠٤ م.

- ابن أبي الدنيا: الإشراف في منازل الأشراف.

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ دار صادر بيروت، ١٩٧٩ م

- ابن الجوزي: المنتظم

- ابن الحاج: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبه على بعض البدع  
والعوائد، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م.

- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور.

- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

- ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- دار الكتب-  
مصر.

- ابن جبير، رحلة ابن جبير.- بيروت: دار صادر، ١٩٦٤ م.

- ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل في فن الزجل.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.
- ابن دريد، الاشتقاق . - القاهرة: المطبعة الفاخرة، ١٩٥٨ م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى.
- ابن عبد الظاهر - الروض الزاهر في سير الملك الظاهر - تحقيق: عبد العزيز الخويطر - الرياض - (١٣٩٦، ١٩٧٦ م).
- ابن فارس، مقاييس اللغة.
- ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
- ابن كثير، البداية والنهاية.
- أبي زكريا بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مكتبة العلم.
- أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، الأيام والليالي والشهور، تحقيق وتقديم: إبراهيم الإيباري. - دار الكتاب المصري، ١٩٨٠ م.
- أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧.
- أحمد بن علي الدلجي، الفلاحة والمفلوكون. - القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ع ١٠٥، ٢٠٠٣ م.
- أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية. - ط٤ - مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- أحمد مختار العبادي - قيام دولة المهاليك الأولى - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٦٩ م.
- إلهام ذهني، مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين ١٦، ١٧ م. - القاهرة: مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ م.
- الإمام الرافعي: التدوين في أخبار قزوين.

- أنا نجيب محفوظ، «سيرة ذاتية»، تقديم إبراهيم عبد العزيز، المجلس القومي للشباب، يناير ٢٠٠٦ م.
- أندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية. - كتاب روزاليوسف، العدد ١٧، يوليو ١٩٧٤ م.
- أهداف العمل الثقافي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ م.
- أوليا جليبي: سياحتهامه مصر، ترجمة: محمد علي عوني، تحقيق: د. عبد الوهاب عزام، د. أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة: أحمد فؤاد متولى، دار الكتب والوثائق القومية.
- أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية بمصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٢ م.
- جمال الدين الشيبان، تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧.
- جومار، وصف مصر وقلعة الجبل، ترجمة: أيمن فؤاد سيد. - مكتبة الخانجي، ١٩٨٨ م.
- جون لويس بوركهات: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة: هتاف عبد الله، الانتشار العربي، بيروت، ط. أولى، ٢٠٠٥ م.
- جيرار دي نيرفال: رحلة إلى الشرق، ترجمة: كوثر البحيري، مراجعة: د. سهير القلماوي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- حافظ محمود، المعارك في الصحافة والسياسة والفكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة ذاكرة الكتابة، ع ٦٦، ٢٠٠٥ م، ص ١٤٠.
- حافظ محمود، المعارك في الصحافة والسياسة، ط ٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٥ م.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، بالقاهرة، ١٩٥٨ م.



- حسن إبراهيم حسن، وطه أحمد شرف - المعز لدين الله - مكتبة النهضة المصرية  
، القاهرة، ١٩٦٤م:

- حسن عبد الوهاب، رمضان، المكتبة الثقافية، ع٨، دار القلم، وزارة الثقافة  
والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة.

- خيرى محمد عامر، «مشايخ في محراب الفن»، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة  
إصدارات خاصة، يناير ٢٠٠٦م.

- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - القاهرة:  
مطبعة بولاق، ١٨٦٧م.

- الراهب القمص بيجول الأنبا بيشوى: كلمات العامية المصرية ذات الأصل  
القبطى، الناشر: كنيسة مار مرقس بالكويت. طبعة تحضيرية - مايو ٢٠١٠م.

- رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج ١، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ،  
سلسلة الألف كتاب الثانى، ع ١٦١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

- ريتشارد بيرتون: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور - الحركة الصليبية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة -  
١٩٨٦م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.

- سمية حسن محمد إبراهيم (د.)، العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامى،  
القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧.

- سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجيب الاحتفالات، القاهرة: دار  
الأمين، ١٩٩٤.

- شهاب الدين التويرى، نهاية الأرب في فنون الأدب. - القاهرة: دار الكتب  
المصرية، ١٩٣٦م.

- شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف. - ط ٢- بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م.
- شوقي عبد القوي حبيب، الاحتفالات الدينية في الواحات. - الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠٠ م.
- صفى الدين الحلى، العاقل الحالى والمرخص الغالى، تحقيق: د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف مصر ١٩٦٧ م.
- عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة.
- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. - القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة
- عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧
- عبد الشافي محمد بن عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار الوفاء للطباعة القاهرة، ١٩٨٤ م
- عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٥ م.
- عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩ م.
- عصام ستاتي، شم النسيم. - القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ١٠٩، ٢٠٠٦ م.
- علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣ م.

- علي حسني الخربوطلي: الرسول في رمضان - القاهرة، دار المعارف، سلسلة أقرأ، ع ٣١٢، ١٩٦٨ م.
- فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الثالث، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: إبريل نيسان ٢٠٠٤.
- فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية من خلال دراسة الفلكلور المصري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- الفراء: الأيام والليالي والشهور.
- فرقة النيل للآلات الشعبية - القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، إصدارات الإدارة المركزية للشئون الفنية ٢٠٠٣ م.
- قاسم عبده قاسم: رمضان... أقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربي، العدد ٦٣٣ - ٨/٢٠١١.
- قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك - القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٩ م.
- قيثاره السماء «الشيخ محمد رفعت» - صندوق التنمية الثقافية.
- كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الأول، القاهرة.
- كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب
- محمد الجهيني، أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: حي باب البحر، القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠.
- محمد الخضري، الدولة العباسية، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٩ م.
- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ م.
- محمد رجب السامرائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوتل للنشر والخدمات الطباعة - دمشق، سورية ٢٠٠٢ م.

- محمد رجب السامرائي، رمضان والعيد.. عادات وتقاليد، نادي تراث الإمارات - أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة.

- محمد قنديل البقلي، الأمثال الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

- محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، ع ٣٨٩، ١٩٨٤ م.

- محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفلكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢.

- المرزوقي، الأزمنة والأمكنة.

- مصطفى عبد الرحمن، رمضانيات. - ط ٢ - القاهرة: دار المعارف، سلسلة اقرأ، ع ٤٨٨، ١٩٨٦ م.

- المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ١٩٩٩. و: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

- الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.

- نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

#### خامسًا: المقالات

- إبراهيم حلمي، فنون العرض في الاحتفالات الدينية الشعبية - فنون الفرجة الشعبية: غير دورية، المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، ع ١٤، ٢٠٠٢ م.

- إبراهيم عبد الحافظ: الأمثال الشعبية المرتبطة ببعض الحرف التقليدية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ١٨، الإمارات.

- أحمد حامد الجمال: أربعون عامًا على رحيل فارس الإنشاد والتلاوة «طه  
الفشني»، جريدة المصري اليوم.

- أحمد حسين الطهاوي: القطائف والكنافة عند الشعارين الجزائري وابن نباتة، مجلة  
الثقافة الجديدة

- أحمد حسين الطهاوي، صور رمضان في القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة.

- أحمد سليم: عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائي.

- أحمد سليم: حكايات رمضان سيناوية، الأهرام العربي، ع ٦٤٨،  
٢٠٠٩/٨/٢٢.

- أحمد فضل شبلول: مكشّرات رمضان، مجلة العربي، العدد ٦٢١ - أغسطس  
٢٠١٠.

- أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مجلة العربي، العدد ٥٤٠ -  
١١/٢٠٠٣، الكويت.

- حسين المصري: رمضان زمان، جريدة البديل، ٧/٩/٢٠٠٨.

- محمد خير البقاعي: رمضان في كتب الرحالين الأجانب، المجلة العربية - العدد  
٤١٦

- دعاء صالح: أطلس المأثورات الشعبية يرصد.. رمضان وآب اللهب، مجلة  
الثقافة الجديدة.

- رمضان... في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن - الكويت، ملف  
الأسبوع ١٧-٧-٢٠١٢،

- زكي مصطفى، «أغنيات رمضان» - سلسلة مقالات، جريدة المساء، رمضان  
٢٠٠٦ م.

- سامي كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم  
بصوته، الأهرام العربي، ع ٦٤٨، ٢٠٠٩/٨/٢٢.

- سيد عشاوي، «رمضان في مصر المحروسة» -مجلة الهلال، أكتوبر ٢٠٠٥ م.
- شوقي عبد القوي حبيب، «الاحتفالات الرمضانية في مصر منذ عصر الولاية حتى نهاية عصر المماليك» - الفنون الشعبية، ع ٥٤-٥٥، يناير/ يونيو ١٩٩٧ م.
- شوقي على هيكل، رمضان في اللغة. - مجلة الفنون الشعبية، ع ٥٤-٥٥، يناير- يونية ٧١٩٩ م.
- طارق هاشم، «الأغنية الرمضانية»- جريدة القاهرة، ١٠-١٠-٢٠٠٦ م.
- عباس محمود العقاد: رمضان .. وليلة القدر، مجلة الهلال، رمضان ١٩٦٠ م.
- عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤.
- عرفه عبده علي: رمضان في دفتر الذكريات الأوروبية.. صور ومعانٍ باهرة ومؤثرة، مجلة الرافد.
- عزت السعدني: عزيزي لؤلؤ الحاجب، جريدة الأهرام، ٦-٩-٢٠٠٨.
- عزة بدر، رمضان عبر الزمان، مجلة صباح الخير، ٧/ ١٢ / ١٩٩٩.
- علي المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصري اليوم، ١/ ٩/ ٢٠٠٨.
- عمرو على بركات: معجزة البدري فرغلي على قهوة «سمارة»، جريدة القاهرة ٢٣-١٠-٢٠١٢
- فؤاد سعيد وهبة، تحديده فلكيا.. لا يمكن الاعتماد عليه!، مجلة العربي، العدد ٥٤٠ - ٢٠٠٣/ ١١، الكويت.
- فاروق شوشة: ترنيمة رمضانية.. ناسك الزمن للشاعر محمود حسن إسماعيل، مجلة العربي، العدد ٥٥١ - ٢٠٠٤/ ١٠، الكويت
- قاسم عبده قاسم: رمضان... أقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربي، العدد ٦٣٣ - ٢٠١١/ ٨.

- محمد الصاوي وحنان شافعي وصفاء عبدالرازق: أقدام وأهم طقوس رمضان في الحسين.. قهوة الدراويش والريس سيد إمام، جريدة البديل
- محمد رجب البيومي: «شاعر الربابة في رمضان»، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٢ م.  
و: حلقات الذكر في «شهر رمضان» مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٣ م.
- محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.
- محمود الشرفاوي: شهر رمضان عادات ونوادير، مجلة العربي، العدد ٤١٢ - مارس ١٩٩٣.
- محمود مسعود، «الطقوس الرمضانية على الشاشة في نصف قرن» - جريدة القاهرة ١٠-١٠-٢٠٠٦ م.
- نبيل السمالوطي، شهر رمضان في جريدة «مصر» ومجلة «الراديو المصري» عام ١٩٤٠، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩.
- نبيل حنفي محمود، الأغنية الرمضانية من الفاطميين إلى عصر الإذاعة - مجلة الهلال، أكتوبر ٢٠٠٥.
- ياسمين فراج: شعبيات الموسيقى الرمضانية، مجلة الثقافة الجديدة

### الصحف والدوريات

- جريدة ٢٤ ساعة، ع ٤٢، ٢٦-٩-٢٠٠٧ م.
- جريدة أخبار الأدب.
- جريدة الجزيرة السعودية، ملحق العدد مجلة الجزيرة ع رقم ٥٧ / ٩ رمضان ١٤٢٤ هـ.
- جريدة الرياض: الإثنين ١٤ رمضان ١٤٢٦ هـ - ١٧ أكتوبر ٢٠٠٥ م - العدد ١٣٦٢٩
- جريدة المصري اليوم.

- مجلة «الفيصل»، الأعداد: ١٣٥ إبريل ١٩٨٨م / ١٥٩ إبريل ١٩٩٠م / ٤٧ إبريل ١٩٨٩م / ١٨٣، مارس ١٩٩٣م.

- مجلة الثقافة الجديدة، أعداد مختلفة.

- المجلة العربية العدد ٣٠٨ - رمضان ١٤٢٣هـ - ديسمبر ٢٠٠٢م.

- مجلة الفنون الشعبية، أعداد مختلفة.

- مجلة الكويت، السنة التاسعة (العدد ٩٣) رمضان ١٤١٠هـ، إبريل ١٩٩٠م.

### المراجع الإلكترونية ومواقع الشبكة الدولية للمعلومات

- حميد أحمد سلامة أبو كلوب سليمان، موقع العدالة الراديكالية، مرجع إلكتروني.

- دار الإفتاء المصرية، فتوى صيام يوم الشك، الرقم المسلسل: ١١٠١، تاريخ الإجابة: ٢٠٠٧/٠٩/٠٥

- دينا حسن: مقاهي الإسكندرية.. ثقافة اليونان ومصر في عناق عذب عريق، البيان، عن دار الإعلام العربية، ٦ يناير ٢٠١٣.

- رمضان مصري هلال: التمر: غذاء.. ودواء.. وإعجاز، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، [www.500a.net](http://www.500a.net).

- المسالك.

- مكتبة الإسكندرية.

- المكتبة الشاملة.

- موسوعة الأعشاب الطبية: أحمد محمد عوف.

- الموسوعة الشعرية - دولة الإمارات: دائرة الثقافة والإعلام، أبو ظبي ٢٠٠٦م.

- الموقع الإلكتروني لمكتبة الإسكندرية.



- الهيئة العامة للاستعلامات، [www.sis.gov.eg](http://www.sis.gov.eg)

- الوقت "صحيفة إلكترونية". - ع ٢٤١ - الخميس ٢٧ رمضان ١٤٢٧ هـ - ١٩  
أكتوبر ٢٠٠٦ م.

- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.



## الفهرس

٥	..... سيد الشهور وهذا المعجم
٩	..... أحداث وأزمنة:
١١	..... رمضان
١٥	..... أجندة شهر رمضان
٥٩	..... أحداث ونوادر غربية في شهر رمضان
٨٥	..... أيام مخصوصة:
٨٧	..... يوم الشك
٩١	..... ليلة القدر
٩٣	..... الجمعة اليتيمة
٩٥	..... يوم الوقفة
٩٧	..... استقبال شهر رمضان:
٩٩	..... استطلاع هلال شهر رمضان
١٠٥	..... استقبال شهر رمضان
١١٣	..... الاحتفال برؤية الهلال "موكب الرؤية"
١٢٥	..... مظاهر احتفالية:
١٢٧	..... الإفطار الجماعي والولائم

١٢٩	مدفع رمضان .....
١٣١	الفانوس .....
١٣٧	المشكاوات .....
١٣٩	الأسواق في شهر رمضان .....
١٤٣	المقاهى في شهر رمضان .....
١٥٥	الاحتفال بشهر رمضان في الثقافة الجماهيرية .....
١٦١	ختم القرآن .....
١٦٧	قراء ومنتشرون في رمضان: .....
١٧٣	الشيخ محمد رفعت .....
١٨١	الشيخ سيد النقشبندى .....
١٨٧	أعمال البر في رمضان: .....
١٨٩	وقفيات شهر رمضان .....
١٩٣	الموائد والولائم الخيرية في رمضان .....
٢٠٧	السييل .....
٢١٣	آداب وفنون: .....
٢١٥	أغاني شهر رمضان في الإذاعة والسينما .....
٢٧٩	أغاني شهر رمضان الشعبية .....
٢٨٩	شهر رمضان في الأمثال الشعبية .....
٢٩٣	التوحيش .....
٢٩٧	شهر رمضان في ديوان الشعر العربى .....
٣١٥	نثر رمضان .....

٣١٧	شهر رمضان في ذاكرة الأدباء والكتاب
٣٢٣	شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين
٣٣١	القوما
٣٣٣	المسحراتي
٣٤١	وحوى ياوحوى
٣٤٧	عادات ومعتقدات:
٣٤٩	عادات البادية المصرية في شهر رمضان
٣٥١	التقسيم الشعبي لأيام رمضان
٣٥٣	حبس العفاريث
٣٥٧	أطعمة وأشربة:
٣٥٩	الأرز باللبن
٣٦٠	البلح والتمر
٣٦٢	التمر هندي
٣٦٤	الحشاف
٣٦٥	الزلابية
٣٦٦	الطرشى
٣٦٧	العرقسوس
٣٦٩	الفول المدمس
٣٧١	القطائف
٣٧٥	الكنافة
٣٨١	النقل

٣٨٢	الياميش
٣٨٤	أم على
٣٨٥	قمر الدين
٣٨٩	الاستعداد لعيد الفطر المبارك:
٣٩١	الاستعداد لعيد الفطر المبارك
٣٩٣	كسوة العيد
٣٩٩	كعك العيد
٤٠٥	أعلام الكتاب
٤١٩	المراجع والمصادر

## منافذ بيع

### الهيئة المصرية العامة للكتاب

#### مكتبة المبتديان

١٣ ش المبتديان - السيدة زينب  
امام دار الهلال - القاهرة

#### مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

#### مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة  
ت : ٣٥٧٢١٣١١

#### مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى  
بالجامعة - الجيزة

#### مكتبة رادوييس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة  
مبنى سينما رادوييس

#### مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع  
محطة المساحة - الهرم  
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

#### مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق  
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة

٢٥٧٧٥٠٠٠

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤  
٢٥٧٧٥١٠٩

#### مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

#### مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

#### مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة  
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

#### مكتبة عربى

٥ ميدان عربى - التوفيقية - القاهرة  
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

#### مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة  
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

## مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

## مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (١) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

## مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإداري - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

## مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

## مكتبة أسوان

السوق السياحي - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

## مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

## مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

## مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

## مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

## مكتبة الرحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً - المحلة

## مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلي - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومي - توزيع

دمنهور الجديدة

## مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

## مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

## توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠١٠٦٥٣٣٧٣٢٢ - ٠٥٥٣٣٦٢٧١٠



## مكتبات ووكلاء

### البيع بالدول العربية

#### لبنان

- ١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب  
شارع سيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة -  
بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
- ص. ب: ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان
- ٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب  
بيروت - الفرع الجديد - شارع  
الصيداني - الحمراء - رأس بيروت -  
بناية سنتر مارينا  
ص. ب: ١١٣/٥٧٥٢  
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠
- ٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات  
والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية -  
شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة :  
٢١٤٨٧ - ت: المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ -  
٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨
- ٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -  
الرياض - المملكة العربية السعودية -  
ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت:  
٤٥٩٣٤٥١
- ٤ - مؤسسة عبد الرحمن  
السديري الخيرية - الجوف -  
المملكة العربية السعودية - دار الجوف  
للعلم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف:  
٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠

#### سوريا

- دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -  
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -  
المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦  
- الجمهورية العربية السورية

#### تونس

- المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر -  
٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

#### المملكة العربية السعودية

- ١ - مؤسسة العبيكان - الرياض  
(ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع  
طريق الملك فهد مع طريق العروية -  
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨
- ٢ - دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع  
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين  
ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٦٦٦ +  
تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +  
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب